

Princeton University Library



32101 076413804



حييتُ فُتُّ وأَسْتَبَقَيْتُ رَسْمًا لَذَكْرَى مِنْ أَمَانَةِ الْحَيَاةِ
 يدومُ الموتُ ما دَامَتْ حَيَاةٌ وَإِنْ قَضَتْ الْحَيَاةُ قَضَى أَمَانُ

Taglā, Salīm

نبذة

Nubdhah min dīwān

من ديوان المرحوم

(سليم بك نقلا)

(مؤسس جريدة الاهرام)

(طبع بمطبعة الاهرام بالاسكندرية سنة ١٨٩٣)

(RECAP)

2276

8235

368

بسم الله الفتح

اما بعد فهذه نبذة من ديوان فقيدنا المرحوم سليم بك ثقلا جمعنا بها
كل ما وقفنا عليه من منظوماته واقواله وقصائده صباه واحكامه
تذكار واثرا يدل على فضله واجتهاده وكم دلت على الفضل آثار حتى
نوفي بذلك ما قدمناه لحضراتهم من الوعود واسأفناه لهم من العهود
والله نسأل ان يدر على الفقيد شأيب رحمته وغفرانه ويسكنه فسيح
فردوسه وجناته بئنه ووافر احسانه

﴿ صفات الفقيد ﴾

(بقلم الكاتب الاديب نجيب افندي الحداد)

هو سليم بن خليل بن ابراهيم نقلا ولد في كفرشما قرية في سفح لبنان على بعد ساعتين من بيروت عام ١٨٤٩ ثم تنقل في المدارس بين بيروت ولبنان مدة كما هو مذكور ببعض التفصيل في ترجمته المدرجة في صدر مراثيه واقوال الجرائد فيه مما لم اجد حاجة الى اعادة ذكره في هذا المقام الذي وقفته لبيان احواله وخلاله وما كان عليه من الطباع والاخلاق والصفات نقلاً عما علمته عنه ورأيت منه في طول عشريني له وخدمتي اياه مدة لا تقل عن ثمانى سنوات في تحرير جريدته الاهرام الغراء بحيث كنت انطق بما شهدت لا بما اردت واورد الذي رويت على مثل ما رايت ولا غرو فالامر من قبيل التاريخ الذي يستلزم الصدق والرواية عن ميت فقيد ولا يليق في حق الميت غير طريق الحق

كان الفقيد رحمه الله ربعة القوام سمين الجسم اسمر اللون اسود الشعر والعينين دقيق العارضين متين البنية قوي الاعضاء مهيب المنظر محبوب الطلعة خفيف الروح حلو الفكاهة والحديث اذا قال، فاق القائلين واسبكت الناطقين واستلفت الابصار واسترعى الاسماع والافهام كأنما هو في موقف خطابة لا في مقام حديث وكانت له بداهة غريبة لا يكاد يتوقف ولا يتفكر

ولا يعيد لفظة ولا يلتزم كلمة ولا يسلك في حديثه مسلك العامة بل كثيراً ما كنت اقول عند ما اسمع نسق كلامه في حكاية او جدال لو كتب هذا الكلام كما هو وبدلت بعض الفاظه العامة بفصيحة لكانت مقالة من احسن المقالات في الموضوع الذي يتكلم فيه . ثم هو على اطالته في الحديث احياناً والزيادة على حواشيه بما يخطر له من مناسبات المقام كان لا يمل سأمه منه ويود لو يبقى فيه ساعات . وقد كنت اقول عندما كان يوصيني على موضوع لا اكتب فيه او يسرد لي عبارة يريد وضعها في الجريدة لو بقي في محفوظي كل ما قاله لي من ذلك الكلام لكانت كتابتي في ذلك المعنى من خير ما يمكن ان يكتب حتى كنت اقول في نفسي لقد خلق هذا الرجل خطيباً سريع البادرة قبل ان يخلق كاتباً طلي الكتابة والانشاء بحيث كان المحرر منه يخفي الخطيب النبیه وقلم الكتابة في يده يعرفه لسان المتكلم البديع فيمثر تحت شدة افكاره او يكبو احياناً فيقتصر عن تفسيرها وبيانها على الوجه الذي كان يحلو عليه ايرادها في صناعة الخطابة والبيان

ولم يري لو انفسح للفقيد مجال الخطابة او كان في مركز يدعو اليها ويقضي عليه بمراسها لا يبصر منه الناس خطيباً مجيداً لا تحبسه لكنه ولا تنف في سبيل لسانه حبة ولا تقوم من دون كلامه حجة ولا ينفي عن باصرة نقده بيان ولا برهان وكفى في نسق لمحاته وبلاغة مقالاته ما يدل على ذلك اوضح دلالة

ومن محاسن صفاته رحمه الله انه كان بصيراً بارضاء الناس عالماً

بطرائق اقناعهم ورضاهم كأننا ينظر الى كل قلب ويعرف كل دخيلة وسريرة
 فلم يكن يخرج زائره الا راضياً ولا قاصده الا مسروراً شاكراً سواء نال
 حاجته او لم ينلها بل كثيراً ما كان يخرج الطالب من عنده غير ظافر بما
 يطلب لمعذره وعدم امكانه وهو مسرور راض كما لو نال ما يريد وماذا
 عسى يبغى قاصده غير نيل قصده منه او الاقتناع باستحالة حصوله على يديه
 وهو لا يخرج الا حاصلّاً على احد الامرين . ثم كان شديد الحب للخير والحنو
 على الفقراء واليتامى لمصائب الناس حتى لم يكن يرد طالباً من هذا التبيل ولم
 يكن يقصده احد لتفريج كربة او دفع مئة الالباء وسعى في قضاء حاجته
 كأنما يقضيا لنفسه او يذكرها ما مر عليه من حوادث الدهر ونوازل
 الايام . وكان مع وقاره وسكونه طلاق الجانب بشوش الوجه لطيف العشرة
 حالمًا بكثير من الحوادث والتواريخ يذكرها باسماء اصحابها وتاريخ حدوثها
 ثم هو مع ما وصل اليه من رفعة المنزلة لم يكن يفغل اصحابه القدماء من
 مودة وبر ولم يكن يستعلي على احد قط

وقد كان مع ذلك كثير النقد لافعاله واقواله فلا يفعل ولا يقول
 شيئاً الا بعد تروٍّ وثبّت . وكان ذا ذوق حسن في الموسيقى ومعرفة بفنها
 اما شعره فمقبول في صباه وبداية نظمه وحسن جيد بعد ذلك وفي تصفح
 ديوانه كفاية من الدلالة على منزلته في هذه الصناعة وقلبه في درجاتها
 وله عدا ديوانه هذا عدة مؤلفات حال دون طبعا نقص بعض
 اجزائها منها عدة روايات تمثيلية كتبها لتلامذة المدرسة البطريركية

ايام تدريسه فيها منها رواية متريدات معربة عن الفرنسية لوضعها
راسين الشاعر الفرنسي الشهير وله ايضاً رواية لايوب الصديق
حاوية كثيراً من الحكم والارشاد . وله كتاب في التاريخ القديم مفقود
بعضه وهو يبحث عن الامم السابقة والشعوب القديمة باخلاقتها وعوائدها
ثم رسالة صغيرة في تراجم مشاهير النحاة ورسالة مطوّلة في قبائل العرب
وكتاب في الصرف والنحو مطبوع عن مؤلفه مدخل الطلاب الى فردوس
لغة الاعراب وضعه للمدرسة البطريركية وجعله على النسق الذي يسميه
الافرنج بالتمرين . ومختصر في المنطق حسن الاسلوب . ورسالة طويلة جمع
فيها كل ما وقف عليه من شوارد اللغة وشاذها وهي غير كاملة . وقد رايت
له دفترًا كبيراً كأنه بدأ يجمع فيه الفاظ اللغة على شكل القاموس ثم بدا
له ما عاقه عن اتمامه . وله ايضاً مؤلف طويل في المعاني والبيان

ذلك ما وقفت عليه من مؤلفات الفقيد رحمه الله وما خبرته من
حسن صفاته واخلاقه حتى اصابه ذلك المرض فاصاب به قلب الادبواني
لا ازال اذكر لطف شمائله عند رحيله ووداعه وكأنه جمع في ذلك الموقف
كل ما كان فيه من الرقة واللفظ ليبقى لنا اجمل آثاره في الاسماع واشدها
وقعاً من بعده على القلوب ولا شك انه كان يشعر بدنو اجله في ذلك العهد
اذ لم اذكر انه ودعنا قبلها مثل ذلك الوداع من الحزن وبغمة
الرحيل . اسأل الله تعالى ان يسبل على ضريحه وابل رحمته ورضوانه
وان يلهم قلوبنا الصبر على فقدته ويسكنه فسيح جناته

﴿ الفقيه والمجاهد ﴾

(بقلم الكاتب الاديب خليل افندي المطران)

بين الكاتب والخطيب في مراتب المجد الادبي مرتبة للخطيب بقله
فكلامه تبصره العيون وتزنه العقول وكأنما تسمعه الآذان وتحقق بنبهاته
القلوب. تلك مرتبة فقيد الوطن المأسوف عليه سليم بك ثقلاً مؤسس جريدة
الوطن في دمشق سنة ١٩٠٨م.

ترجمه الفقيه كما يعجب عليه سواد مردم به بسعه شرح و
والتقدم ولا كما كان بين اصدقائه وآله يحدث مفيداً او بين الفقراء يكاتم
باحسانه قاصداً او يعيد الى اوطانه طريداً ولا كما كان متضجماً في الارقاء
مقدماً على حين الانقاء شاعراً تستبق المعاني الجياد لتنظم في جواهر
كلمه وتضمر الحوادث الكبيرة او تهون المواقف الخطيرة بإرشاداته وحوكمه
وفي الجملة فكأن المطالع الذي يقف في بعيد المستقبل على لمحات التي اقامها
كمحف تاريجي عظيم ادخل اليه من حديقته ازهرت بشعره اشجارها وتعتنت
بتوقيع الفاظه اطيالها وفتحت كطائف معانيه ازهارها وفتح كطيب ذكره
نشرها وفاض بسرعه خاطره نهرها حتى اذا دخلت البناء وكل لمحة غرقه من
غرفه الكثيرة وجدت فيها مصر وسائر الامم ممثلة تحركها المبادي المختلفة
المتلازمة ويرفع بعضها ويخفض بعضها موج الحوادث السائرة المتصادمة فالى

هذه المشاهد العظيمة التي خطها قلبه اقصد ومن الوانها اريد ان استخرج رسم الرجل السياسي الذي جاء الدهر على يده بعبور وذهب بعبور ومن انوار مبادئه الذهبية وعواطفه الشعبية المدرية اريد ان اصوغ اكيلاً بامراً ايكلاً به ذلك الرسم وحرى بهذا الاكيل ذلك الفقيد الذي مضى ضحية جهاده والذي جاءه الشعب المصري لما رأى عظم اخلاصه واخلاص اخيه فقدم لها ساعتين تمثلت بها الشعائر الوطنية وكأنه من ذلك العهد رفع اليها امره سلماً وحرماً وقال لها "خذنا هتين الساعتين فلا نظرقا الوقت فيها الا ذكرتما ان الشعب المصري محب لكما ويريد لقاء حبه ان تحرصا على الثواني فضلاً عن الدقائق والساعات في خدمة مصالحه واعزاز شأنه والمدافعة عنه من كل مفتصب" وان هذين الرجلين منذ اخذ وقتها يحسب لها بتينك الساعتين قد اصحابا من رجال التاريخ وهما حيان يرزقان

على ان الممتازين من الرجال ينشئون المناصب وهم فوق العامة بهمتهم واقدامهم وقلمهم فاذا علوها جعلتهم العظماء فتراهم بذلك اشبه بمخطط المرصد الفلكي رغبة في مراقبة النجوم التي يتصورها دون معرفة حقيقية لها فاذا تم له المرصد وارتفع عليه اخذ يرقبها عن كسب بمقدار ما تمكنه قوة منظار علمه ثم لا يابث ان يعترفوا بانس اليه فيرى منها جلياً ما كان يراه مغطى ببعض حجب الابهام لعدم استحكام عادته في النظر واذا ذاك يفيد عن اسوالمها ما لا يفيد المطلع غير الخبير وهذا الشأن انما هو شأن المرحوم سليم بك نقلاً فقد يجد القاري لهاته الاولى مشعونة بالمباديء الفلسفية والمادة التاريخية تبي

عن فكر نهكه السهر في الدراسة وقلب طالب غاية سامية يبعث القلم رائدًا لها ولكن تلك المبادي والمادة جاءت مشوشة لأنها كانت مجموعة من علوم شتى لا ناشئة في فكره عنها وذلك لما يعلم الجميع من حالة القطر المصري في تلك الايام التي كان فيها الجهل بالمعارف حتى بالحقوق شخصية سائدًا بين القوم الى درجة ان كان الكاتب ينظر كثرة الحاجات لواجب تنبيههم اليها والآفات اللازم تحذيرهم منها فيضطر الى الاكثار من عبر التاريخ وتلقين المبادي الاجتماعية ولكن على الاسلوب النظري الصرف المحدث عن براعة الاستاذ في حسن القاء افادته لا عن سعة تصرف السياسي وفي تركيب العبارة الخاوية لتلك المعاني على نحو ما ادمجها فيه من الاساليب المدرسية دليل تكاد تشمر منه بجملة الشمعات التي افناها على تلقن اساليب الكتاب والخذو على مثالهم غير مستامن للملكة المنشئة التي لم تكن قد استحكمت في نفسه لان مادتها لم تكن قد تهيأت وكذلك لا تلبث ان تنتقل من تلك المقالات التي كانت يقدمها في طريقه مسهّدياً بتأثيراتها لدى الشعب الى اليوم الذي استقلت فيه طريقته فكتب المقالات مطلقاً العبارة طلقاً المعاني شوارد من كل صوب يصعدن كل جبل وينزلن في كل وادٍ والوجهة واحدة وهي اصلاح حالة التطار

وهنا لا اجذبداً من قطع سلسلة الكلام والاعتذار الى التاريخ عن عدم ايراد الشواهد لئلا احتاج الى تقطيع تلك الحلقات المتصلة فاردّه الى اللغات يجد فيها حقيقة ما قدمته . ولما كان الفقيه قد بحث في السياسة بين

خارجية وداخلية رابت ان انقل رسمه على هيئتين هيئة ينظر فيها الى الدول في احوالها وخصوماتها الداخلية وهيئة ينظر فيها الى الدولة العلية ويخص منها هذا القطر السعيد . اما مقالاته في السياسة الخارجية فكانت الفقيه يطلق فيها فكر الحكيم المستدل المستتج لا فكر الخبير المتنبئ بطرف من دسيسة حاضرة على حادثة عظيمة نتولد منها وعليه فتراه يكتب عن تلك الاحوال وكأنه الناصح لديه الخيوط مغنطة فيخنار كل خيط منها للمكان الذي حقه ان يكون فيه ثم يبرز ذلك النسيج محكم التركيب صادقاً في وضع كل خيط مكانه وفوق ذلك مفوّفاً بالطف التفويف دافعاً للملل من سرد الدلائل ونتائجها . ولما كانت تلك المواضع يهيمه الاطلاع عليها وليس عنده داعٍ من نفسه او من الظروف ليدخل عواطفه فيها كان يتغن في مقالاته الخارجية تغن المتفكر بنش الدسائس واستنباط خفايا السياسة صادقها وخادعتها ويرى الدول الكثيرة تتحرك من حوله فيشتغل بها فكره ولا ينبض لها عرق في قلبه الذي وقف امياله للدولة العلية عموماً ولمصر خصوصاً . اما من حيث السياسة الداخلية فنذ استقر رايه بعد الاضطراب وتزع به شرف النفس وطهارة الذمة الى ايفاء اوطانه حقوقها على كل عثمانى صادق لم يعرف سامة في الجهاد ولا جبناً لدى طلب الاصلاح مع المضايقة الشديدة والضغط العنيف على الجرائد في تلك الايام حتى اذا جاءته الليلة الهائلة ليلة فرّ واخوه سجين والخطر حائم فوق رأسيها والدول جميعاً موجهة النظر الى شأن مصر واليهما لم يرد الله ان يضيحا مع

كونهما تقدما للضميمة وابي الحق ان يحل الاجانب بعد ذلك هذا القطر
ويستمعوا فيه دون مستصرخ عليهم ان ظلموا او شاهد ان اثما فانجيا من
العقوبة الموبقة وخرج السليم بعد ذلك مشيع الراي حزماً من برق السيف
الذي شر عليه في الساعة المدلهمه ومشيع القلب دماً من دم الحمية التي زادت
فيه فجاعة تلك الغمة فكتب بما خفق به فواده الوطني وقيل (هذا الرجل)
بصوت واحد من افواه جميع الامة ومن ذلك العهد ترى مقالاته خرجت
من حد التحسن الى حد التكامل لان شرائط السياسي المحنك في السياسة
الاهلية قد غمت فيه بما تقتضيه من العلم الواسع وطويل الاختبار ومراس
التجربة التي تعرض فيها المهجة للسفك ورحم الله من قال
ولا يتال العلي من قدم الحذرا

ولقد شعر رحمه الله منذ ذلك العهد بخوف على القطر من يد الاجنبي
فقال بالاصلاح ونبه وحذر وبسط الطرق التي تسد بها ثغور المالية واوصى
بجمع الكلفة العسكرية واتقان ضبطها حتى اذا وقعت الحادثة الاخيرة قاومها
بما في وسعه وخوف الوطنيين من اشر النتيجة التي جرهم اليها قوادها
فلم ينهبوا لكلامه الا وقد فعلوا فعلتهم فدخل الانكليز القطر وقضي الامر
واعتبر المصري طفلاً عبث بيته وبيت ابيه ووجب ان ياتيه وصي غير ذي
نسب اليه ليصلح حاله ولا اظن غنياً او تم صغيراً الا وهو يذ كر شيئاً لوصيه
القريب فكيف ما يذ كر من ذلك للوصي الغريب وهذا ما اجفل له قلم السليم في شدة
وطنيته فاخذ يراقب المراقبين فيما اتمنوا عليه غير هائب وعيدا ولا طامع

في وعد شعاره الحق والحق يريد فلا يكتب سطر الا بنصح او تنديد
يعودان بالخير على البلاد الا ان الخوف ساد -يناً على الشعب وذلك لجهالة
لانه كان يحسب المدافع الانكليزية جواباً لكل اعتراض منه فمن اخلص
لوطنه ففي سره كانه يرتكب جريمة ومن كان عثمانياً خاف العقوبة بمر كره
او مصلحة من مصالحه لعثمانية ولا سيما بعد اذ حبطت المساعي للمؤتمر الذي
كانت الدول قد عولت على عتده في لندن للنظر في مسألة مصر فبينما
البحر راقد ولا فكار مستبينة غير ساكنة والغيرة الوطنية العثمانية يتنفض
نورها الضعيف في بعض القلوب كاضطراب النور الشحيح الذي كاد ينضب
زيتته اذهب من الاسكندرية نداء طبق العاصمة ودار في اطراف البلاد
فاج له بحر الخواطر وانقلب النور ناراً تتوقد في القلوب وكبرت نفس
العثماني ان تكبر بعض المصالح الذاتية على شرف لقبه وقال المصري انا مصري
عثماني جهاراً على رووس الاشهاد وكان ذلك النداء نداء النسر من قبة
وطنبته والاسد من جوف عرينه بل مقالة عنوانها (الجامعة العثمانية)
ومن ذلك العهد تعانقت قلوب المصريين والوقت عواطفهم في ملتقى واحد
يسمى الراي العام

وما زال السليم موقف هذا الراي ومنتزه سوراً بحارب به كل من رام
مضرة بالبلاد ولا سيما بالفلاح المسكين الذي طالما خفف عنه الضرائب
بضراعاته وشكواه وملحوظاته وافادته وطالما علمه حقوقه مما عليه وله وكرم
له نفسه لتكرم عليه حتى البث ان تعلم ونسرف ونهض من وهدة الجمول

التي كان فيها، حفر الراس الى شرفة العضوية الممتدة في الانسانية ولئن كان
لم يزل فقيراً لتثقيلاً الاجانب عليه وجهله الاقتصاد فهو قد اصبح عزيزاً
معتزماً ذا رأي وقول مسموع. وهذا رجل الوطن الى اليوم الذي استقرت
فيه الاحوال على هذه السلم الملتحمة لتعقد السياسة في كل الدنيا وارتباط
المسائل بعضها ببعض حتى يقدر الخبيرون ان الحرب الالية تكون قيامة
ذات زلازل ما دام سلام اليوم حرباً بما فيه من البلبال والشواغل وما زال
رحمه الله يراقب ويحاسب ويجاهد ويتناضل الى ان عرته تلك العلة الشديدة في
قلبه الذي قتله سراً على مواجبه حتى توفاه الله وقد عرف الخافقان قدره
وملات الدول بالوسامات صدره فنام نومة التعب وبكته الامة والفضل
والعلم فعلى ضريحك يا سليم سلام فهو الضريح حوى من اثارك ذخراً كريماً
واصبح هيكلًا للوطنية ابدًا يتلى عليه حديثك الذي لا يصبح قديماً
وللفقيد رحمه الله من آثار اعماله في صباه تاليف ناتي على ذكرها تبعاً
وقد حال دون طبعه انقص اجزاء منها تنقطع بها سلسلة المعاني فمن ذلك له
ثلاث روايات صغيرة صنعها في صباه لتمثلها تلامذة المدرسة البطريركية
وكانت لها تلك الرنات الشبيهة نخس منها رواية ميتريدات المبرية عن
الفرنسوية من تاليف الشاعر العظيم راسين وقد ذكر لنا احد اتراب الفقيد
ان هذه الرواية لما مثلت ولم يكن فيها عيب الا طولها اخذت بمجامع الافكار
مدة ٦ ساعات حتى لم يبق اديب من الحضور الا قرظها وكان في ودنا وسلمت
هذه الرواية من خدوش الايام لنقدمها مثلاً للمؤلفين يحذون عليه في تاليفهم ثم

رواية ايوب وهي من الجيدات التي لا تزال تدوي بذكرها محافل الادباء
وله كتاب في التاريخ القديم مفقودة منه بعض اوراقه ولكنه من حسن
السبك واتقان سرد الحوادث بكان وهو يبحث فيه عن الامم السالفة غير
مستثن منها احداها

وله تاليف صغير في ترجمة النحاة الشهيرين مكتوبة فيه كل ترجمة
بضعة اسطر واعية لاهم واوسع ما يذكر في مثلها عن اصحاب التراجم وله
فصل طويل مستوف قبائل العرب وانسابها باجلى بيان واقرب ماخذ

وله في الصرف والنحو الكتاب المعروف بمدخل الطلاب الى فردوس
لغة الاعراب وهو مبني على اسهل طريقة كتب فيها بهذا الفن واقربها تناولا
واجمعا معنى على قلة مواد المطلوب حفظها وله مختصر في المنطق هو من
اليساغوجي في احكام ضبط احكامه ومثانة عبارته كالجديد المنقح المطبق
على احتياجات العصر من القديم البديع الذي لا يفي بتلك الحاجات وله قيود
كثيرة جمع بها ما اكثر من شارد اللغة وشاذها ولكنها غير تامة وكأني
بدقتر من دفاتره الجسام قد بدأ فيه بانشاء معجم لالفاظ اللغة غير ان قليل ما
وجدناه من ذلك لا يكفي لاطلاق حكم عليه وله مولف مطول مستوف
شروط الاتقان والصناعة في البديع وانواعه مع الامثلة على كل فرع من
فروعه وقاعدة من قواعده بايات قديمة من الشعر الجيد الذي يدل على
حسن ذوقه في الاختيار واتساع محفوظه من درر اللغة اما القواعد فكثيرة
التقسيم وجيزة العبارة بمنتهى السهول قوله ايضا شرح موجز على ديوان المتنبي

وله أيضاً رسائل كثيرة الى ادباء العصر لم نظفر الا ببعضها نذكره
 دلالة على سائرهما فمن ذلك تعزية في الشيخ بدیع الياقي استاذہ في الفقه
 يشق والله عليّ ان يكون كتابي هذا مظهر تعزية لفقد من كان يرجو
 له الوطن العزيز بقاء اطول ليمتع بوجوده ولو انه سيدوم متمتعاً بمنافع
 آثاره ولم يمت من ترك الخلف الصالح ولا حاجة لان ايمن لك ايها الفاضل
 مبلغ اسفي على الرزء الوطني به فان فقد المرحوم انما هو خسارة تتناول كل من
 عرف قدره والله نسأل ان يمتعه بفردوسه ويلهمكم من بعده صبراً جميلاً
 ويكتب لكم به اجراً جزيلاً بمنه وفضله
 وله في عزيز قوم

لسنا كالامم لان لنا رجاء فلا داعية الى الشجن اي نعم اننا فقدنا من
 عاش حميداً ومضى فقيداً ولكن تلك غاية كل حي وان طالّت سلامته ولم
 يمت من اعقب رجالاً لهم في سجل المدايح صفحات تذكر وفي اندية المحامد
 مقامات تشكر لهم الله افئدتكم صبراً وكتب لكم به اجرا

وله من رسالة السيد السند اطال الله بقاءه لا اذري اسيه
 الثلثة اهني اياك ام الرتبة ام نفسي اما انت فبتساميك وان كنت فوق ما
 نلت واما هي فبتشرفها لانها دون من سعت اليه واما انا فلاني اول مخلص
 لك ودك فتهنئي بما افتخر به لك ويا حبذا لو كان لي مداد برقي وبراغ
 كهربائي افيك به حقك من سروري ولعل ما بين قلوبنا يقوم هذا المقام
 عني فاقول

فان اشكك اراجع فالدليل معي وان تشكك فراجع فالدليل معك
وله من رسالة ايضاً دولتو افندم حضر توري

من لي بمثل يراكم الذي مداده البرق وطرسه الافق ومعانيه
الشهب الثواقب فافيكم به حق الوداد الجزيل على ما اوليتمونا من الشان
الجليل ادام الله جلالة مولانا السلطان الاعظم ولا برح لجبين الفخر غرولعين
المجد قره ولهاء الحكمة نورها الباقي الباهر ولرياض السياسة وردھا الزاهي
الزاهر ولللامة نبراسها الساطع وللوطن شهابها اللامع وادامر جال دولته القوام
ولاسيما من تقيأت العدالة في ظلاله وافخر الدستور بعنائه فانشد لسان حاله

يا جودة العدل دم نبراسه وإمامه

تلقى الذناء بجنبه وترى الولاء أمامه

ومن جيد شعره قوله من قصيدة

مرودة المرء في صرف من الزمن
وللعظائم قوم لا يروهم
من كلف النفس امرأ فوق طاقتها
على الرجاء تعيش الناس كلهم
المرء العنان الى مهد السيادة في
وكن شجاعاً اذا اشتد التزال ولا
وقوله من قصيدة

لي بينها بانه بالحسن مورقة
وظلها لغواد الصب كالهب

فتاة اللخط ادمتني بوارقه
 تقول ان فتكت فينا نواظرها
 مرسولة الثغر شاقني الى الضرب
 السيف اصدقُ اُنْباء من الكتب
 اني اسير هواها فهو قيدي
 كأنه مدح ذي اللطاف والادب
 سعد مضاف الى مولاه مكتسب
 من المضاف اليه رفعة النسب
 وقوله في ترك السيكاره

عذل التدخين قوم قدراًوا
 قال دعها فهي سمٌ نافع
 ان تكن سماً فاني نعرق
 وعليه فاعزلوا او فاعندروا
 ان حلالاً او حراماً شربها
 يدي سيكاره اعشقها
 قلت لا والله لا اعنقها
 شرها بالنار اذ احرقها
 فعلى الخالين لا اعلقها
 فانا الصب الذي يعشقها

وقوله من قصيدة

حياك مولاك والاسعاد حياكا
 سبحان ربك صاغ الكون من خزفي
 يا من سنى البدر يبدو من محياكا
 وانت من معدن اللطاف سواكا

وقوله من قصيدة

ثنت بالخلي والقدا ملد
 وراشت من لواظها نبالا
 تجلت فوق عرش الحسن تبيها
 زكا في خدما قيس اذا ما
 نغت النعن في ورق تاود
 واشهر جفنها سيقاً مهند
 لذا كل لخدمتها تجند
 محوسي رأه له تعبد

ومن تواريخه في صباه

سار ابن بوز تاركاً دار الشقا ومضى الى دار البقا متهاطلا
والله في الانجيل ارخ سيره لاقى تخلصه استفانس اولاً
سنة ١٨٧٢

وله من تاريخ لضميح عزيز قوم ناداه بالتاريخ عند وفوده
لك جيتي يا من سمعت لجيتي
١٨٧٢

■



من أوائل شعره ما قاله في عام ٦٥ مؤرخاً ميلاد أحد الأمراء الشهابيين
 بزغ الشهاب اليوم في أفق العلى فجلا غياهب أرضنا لما انجلى
 طفعت بشائره على أقطارنا ورداً فصادف كل ظام منهلاً
 والسعد نادى حين أرخ جوده بزغ الشهاب اليوم في أفق العلى

وقوله من قصيدة في عام ٧٠

غزاني بالقنا والصبر ادبر هلال في سماء الحسن اسفر
 لقد خطّ الجمال على جبين له سبحان من انشا وصور
 ارانا من صفاء الثغر منه زللاً بات عند الرشف سكر

وقوله

عرفت معانيه من الادباء وعلت مدائحهم على الخطباء
 قد اسكر الالباب خمر قريضه شان بين النظام والصبا
 لله من ابكار افكاره قد اطلعت بدرًا بجنح مساء

وقوله في المديح

حيارى الشرق بالاسعاد كوكبه فتم من وفده بالانس مطلبه
 نال الرئاسة عدلاً وهو سيدها فيه استعزت وفيها راج مذهبه
 اليك عني حديثاً عنه يطربني وان يكن في مديح ليس بطربه

وقوله

فرق الورى عن بعضهم فيما يرى اذ ليس حكم للتساوي قد جرّى

كلُّ له شاةٌ بما يصبو لهُ فلذلك قد وجب التخالف في الورى
فالبعض يصبو للجمالة دائماً ويرى العلوم لديه موتاً احمر
والبعض يصبو للعلوم واهلها فينال من خوض البحار الجوهر
وقوله من موشح

صاد قلبي اغيد مثل القمر حسنه اهل البها طراً قر

دور

ماس عجباً بين تبه ودلال فابان القد عن حسن اعتدال
وانثنى يسطو على اهل الجمال فلذا ناديت لما ان خطر
يا معاني العشق دع عنك الخطر

دور

قد اعار البدر من باهي سناه واعار الشمس من سامي بهاه
واجاد اللطف فيما قد حواه فتذكرنا الصبا وقت السحر
وبهذا كل لب قد سحر

وقوله من قصيدة

لقد بزغت بحمر الوجنتين فشاهدناها كالجنتين
فتاة حبها قد بات ديني ولكن عهدا قد صار ديني
ثنت واستطالت في قوام به قلنا الردى شبه الرديني

ومن قوله في الرثاء عام ٧١

يستوثق المرء في احكام دنياه وليس ينظر في حكم لاخراه

يخالط الدهر في هم وفي محن
ويحسب الكون عبداً وهو مولاه
ومنها

له السجايا التي صغ المديح لها والمرء يعلو سواء في مجاياه
قد قال شاعرنا معنى اخمنه الناس لولا سجايا النفس اشباه
وله من قصيدة

قرت بفضاك اهل البدو والحضر وفاق قدرك متن الشمس والقمر
بك العيون استضاءت والمواطن اذ بزغت بدر اباج السعد والظفر
يا حكمة قل حاويها ويارجلأ قل النظير له في موضع النظر
وله مورخاً وفاة عالمنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي

ثل عرش العلم يا اهل الوطن مذ قضى ناصيف ميزان الفطن
مات علامتنا الفرد الذي كان بالآداب قطباً للزمن
فعلوم وفنون وعلى بعده اضحت بنم وحزن
فأق التاريخ في انشائه ثل عرش العلم يا اهل الوطن
وله من قصيدة

وجب امتدادك بالحقيق الموجب يامن غدا في الشرق افضل كو كبر
قد خصص النظام الرقيق عروضة في بث وصفك بعد سرد الاضراب
غازلت افكاري بحسن صفاتكم فرأيت غيركم كبرق خلب
وله في الرثاء

في كل يوم للصحاب مودع وبكل آن للاحبة مدمع

يا طالما نصبح الزمانُ رجالهُ
فراى نصيحهُ بهم لا تنجحُ
خلت المنازل من رجال شيدوا
ابراجها وكأنها هي بلقعُ
خطفت ايادي البين منا قاضلاً
امسى لفرقة الصواب بضيع
واقاه داعي البين غدر افانثي
عن ارضنا وله القلوب تشيعُ
يا طالما جبر الكسير وطالما
اغنى الفقير بما به يتبرعُ
وفي ختامها

زاد الصلاح اجل زادفا كنزوا
منه فليس بدونه ما ينفعُ
وله من قصيدة في الامير عثمان الشهابي

من مطلع السفع في نمان نمان
ومن قدود بنات الحلي اغصانُ
وفي مراتب ذاك الربع قائمة
ترعى قلوب اسود العشق غزلان
آرام انس لها في قلب كل فتى
محل حب وفي الافكار ميدان
يا ايها العرب اهل الجود دونكم
صبا براه الهوى والجفن يقظان
كم من بشير اتي منكم وساد على
مواطن الشرق حتى قام عثمان
هذا الامير الذي في نغره شرف
ومن فضائله امسى له شانُ

وله مؤرخاً وفاة هيكل الغريب سنة ١٨٥٠

اجرى دموع بني الغريب فقد من
قد بات عن دار الشقاء مغلقاً
فد بات في دار السعادة يسمُ
ذكرًا به سلك المدايح ينظمُ
تادت له حسن الفضائل هيكلًا
في الخلد وهو يروضه يتنعمُ
ومسطر التاريخ اكد كاتباً
في هيكل الملكوت هيكل يندمُ

وقال يمدح سمو اسمعيل باشا الخديوي الاسبق وذلك اولاً بقوله
 خير العزيز بها اسمعيل مال له بالبشر يحبي مديماً كامل البشر
 ليث وقيل عزيز الدر بدر ملا يحبي انبرايا بخصب حاكم الوطر
 وهذان البيتان يتضمنان ثمانية وعشرين تاريخاً هجرياً لسنة ١٢٩٢ وذلك يحصل
 من كل شطر منها ومن مهمل كل بيت منها ومن مجمله ومن مهمل كل شطر
 مع مجمله كل شطر فيها وبالعكس صدر الصدر وعجز العجز وبالحلاف كما
 يظهر بالامتحان. واستنبع ذلك بقصيدة ضمن كل بيت منها تاريخين لسنة ١٢٩٢
 ايضاً. وافتتح صدور اياتها بحروف اذا جمعت على الترتيب خرج منها بيتان
 يتضمن كل واحد منهما اربعة تواريخ للسنة المذكورة. وجعل الايات المصدرة
 بحروف البيت الاول نسبياً والايات المصدرة بحروف البيت الثاني مديماً
 اما البيتان فما هذان

بمصر ظلل علي فيضه وفرا عنا الخليفة . فضلاً دام منهمرا
 غنم وملك علو . هام غامره كدأ وكل يتاغي قم . نل الظفرا
 واما القصيدة فهي قوله

ب | بانت تبسم نأ عن اقاحيا مليحة جاوزت عقلي معانيها
 م | مهاة انس لها بالقوم معجزة تسي العقول ولن يحكي تجليها
 ص | صبراً أعاشقها مما تحيك به من الدهاء علاجاً في ثنيتها
 ر | رأت لآلي بالايحاب ساقطة واصبحت تدعي ما عد في فيها
 ظ | ظل الهوى موصلأ هو لا يعيد به على متبهم ريباً وتنيتها

ل الحظ هول مبین لم بین حیلًا
ل لم یا عنولی بما للوم لی ارب
ع علی بیدیہ سری من فوق طرتها
ل لما بدا خالها یسمو یجنتها
ی یاربة الحسن لم یقبل هداه شج
ف فی بسم العز جئت الیوم مالکة
ی یاورد جنتها أشرب طائفًا ابدًا
ض ضاع الموی وینا مر یدیم به
ه هذا فوادی لبکر کل واصفها
و وحق مقلتها السوداء طائفة
ف فرت بسیف یری فی عین حاجبها
ر رمت قسیًا بقلب لم یدن ریبًا
ا ادماء تعنی عیبًا قد تململه
ع عرج رکابک یا من کد منثنیا
ن نمت لفرع دجامن نصعها مقل
ا المسک من خالها المسود سرحه
ا اذاقنی هجرها حملًا والنیب
ل لعرش عرک یا بنت البدیع جی
خ خلی سواک یری فی جملة طربا

من درة لم یقل شبه یدانها
فیه وخل الشبی یحوی الحنا فیه
ید وتکتب ودأجل منشیها
دعوت حبة قلبی کی یجارها
بترکه انما یوفیه تمونها
فی عرش حسن بهی یزهونتا تها
من کوثر القم واتزع من یداعها
افشا وروحي لمن احببت القها
ضعفًا افاد الامانی من دواھها
ما دان راجی الهوی لولامواضها
من صد لومًا تخفف من یعادها
خوفًا من الوفد بل بالصبر یوھها
ھیامہ ورضی إعفا مبادها
عن بأس من لم یقم مثل ییارها
تھدی بحاجب عین آب هاویها
ذکوثر نار بوصل الحب یصلها
بثقله وانا اوی فی تجافها
قلب الرعیة ملک رام یصبها
فدولة الحسن ما اکتد معالها

ل لوزي بوجه يسود الحسن صورهُ
ي ياقوت دمعي دماً القيتهُ ومدى
ق قامت بقامة بانٍ لم يطل لها
ت تهنئي وصولي ولا تنسي سلب نوى
ف فودي قد ابيض من بعد يدين له
ض ضمّ الهيام لنا وجداً نجبر به
ل لي بالمضارب حبٌ لا يلين له
ا اذا قهرمها ما ساء في كبدي
د دعي لحاظك عني انني ابدأ
ا ايمان قلبي مكين ثابت وجوى
م ما جئت وارسلت الداجي وفاح به
م مليكة ملكت عقلي فجاء بها
ن نهودها بين صدر مذهب حسن
ه هذه محاسن حالٍ لاشبيه لها
م ما قاومتها بنات المجد في دمع
ر رُح يا غدولي فغي لم يحك حيلاً
ا السعد بادٍ وطب الدهر يخبرنا
غ غنم الملا بهناء حائطٍ وبها
ن نبع المصكارم جفن الدهر منعشه

م مهدُ المعالي وفي الخير حافله
 و وفرع قرم له صيت يمد به
 م محمد وعليّ الشان من زهرت
 ل لله من ذكره الباهي يقوم به
 ك كفاه ما نال من فخر به
 ع علاه على الورى سعاداً ومرحمة
 ل ليك يا ناظماً وصفاً يجلب به
 و وقل لساحات نار الحرب في نكدي
 ه هذا ابو الحرب ابراهيم وجه ندى
 ا اكرمها نسبة طابت فباح بها
 م مضوا وابقوا لنا من بعدهم بدلاً
 غ غاب العنا وبدا مجد بطي هنا
 ا ابو الفاخر اسماعيل زهو علا
 م مالت الى دره الاكوان جانحة
 ر رُح شم معاله الجنات وانح بها
 ه هذا هو الحرم الاقصى يزبل به
 ك كبرور غم باعلى الصوت في حوّل
 د دانت لهيته الآساد عن سحق
 ا أردى العدى بدثار قدأ ماد لهم

جاني ثناء امير العرب واقيا
 جالي ثناء معاني حار قاريا
 بشخصه الناس عما هب يديها
 انعاش خلق بلوجال يواليها
 وقد غدا حكم الايام هاديا
 بذلك الشبل أي الناس باها
 جاهد وقل لم يحز في الدهر تشبها
 من بعد نار خليل طاف يطفئها
 ليث الطراد دوالقرسان تحيها
 شهد السلالة صدقا جاء يروها
 ذاك الحسيب فقيه النفس زاكها
 برقة الدهر مدح الناس معلها
 أم المعالي بباهي الاسم قاضها
 الى فراديس خير حج ناحها
 جنات عدن ترد ما لا يحاجها
 نبل الحوادث من قدأم أوجها
 هذا ابرؤ الورى ديناً وحامها
 مثل البلاد بما آبت أقاصها
 لطم المنون فضلوا في بوادها

ورام سوداً بيض لم يمد لها
 ككل يخر له رعباً أحمر لهم
 ل للناس من كفه فضل أجاد به
 ي يا مصر قاهرة الدنيا علاك حيي
 ن نادي بفرع به التوفيق عن أسس
 ا أتبع يباقي فروع ادر كوا وكفى
 غ غني بمجد عزيز ماجد بطل
 ي يا ذا المعالي ويا ابن العزمك على
 ق قف واعل الجدهيباً انت موجد
 م مكن قرار سماح انت مبدعه
 ن نذاك احيا الوري قسطاً فكرمة
 ل لما رأيتك فرد الناس نجم ملا
 ا أقبات من بر شام موجد املا
 ل لجأت وافيت منفاد اميد على
 ظ ظل علي به نحيما نطيع ولا
 ف فالحظ ابا الجود عبداً طالباً دسماً
 ر راق امتداحي وانشا اطمى حكماً
 ا اهديته بنت فكر حاك مولداها
 الا ذراعاً لدا في نواصيها
 فالنح نقصر حرباً أن بانيتها
 بدون وعد ودين جاء يغنيها
 بمسلك الجود باهي الخلق راقها
 نعمة هو ظل الناس عاليها
 ما ادر كوا من صفات رد محصيا
 راق المراتب ساطع في علاليها
 سواك فيض وجدوى ساد دارها
 أبصر صروح المعالي انت مبدعها
 ونح علة سقم انت آسها
 من جود كف بها ند غواذها
 شريف حلم هتون السحابها ميا
 بمصر ارشف كأساً عم صافيا
 هذه الربوع بين في نواحيها
 نهدي سوى نعمة يدنو تساميا
 من خير كف بها دل لزاخها
 نعي معاني قد ازكت مبانها
 ما حاز والان قد تمت قوافيها

وقال يرثي العالم الاديب والكاتب الاريب والشاعر الحاذق والفقير
 الصادق والطيب النطاسي والرياضي الالامي المرحوم لمحم افندي
 الشميل المنتقل الى رحمته تعالى في لبنان عام ١٨٨٥

حكمُ البَيْنُ بيننا بَعادِ فأنشعنا الشجون ثوب حدادِ
 رحلَ الصَّحْبُ غفلةً فألفنا بعد ترحالهم طويل السهادِ
 يا حاكمَ اللهُ سبروا حثيثاً عن حمانا في عرض تلك البوادي
 يا مطايا الصحابِ خفّضْ وطناً فتراكن طينة الاكبادِ
 احرقها لظى المنيّة غدراً وذرتها في الارض ذري الرمادِ
 واغندت طينة بدمع فقلنا خفّ السير والتدُّ يا حادي
 لا اقولُ القوَادُ معكم لاني لا ارى حرقه بدون قوَادِ
 شئتُ شملنا المنون ولكن لا ارى غيرها لجمع العبادِ
 يا حياة ما رابنا منك موتٌ فهو لا شك منشأ الاجسادِ
 ما خلقنا كما اردنا لكما تنفيا ظلّ البقا عن مرادِ
 ساعة الموتِ والحياة لحظٌ مثل هذا كساعة الميلادِ
 ليس بين الحياة والموت فرقٌ فالتساوي اتي من الاضدادِ
 فهي عنه معلولة وهو عنها يتأقّى تكافؤاً باطرادِ
 حركاتٌ في الكون تبدو لعينِ لك ولكن سرها غير بادِ
 يخبطُ الناسُ خبط عشواءٍ فيه باعتساف الاغوار والانجادِ
 غاية العلم بالحقيقة جهلٌ كانتماص منشأ فرط ازديادِ

ذلك السرُّ يعلم الله لا غير
 ليس اولى من الحقيقة للرء
 مع هذا يرعى الحقيقة وهما
 يا لجرح اصاب قلبي وما من
 قَبَسٌ احرق الفؤاد ولا غر
 ورمى العين بالبياض ففاضت
 بان عنا من كان منا ولكن
 قاجأتها المنون غدرًا لكي لا
 يندب الشعر فقده فهو امسى
 يا لها الله من عرائس فكر
 سائرات بكل معنى بديع
 زانه واجب الوجود بعقل
 كان سامي الحجب بديع السجاي
 ثابت الفكر ما تعاصت عليه
 شاعر ناثر فنيه طيب
 طالما قال حكمة عززتها
 كان في حلبة الجدال يذيق
 كان في الحاليتين يسر وعسر
 من تراء يا ابن التمثيل يسلو
 وما من دون المهيمن هاد
 ومن لي بثلها في الرقاد
 فهو لاه والموت بالرصاد
 ملحم بعد ملحم في البلاد
 وقد سال منه قلب الجاد
 حين ولى انسان ذاك السواد
 كان في فضله من الاحاد
 يفتديه من صحبه كل قاد
 بعد رب القريض دون عماد
 خطبتها عقول اهل الرشاد
 سافرات لكن بثوب سواد
 عد في من خيرة الافراد
 وافر الفضل كعبة القصاد
 مشكلات ولا قضى بفساد
 عالم حاذق وطيد السداد
 بالمعاني شواهد الاستاد
 خصم مر الجلال دون جلال
 واحد الطبع والحصل الحياد
 لك ذكرًا معطرًا كل نادر

رحت عنا والدع يجري صبيهاً
 قد خططت الرثا باحمر نفس
 لم تأسلوك ما حيت فزني
 لست أسلوك ما شجا الصب هجرا
 سرّ بيني فالله خير وابق
 وجميل الفعل افضل زاد
 ومخينا فالجفن ريان صادر
 فدمائي عصارة لمدايب
 جمرات تذكى بطول التادي
 نوما اترعت ثراك القوادي
 ورجلنا افضل زاد

وقال مؤرخاً

تواري ابن الشميل علي رمس
 تاسمت نفسه فاستقدمته
 عهدتك ملحماً للبحر لكن
 رغبته عن الشقا فغربت عنا
 جعلناه به للصعب قلبا
 الى اسمي من الدنيا قلبي
 رايت بفقدك الايجاب سلبا
 ورحت مؤرخاً فرغبت رباً

وقال يهني المغفور له توفيق باشا خديوي مصر بوصول نجليه

ولي العهد وشقيقه

لك يا توفيق مصر
 يا عزيز القطر رب
 يا ابا العباس يا من
 سد تلطف جد تعطف
 يقرأ الدهر التهاوي
 السيف ثم الطيلسان
 لك يعنو الثقلان
 من تصرف في الزمان
 فلك الله حفيظ
 وبك الاحسان دان
 انت ما بين الملا في
 دهرنا ورد الجنان

بك مصر قد تسامت وبانجال حسان
واستأثر الثغرة لما لاح فيه الفرقدان
ركبا الفلك وآبا بسلام وامان
يا له يوماً سعيداً كان يوم المهرجان
اقبلا واناس تدعو بفؤاد ولسان
فاعبرنا ذاك معنى من معاني رمضان
بركات الشهر تمت وبها نلنا الاماني
وصلا للثغر ارتخ فاضاه القمران

١٣٠٤

١٨٨٧

وقال بينته بعيد الفطر وعيد الجلوس

أهداك من خال الحدود شقيقه وهداك من قر السماء شقيقه
ودعاك من ربع الحبيب بريقه ورواك من عسل المرائش ريقه
وشجاك من قلبي الشجي أسيره وحماك من دمعي الغبي طليقه
يا اهل منرج اللوا عطفاً على صبّ تجنبه الصفا وفريقه
لي بينكم رشاً اغن مهيف طاوي الحشا لدن القوام رشيقه
رشاً تجماني ظاعناً وظلعونه اكباد سكان الحمى لا نوقه
أو ما رايتم كالبحار زفيره فالنار قلب والبخار خفوقه
يا طالما نثر اللالي مدمع حتى بدا بعد الفراق عقيقه

أترك تنظر أفق قلبي مظلاً
سرق الدجى من فرعه الساجي كما
وقضى الموى ان لاهدى لبني الموى
ديار وجنته قضى مجبوعه
فابتاع حبات القلوب جديده
فتنازعا اهل الغرام وليس من
قد ملني صبري فكيف يطيقني
وابتزني صبحي به والراء ان
قلبي الي حب الكرام اشوقه
ويدي الى نيل العلا امدعا
توفيق هذا القطر مشكاة الهدى
ملك يحرك اريجته الندى
ان كان ذاك الاصفر الوضاح يح
فلفيه عند الورى مقرونه
يرعى الرعية ساهراً فلاءها
والعدل مقرون بعروة حلمه
يا سيداً اخذ من رقيقك درة
قد قل من وفي القريض حقوقه
وتكاثر المتطفلون فأخروا
اذ لا يفوتك ان سرى عبوقه
سرفت من الحظ الرشيق بروقه
حتى يرد لفرعه مسروقه
ان لا يعز بصرفه تفرقه
واضاع ما ابتاع الجديد عتيقه
قاضي بضح لدس القضا تحقيقه
وملته كرهاً فكيف اطيعه
اخني عليه الدهر قل صديقه
ودمي على كسب الفخار اريقه
وثنايى نحو خديو مصر اسوقه
فرد الورى سامي الفخار عريقه
فيمد قاصده وفرج ضيقه
سب سيداً في الدهر فهو رقيقه
ولدى سماح اميرنا مفروقه
مطلوبه وصلاحيها معشوقه
هذا مريبه وذاك رفيقه
هي في القريض بديعه ورقيقه
فلذلك قل مجيده وحقيقه
عنه الذين بهم تصان حقوقه

لولم يُعج منه اليّ صبايةً ما لذّ لي بعد الصفا راووقه
 لولا صفاتك يا ابا العباس ما حسنت بضاعته وراجت سوقه
 فاسلم فانت لمصرنا توفيقه واحكم فانت بقطرنا فاروقه
 فبك استتبّ نظامه وشؤونه عليك قام غروبه وشروقه
 واليك كان ضوؤه وزواحه وبك استطاب صبوحة وغبوقه
 لا غروان فاق البلاد بسيد لا سيد بين الانام يفوقه
 سئل الزمان بمن ترى توفيقه فاجابهم ارخ هذا توفيقه

١٣٠٤

تاريخ الجلوس

مصرٌ بعيد جلوس والي امرها تلو على الايام آية شكرها
 ما حلّ منها ثمرها الا اكي بجلودى التاريخ صايف ثمرها

١٨٨٧

وقال يهنئه بعيد جلوسه

كنتم الوجد قلبه فتكلم حاله عنه والفؤاد مكلم
 لا يكتّم ميمٌ وجده اذ ليس يخفى في الناس حال متيم
 كل ما خالف الطبيعة لم ي نصب القلب للهوى فاره
 نص ما في كتب النحاة تعلم شارطات والفعل بالشرط يجزم
 جزمتم فخله نواصب لحظ

يا حليف الغرام ما ترجي
قال اني بذاك احيا وهل ين
ما تلاقي من صدغها غير ما يش
قال انا من نفت لسع ولدغ
كيف يدنيك وجهها ثم لا ي
قال هذا ليل وذاك نهار
ما ترجي من لين جسم ولكن
قال فالمر بين حلوي ومر
ما ترے في انفاس فيها ومنها
قال انا من نشها قد علمنا
ما ترجي بالوعد وهو وعيد
قال اني بالوعد راض ومن لم
ما ترے حسنها وقد ادركت
قال هذا نعمة الحسن بل ه
ليس للمفر المتيم حق
كل من قاوم الذي هو اقوى
ذلك الحق طالما قال هذا
فهو اسم بلا مسمى واني
طلبوه بين الورى فرأوه

تلكم قوة ولا حق فيها بل غدت ردفه الحقيق المحكم
وهو كاد الزمان يرديه لو لم يخصص بظل مولى مفهم
بالخديوي توفيق بابن علي بابي العباس العزيز المكرم
بامير به الامارة عزت وعظيم به الزمان نظم
حاكم بالقسطاس قام وقد قوم للقطر حكمه فتقوم
تخذ المدل كعبة لجاه فكفاء ان ليس من ينظم
وادار الاحكام يديه ذهن ينجلي من مشكاته كل مبهم
وراه آل السياسة في مي لمانها يمتطي اعز مطهم
عامل للذي يراه ميم كل ما حدد الكتاب وعلم
امر بالمعرف ناه عن المن كرمقص لكل امير محرم
قد اعز القطر العزيز بما اذ شاه فيه وما بناء ورهم
نشر الفضل في الرعية لما عزز العلم في البلاد وعمم
عامد الامن مصرنا بجاه وتجلى السلام فيها وسلم
فبذكراه بلبل الانس غنى ويميداه قطر مصر تقدم
لزم افضل والفضائل حتى صار بالفضل والفضائل مفرم
واستمال القلوب انسا اليه فشدنا باسمه اللسان ودمدم
يده تضبط البلاد ولكن لم تكن تستطيع تضبط درهم
قصد البائسون جود يديه اذ رأوه لجرهم خير باسم
يا اميرا صفاته فوق ما خط براع على الطروس ونظم

حلمٌ ممن وجود حاتم طيٍّ ونهى جعفر وعفة مريم
 لا يلامُ النواصُ في طالب اللؤلؤ ان تاه وسط بحرٍ عرمم
 علم الدهرُ انه بك يزهو فتجلى ونوره يتسم
 وذكرنا بيوم عيد جلوس ما به احسن الكريم وأنعم
 فقصدنا ناديك والقلب يدعو لك بالعز والهي تترنم
 ونظمتا في سلك مدحك دراً راح يزري بدر جيد ومهم
 فاقبلها بـكراً لها المهر عفو وقبول فذاك ما لتوسم
 واسم واعظم وسد وجد وتوفق وافقر واعنصم وته وتحكم
 والتقي بالانجال ما نلتني وتمتع بحفظهم وتندم
 وقال مؤرخاً

مصرٌ بتوفيق وعيد جلوسه سامي السماء مقامها بشموخه
 احيا الفاخر والمآثر في الزرى قد شرف التاريخ في تاريخه

١٣٠٦

وقال يمدحه

حسب ما نلتك كفاك كفاك فتمهل فقد وطئت السما
 واحن عطفاً على موالى العالي فهي تمنو تيمياً لعلاك
 طأطأ المجد رأسه عندما عين ثغر السعود يلثم فاك
 ويد القفر نمت عن سداد فوق صحف الزمان اي ثناكا

انتَ توفيقُ مصر بل انتَ روحٌ وهبَ جسمٌ والجسمُ يحيا بهذا
 قد كشفت الخطوبَ عنها وكانت طاهراتٍ منها ذبول ردا
 لم تروكْ حادثات الليالي فهي قرع العصا لمسا صفا
 راعها ان رأت يراعاً يسراك وسيفاً تسلهُ يمتاكا
 قد ذمنا منها البداءة لكن ما حمدنا ختامها لولا
 فيها قد اظهرت فضلك بل اظهرت فضل المولى الذي اعطا
 ورجال الزمان من خوصوا في غمره يتقون فيه الشباكا
 موقفٌ هائلٌ وحلبة سباقٍ قصدوها فقصروا عن مدا
 جبتها اعزلاً وجاؤا كماء فتولوا وقد لزمت خطاكا
 فاتهم اَنك الكبى ولكن رأيتك السهم واليراع قناكا
 ولك الهمة البعيدة يفساها انتباه ومقلّة ترعاكا
 ست مصرًا بقطنة وسداد ورشاد كما افتضاه ذكاكا
 وكفى ان ايقظت رأيتك في تديرها بعد ان انت هواكا
 حكمت القلوب وهو مرأى عزّ نيلاً بل لم ينله سواكا
 فرأينا لواءها وهي لم تعقده الا على وثيق ولاكا
 ورأينا لواءها وهي لم تظله الا بظل مجد لواكا
 يمت ربك الوفود بيوم ذكروا فيه فضل يوم ارتقاكا
 يوم رام الاله توفيق مصر فباها التوفيق اذ ولاكا
 ينقل البرق بين شرق وغرب تهتات تزجي الى عليكا

وخطوط الحديد تستقدمُ الناسَ للغيرِ اضعى بكم ضحاً
كلهم أم قاصداً قصر راس التين شوقاً الى حى مفتاحا
قصر مجد اربى سمواً على ايوان كبرى وطاول الافلاك
نثروا كالحجيج فيه جموعاً وفردى ليظفروا بلقاً
فجليت بدر أنس عليهم واستنارت ابصارهم بسنا
ابصروا المجد والمعزة والاجلال والفخر والبها في حما
شاهدوا هبة الامارة تزدان بانس فكبروا من برا
واثنوا والدعاء مل شفاء وقلوب والقصد طول بقا
حمدوا فيك نعمة الله لا قصروا عن ان يدركوا معنا
فاحب عذراً لناظم لم يطاول فقر تمداحه سمو غنا
واقبلها مع ذاك بكر عروساً وشحتها ثوب الجلال يدا
ونقبل اخلاص من لزم الاخلاص لم ينح عن حماك انفكا
منيتي لحظك القويم وقصدي فضلك الجم والمراد رضا

وقال يمدحه ايضاً

با مليكاً امسى الزمان رقيقاً لك والمجد صاحباً ورفيقاً
كل يوم لنا شواهد تترى منك عما يصون فينا الحقوقاً
تدرك الامر وهو نية قبضة الوقت اسير فيلتقيك طليقاً
وترى رأيك المصيب بما ينفع قطر اراى بك التوفيقاً

ونبر الذي تبينت منه
قد عرفت الزمان ثم بنيه
فاذا مثلت امامك طوداً
وخبرت الرجال خبراً فما من
اذ نبذت الرحيق منهم جديداً
حفظ الله منك مولى كريماً
وادام الانجال اقرار سعدٍ
كل صدق ولم تجده عقوقاً
فكفيت التمويه والتلفيقاً
ماد بل لك ساقطاً مصعوقاً
ذبي مرء يلقي اليك طريقاً
وانتقيت الرحيق منهم عنيقاً
سائداً مالكا طهوراً شفوفاً
في سماء تفيض فيهم شروفاً

وقال يصف الاساطيل العثمانية

تلك الاساطيل فوق النمر ساجدة
دانت لميبتها الانواء خاضعة
خاضت عباب بحار الارض آمنة
اذا شكت سفن الخصم العنيد فلما
وان تشاغل حصن دك عن أسس
تياهها الجن ثم الانس من بشر
هذي قوى الماء فوق الماء ناشرة
وتم في البر جند من بسالته
رصاصهم عاهد الموت الزوام فلا
فيما صوبوه لم يكن خطأ
والنمر منها كسبل وهي كالقلل
فيما قصدت حلت بلا هل
عصف الرياح وقصف الرمي بالكل
نزاهها اوردها الماء للدقل
ولو نطاول مرفوعاً الى زحل
والنسر في الجو مثل الحوت في الوشل
بند الهلال نصف ما تبغي وقل
قد طبق الارض من سهل ومن جبل
يكون مرماها الا مقتل الرجل
كانما هو معصوم من الخلل

وفي الاكف حرابٌ من عوائدها
ان هاجموا جبلاً دكوه عن أوم
تعودوا العسكر في ساحاته فدا
وعلموا الضرب لا تشفى مواقعه
تقودهم قادة للحرب قد ولدوا
من كل اروع ثبت القلب مقتدر
لهم اذا أصليت نار الوغى عمل
وعززوه يبطش من بسالتهم
اذا انتصوا ايضاً للضرب واثمهم
او اشرعوا اسماً للطعن انشدهم
يد العدالة في متنيه قد رقت

ان لا تواصل الا مهجة البطل
او معقلاً تركوه باديه اطل
صاب الوغى عندهم احلى من اعل
والطعن للبيض والخطية الذبل
نلا يابون وقع الحادث الجلل
سميدع غير هيب ولا وكل
بالرأيه يفنيهم عن كثرة العمل
لدى النزال فصانوه عن الخطل
بان يساوي بين الراس والكفل
اعلى المالك ما يبنى على الأسل
في حده قد جعلنا متهى الاجل

وقال في ليلة انس امر باخائها المغفور له توفيق باشا في قصر

راس التين في ١٨ لوليو سنة ١٨٨٩

برج رأس التين افتخر وافدنا
أترك استنزلت برج سماء
فشموس تجلى فجلو الدياجي
قال اني بيت لآل كرم
فهو توفيق من اعز مقامي

كيف ادركت من زمانك سره
ام تراك ارتفعت فوق المجره
وبدور انوارها مستمره
رفع الله في البرية قدره
وأعز الاله في الكون امره

وهي ذاتُ العفافِ والطهر من امست لعقد النساء في الدهر ذُرَّة
 وهُمُ الأَنجَالُ استعزَّت بهم مصرُ وكانوا لعين مولاية قرَّة
 يا اميرًا احيت ليلة أنسٍ وبها قد اثمرت بئد المسرة
 كت للدهر غرَّة ثم للأيام ايامك الزهية زهره
 وباحياء ليلة الانس كانت لليالي اربخ لياليك غرَّة

وقال يمدح جلالة السلطان ناصر الدين شاه دولة عليه ايران
 ويذكر سياحته في اوربا عام ١٨٨٩

كذلك فليستقم مجدُ السلاطين
 أعزَّ مبناهُ شاهُ الفرس سِيدها
 شاهُ بنصرة دين الله معتصم
 قِبَلُ المملَكة كُلِّ لَهيبَتها
 هذه هي الدولة الغرا التي كشفت
 هذي التي خفت اعلامُ سوُددها
 هذي التي شعبها احيا الفخار كما
 يا خير شاهٍ رعي خير الشعوب فمن
 أنسيت كسرى انوشروان معدلة
 أجلك المجدُّ بل اجلائته فندا
 مهَّدت للشعب سبل النفع مقتدرًا
 مجدُّ ترفعُ في دُنيا وفي دين
 نسلُ الاكاسرة الغرِّ الميامين
 لذاك سعيَ عدلا ناصر الدين
 يطأطيُّ الرأس من عالٍ ومن دون
 للدهر عن كل فضلٍ فيه مدفون
 في الخافقين وسنت كل قانون
 احيا العلوم باقدام وتدوين
 بحيكك في خير احسان وتحسين
 ورشدُ عصرك انسى عصر هارون
 وهو الامين بجزير فيك مأمون
 فجاز بالسبق في شوط الميادين

وكان حبك يجري في القلوب كما
أبحته فيض كفى بالندى وكفت
قصدت زورة ارض الغرب ثانية
فكنت أنى حملت البدر متقللاً
واحترت حاشية بالامر قائمة
فرن صبتك في الدنيا وعطرها
قدم عزيزاً لعرش حقه شرف

وقال تاريخاً لسياخته

بشاه إيران دينا قد افتخرت
لأنها ادركت بالمجد مطلبها
مذ حل في الشرق منها زان مشرقها
ومذ تنقل أرخ زان مغربها

١٣٠٦

وقال يمدح حضرة رئيس وزراء دولة عليه ايران

اعز مقامك الزأي السديد
يقوم بنصره العزم الشديد
ومن قرن اقتدار العقل منه
بسامع العزم فاز بما يريد
نشرت لواء فضلك في بلاد
فأعظم فضلك الملك السعيد
سليل أجل أقيال لهم في
توارخ الوري الأثر الحميد
أكملة بهم زمت البرايا
ودان لامرهم هذا الوجود
وكان الشاه زبدتهم وأربي
على ما أحسنت تلك الجدود

أَعَزَّكَ وَانْتَقَاكَ أَمِينَ مَلِكٍ لَانِكَ فِي الَّذِي يَبْنِي فَرِيدُ
نَعَمْ يَنْبَغِي لِمَمْلَكَةٍ نَظَامًا وَاَنْتَ لَمَّا ابْتَنَى الرَّجُلَ الْوَحِيدَ
اَدْرَتَ سِيَاسَةَ بَرَشِيدٍ فَكَّرِ فَرَّانَ فَعَالِكَ الْفَكْرُ الرَّشِيدُ
وَقَمْتَ بِعَبْءِ اَعْمَالٍ عَظَامٍ فَصَحَّ بِدَعِيكَ الْعَمَلُ الْمَقِيدُ
وَذَلَّلْتَ الْمَصَاعِبَ عَنْ رِشَادٍ فَطَابَ الْقَصْدُ وَالتَّجُّهُ الْمَجِيدُ
بِعِزِّ دُونِهِ بِيضٌ وَسُودٌ وَقَدْ شَهِدْتَ بِهِ بِيضٌ وَسُودُ
بِكَ الْاَعْجَامُ قَدْ نَغَرَتْ وَفَازَتْ بِمَا رَامَتْ وَكَانَ لَهَا الْمَزِيدُ
قَدَمٌ لِلْعَجْدِ وَالْعَالِيَا رَفِيقًا وَلَا تَبْخُكُ تُخْدَمُكَ السُّعُودُ

وَقَالَ يَنْبَغِي جَلَالَةَ السُّلْطَانِ الْاَعْظَمِ عَبْدِ الْحَمِيدِ خَانَ
بَعِيدَ جُلُوسِهِ الْمَأْنُوسِ

أَتَلُّ لِلْعَرْشِ آيَةَ التَّوْحِيدِ يَجْلُوسُ السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ
ذَكَرَ الْكَوْنَ أَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ أَحْيَا الْإِلَٰهَ جِسْمَ الْوُجُودِ
بَشَرَ الْمَلِكِ أَنَّهُ خَيْرُ مَلِكٍ يَتِيَاهِي بِخَيْرِ مَلِكٍ سَمِيدِ
هُوَ فِينَا خَلِيفَةُ اللَّهِ يَجْرِي أَمْرُهُ بَيْنَ سَائِدٍ وَسُودِ
أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِ رُوحًا شَرِيفًا يَتَجَلَّى مِنْ فِيضِهِ الْمَمْدُودِ
وَدَعَاهُ إِلَى سِرِّ جَنُودِ لِيُعِزَّ افْتِخَارَ تِلْكَ الْجَبُودِ
فَأَنَاءَهُ وَالْمَلِكُ تَنْدَاحُ فِيهِ عَنْ غُرُورِ دَوَائِرِ الْحُسُودِ
فَاغْنَدِي بَعْدَ انِّ تَجَلَّى عَلَيْهِ بِقَرْنِ الْفَضْلِ طَارِفًا بِتَائِدِ

ضبطت صولجان عرش مجيد منه كف لصون عرش مجيد
فتوككا وهش يحيي به اغ نامه من هجوم كل مرید
وبه شق للزمان صفاه فاسال الصفا من الجلود
وارى أوربا سياسة حزم اوقفتها على شفار الحدود
ذل الصعب بالرشاد وأدنى من عظام الامور كل بعيد
ولديه مصر العزیزة موضو ع اهتم بصديق عزم اكيد
فهي في سلك دولة ذات شأن كفوا من جسمها وكجيد
وله من توفيقها خير من وفي حقوقا بمنهج محمود
ومن الشعب المستقيم خضوع ماعليه في حده من مرید
وهو لم يفض طرفه قط عنها بل نراه مطالبا بالعود
كشف المغضات كشفا جليا فتصدى لها بعزم شديد
حيث اصلى البلقان نارا تلظى في حشاه وما لها من خمود
وابت حكمة المليك المفدى أن تراعي الانصوص اليهود
فلذا لم يرعه في دولشينو دارعات لاقته بالتهديد
بل ارى اوربا ثباتا حميدا ناتجا عن سداد راي حميد
فترامت تلك الاساطيل في عرض بحار بوعدي محدود
تلك منه سياسة اذهلت اربابها بين قائدي ومقود
وعلى ما مضى يقاس الذي لم يعض فالامر هكذا في كريد
فهو يبدأ بالحلم حتى اذا ما نفذ الحلم شب نار الوعيد

وله من رجاله كل شهم عاقل فاضل حكيم فريد
 وله من شباننا كل فرد بابل أروع شجاع عتيق
 فهو جيش قد طبق السهل والحزن بعزم يقدر صلد الحديد
 عودوا البيض أن تعالج من اعضا الاعادي تقطيع حبل الوريد
 مثلها عودوا رفاق الموالي ان تعافي علاج شق الكبود
 فاذا هوجوا فهم كخصوف واذا هاجوا فهم كأسود
 واذا عملوا البواتر غطوا ببساط الا سلاء وجه الصعيد
 ولهم من قوادهم كل قرم وكمي غشمهم صنديد
 يمكنون التدبير حرباً وسلماً وبهم قد أجل نحر الجنود
 ولنا من مختارهم خير غاز وسياسي حاذق معدود
 كلهم خاضع لامر ملك فاذا عدت الملوك قصيداً
 قد نعمنا في ظله وارثنا عسل الامن من شفاء السعود
 فتقبل يا مالك الامر منا تهتات بعيدك المشهود
 وابق للملك امراً ومطاعاً بين نصير وبين شفق بنود
 ما اردنا في النظم صدر العجز أتل للعرش آية التوحيد
 وقال مؤرخاً

بعيد جلوس سلطان مجيد عرفنا المجد في هذا الوجود
 به قد قدس الرحمن ارضاً وألبس عالماً ثوب السعود

وقال ينبركم في الدهر أرّخ بهاء خليفتي عيد الحميد

١٣٠٧

وقال يرثي المرحوم سمعان كرم

ما دام للوت يحيا كل انسان
هذا يعيش ليقضي بعد في زمن
والارض لم تطو من اجسامنا صوراً
هذا العمرك ناموس الوجود جرى
والمرء وهو اجل الكون مرتبة
نشا بنوري ونيران وتهلكه
والعقل بينها يمرى على قدر
رجا الزيادة علماً كي يتم بها
ما ان رايناه يعني البحث مجتهداً
ولا تهجم للتفتيش مقتدر
هي المظاهر ادر كنا ظواهرها
وان نكن قد خلقنا للتراب كما
فما عظام هذا الكون واعجبا
هذا الذي حير الافهام فاعتنقت
اوذن لنا وطن ثاب نسير الى

فالحي والميت في الاحكام بيان
وذاك يقضي ليحيا بعد ازمان
الا لتشرها في مظهر ثاب
على القياس فكان الهادم الباني
يقوم ما بين تهديم وبنيان
تلك الفواعل من نور ونيران
حتى يقوم على حكم يرهان
نقصاً فما نال الا فرط نقصان
حتى رايناه يشكو حرقة العاني
حتى تراجع وهو العاجز الواني
وانما السر لم يدرك الى الان
هي الجوامد او ازهار بستان
وما المزية من هدم وعمران
مبدا الوثوق بتسليم وايمان
ربوعه لتلاقي خير ديان

واسعدُ الناس من الخير يعملُ اذ
 عزيز قوم فقدناه على عجلِ
 احيا بنو كرم في موته اسفاً
 واستعظموا نهضة البين القوي على
 واستنكفوا قسوة منه على رجلِ
 واكبروا منه ضناً بالتجاوز عن
 ابي قريته وابنيه دمع دمِ
 واختار من بين آل الفضل افضلهم
 قد كان باهي المزايا ماله شافي
 داني العطايا نقي القلب طاهره
 سعى الى الخير مطبوعاً عليه ولم
 وشاد لله اياتاً تقوم على
 فكمل له بجمل الفعل ماثرة
 وكم له بيننا من صفة اثر
 مضى الى الله ينبغي والشفيع له
 وغادر الاهل والاوطان مرتجياً
 وكل من زرع الاحسان في وطنِ
 وقال تاريخاً لضريحه

اجري بنو كرم بفقد عزيزهم
 سمعان فيض المدمع المترقق

قد ضمه جدت سني من عبدة الا
 صرف الحياة بغيره تركت له
 لما اتم بناء ميكل دبه
 نادى المهين والكتاب مؤرخ
 فقرا وغيث الرحمة المتدفق
 ذكراً يرن بمغرب وبمشرق
 باجل القان واجمل رونق
 قد ابهرت عين خلاصك فاطلق

١٨٨٨

وقال يرثي المرحومة قادين افندي

يامسيل الدموع ملء المهاجر
 عبرات سخينة قطرتها
 فقلوب جريئة ودوام
 وف بالحزن هول يوم علمنا
 يوم بين اراش سهماً فأصمى
 انشب الظفر بالاميرة قادين
 روعه مهابة ووقار
 بل راي النيل يشتكى من نظيره
 لم ينلها داعي القضاء فلبت
 تركتنا غملاً النواحي نواحاً
 سبقتها الى السما حسناً
 لا تقيد طليق دمع بمهاجر
 نار بين بها تسال المرائر
 وعيون قريحة وسواهر
 فيه كيف الشמוש تاوي المقابر
 كبد الجداو فواد الفاخر
 فاتها مداها وهو غادر
 ففضى ان يكون دون مناظر
 تطلب اليمن في الجنان الزواهر
 وهي تلقى في الخلد آي البشائر
 طاب منها موارد ومصادر

وقال يهني^١ المغفور له^٢ توفيق باشا بقدم سمو نجله من اوربا

الى مصر سنة ١٨٨٩

سمدت ايامك يا مصر^٣ وانهل يرويك القطر^٤
ووفاك زمانك بالحسن^٥ ففض عسر^٦ واقى يسر^٧
وخطبت العاليا فافتخرت^٨ وقبولك خطبتها مهر^٩
فيهاك مازجها عسل^{١٠} وهو اوك ضمخه العطر^{١١}
وجمالك تشقه الدنيا^{١٢} وترايك يحسده التبر^{١٣}
واتم الله لك النعمى^{١٤} بامير عز به الدهر^{١٥}
هو توفيق وفقت به^{١٦} فسالك في الدنيا قدر^{١٧}
مولى اوصاف معانيه^{١٨} زهر^{١٩} وخلائقه زهر^{٢٠}
اولاك العدل وعززه^{٢١} فتضارع سر^{٢٢}ك والجمهور^{٢٣}
ووثقت بما اولى كراما^{٢٤} ان ليس يصادرك القدر^{٢٥}
اثر الاحسان بطي السر فططر^{٢٦} بالطي^{٢٧} النثر^{٢٨}
ولقيت بهر مكارمه^{٢٩} مدّا لا يعقبه جزر^{٣٠}
فقواد بنيك له يدعو^{٣١} والنفر^{٣٢} بذلك يقتر^{٣٣}
والبشر^{٣٤} اتاخ مطايه^{٣٥} بحماه^{٣٦} ومعلمها الشكر^{٣٧}
واتاك يوم موعود^{٣٨} فتح يتقدمه نصر^{٣٩}
يوم قد حل به الاسعاد فمز به هذا القطر^{٤٠}
يوم فيه بمائك قد^{٤١} بزغت شمس^{٤٢} وكنا بذر^{٤٣}

نجلا مولاك ابي العباس قذا بحر وما الدر
 غابا عامين يزينا علم يزدان به الفكر
 واليوم بمصر قد بزعا وسماوها المولى البر
 فاهنا بقدمها واطرب وافرح وانغرولك الامر
 ما قال الناظم مذ حلا ارخ حلا فخلا الثغر

١٨٨٩

وقال يمدحه وينته بعيد الفطر

هذي سماوك يا شمس فأشرفي
 وهنا مقامك يا عظام فارعدي
 يا برج راس التين حياك الحيا
 فبك المفاخر قد تألف شملها
 وبك المكارم قد تلقى نوزها
 ولكم به آل المالكي موطن
 ولديكم آل العظام مربع
 وامامكم في صرحه المرفوع يا
 فدعوا التفزل والنسب بغادة
 واستخدموا اقلامكم بمدح من
 هذا امير القطر توفيق الملا
 وهناك ارضك يا رياض فأورقي
 وهناك ركك يا سعود فأبرقي
 وسفك من سلساله المترق
 حتى لقد أمت طرود تفرق
 حتى استنير بنورها المتألق
 يربو على كيوانها والابلق
 يزهو بمغرب ارضنا والمشرق
 شعراء خير معظم وموفق
 فتاته وبأغيد متملق
 دانت له العليا بكل توثق
 ذو المكر مات الاروع البر النقي

حسنت خلأته فكان جزاؤه
 آراؤه غير الحقيقة لم تصب
 وسيره لسوء الهدى لم يتجه
 وجلا بها سحب الحوادث بعدما
 هي حكمة عمرية قد حققت
 يستدرك الاقصى بثاقب فكره
 والشئ^١ يدبجه بموضمه كما
 ويغير الاشياء في اوقاتها
 لله يا توفيق مصر فما الذي
 عفوا ابا العباس فالاقلام لا
 لطقا ابا العباس فالاقبال^٢ قا
 هلا ابا العباس في سلك العلى
 اهنأ مع الانجال بالعيد السني
 ما رن ذكرك في الانام محاكيا
 او قال واصف منزل تحله^٣

ميل الفؤاد له وحمد المنطق
 وفؤاده غير التقى لم يعشوق
 وبنائه لسوى الندى لم تخلق
 كانت لدينا كالسحاب المطبق
 آياتها في حكم كل محقق
 وبزمه يدرا الخطوب ويتقي
 خبر الرجال الى العظام يتقي
 وهو الصواب ونهج كل مدقق
 نرجو ولم تسمع بكل تشوق
 نقوى على ايها الثناء الاصدق
 لك الثمن ثري وقبل مفرق
 فلقد تجاوزت العلى فترقق
 واسلم ودم وازدد نخارا وارلقي
 تغريد اطياري وسجع مطوق
 هذبي سهاوك يا شمس فاشرق

وقال يهنئه بعيد الاضي

اولام ارعي الزهد والقلب هام
 وكيف أخني الوجد والدمع هام
 صبرت والشئ له آخر
 ومبدأ النقص تناهى التمام

فرُدَّ سَهْمَ اللّٰوْمِ يَا عَاذِلِي
 اَدْرَكْتُ سَهْمَ اللّٰوْمِ لَكِنَّمَا
 نَظَرْتُ فِي الْفَلْظِ اِلَى ظَاهِرِ
 وَالْفَخْرِ لِلْحَسَنَاءِ بِأُتِي بِمَا
 رَمَادُ صَبْرِي فِي الْمَوْسَمِ سَاثِرٌ
 فَلَا تُثَرِّثْجُوعِي فَيَنْدِرِي بِهَا
 يَا سَاكِنِي وَادِي النِّقَا دُونَكُمْ
 لَا تُضِلُّوْا عَنْهَا اِلَى مَرْتَعٍ
 يَا جَبْرَةَ جَارُوا عَلَى مَعْرَمٍ
 مَا هَبَّ مِنْ نَجْدٍ نَسِيمُ الْعَبَا
 وَلَا اَزْتَفْنَا مِنْ فِرَاتٍ صَفَاً
 دَائِي دَوَاهُ قُرْبِكُمْ فَانْعَمُوا
 اَزْجَيْتُ نَجْبَ الْعَيْسِ نَحْوَ الْحَمَى
 فَلَا تَنْظُرُوا اِنِّهَا رَقْدَةٌ
 لِّبَكْنَاهَا لِنَهْضَةٍ قَتْرَةٌ
 لَا تَيَاسُوا مِنْ فَضْلِ مَوْلَاكُمْ
 فَالْيَاسُ لَمْ يَحْمَدْ لَهُ آخِرُ
 وَرَجُلُ الْاَيَّامِ مَنْ لَمْ يَسِبْ
 وَالْحُرُّ فِي اَيَّامِهِ عَرَضَةٌ

فالقلب لا يجعلُ سهم الملام
 قصرت عن ادراك سر الفرام
 منه ولم تدرك خفايا الكلام
 يستره اللثام لا باللثام
 من بهرة الاحشاء ثار الهيام
 عنها ونسي وهي ذات اضطرام
 قلوب عشاق مكان الخيام
 تطوع الحشافية وتظا السوام
 رقفاً بمن على هواكم اقام
 الا نشقنا منه رياء الحزام
 الا ذكرنا ماء دار السلام
 به والا كان دائي عقام
 فهو الركب عليها وثام
 تصدُّها الايام دون القيام
 والشيب بالتجديد دائٍ ونام
 بل سلموا الامر لرب الانام
 ومنتاهُ رشف كاس الحام
 غاراتها الشعواء عند الصدام
 لنكد الدنيا وغدر اللثام

وكيف نوثق اليأس دون المني
هذا أبو العباس ربُّ التندس
هذا خديوسية مصر من حفا
لكنه يخضع آن الصفا
بيمه إِنْجَاح مصر فلا
قد عمَّم العدل بتسميه
افكاره تجلو له ما اخفى
يقوم بالحسن ويولي التندس
مقامه لمن لجأ كعبة
تزدحمُ الناس بابوابه
وينشدُ المَدَّاحُ لا تعجبوا
وبيته محطُّ رجل التقى
فهو به الابُّ الأبيُّ الذي
وتلك ذات الطهر نقرُ النسا
وحبذا الانجال من صوروا
يا سيداً قد رافقتك المني
اسهرت جفن جفن الجمد مستفصراً
ولم تهب من صولة الدهر بل
وكم بدا سبابه مطابقاً

وفضلُ توفيقِ بنيلُ المرام
الطاهر الذليل السريّة الهام
برغد العيش وسائب المقام
يراعة وأن حرب حاسم
بنفك ياتي بالمساعي الجسام
محاكاً تزهو بحسن انتظام
كالبدر يجلو مدلم الظلام
ويلزمُ التقوى ويرعى القدام
وكفه لمن رجاه غمام
ليرتوي من ورده كل ظام
فالمنهل العذب كثير الزحام
كأنه البيت العتيق الحرام
قد زان مجد الوالد من العظام
قرينة العلياء بنت الحكرام
من ممدن اللطاف دون الزغام
والجدُّ والتوفيق منذ العظام
بهمّة مكمل حمل الهام
بدرق الحزم اتّقيت السهام
ثم انقضى وهو المحلب الجما

وطالما قابلت من صرفه
فصنعت تبديدها حكمة
واعترت هذا القطر يلقى المني
فأعنا بهذا المبد واسلم ومد
وانظر الى منظلومة زانها
الفاظها رقت وقد ضمنت
خطت يد الاخلاص آياتها
وافتح آياتها بالثنا
حوادثاً يشيب منها القلام
اغتنك عن اعداد جيش لهام
بوجه اسعاد وثغر ابتسام
وانخر وته في كل عيد ووعام
بديع وصف فيك بام وسام
معاناً تفعل فعل المدام
فاحتكت في القول كل احكام
وخصصتها للدعا في الختام

وقال يمدحه عند قدومه الى الاسكندرية

بسم الثغر عن صحاح الجواهر
واثنى خاطراً بقدر ارانا
واستوى خاله على عرش خدر
فوقته عقارب الصدغ تحمها قسي من اللماظ السواحر
وادار الجبين منه هلالاً
فتن الصب فاتر الطرف منه
يا لقومي من منصف من رشيقي
يجير القلب بالوعود ولكن
قد صبرنا فلنا وملنا
وروى المذهب عن مراض النواظر
من سنان الخطار هول المخاطر
فلقي من شقيقه طرف غادر
علم الناطريه رسم الدوائر
وعجيب لقاتن هو فاتر
باتر الجفن عادل القد جائر
لا بني فهو كاسر غير جابر
ه فبقنا وما لنا اجر صابر

دلنا دله . وذل المعنى
 فانق الله في احكامك فيه
 دولة الحسن حكما كسواها
 نهادي ما بين خفض ورفع
 حسبنا امضى فقد اغرقنا
 فندونا والله عاهد مصرًا
 بالعزير العباس بابن المعالي
 زان مجد الاربكة اليوم منه
 وذكاة لاهوته يشق الروح
 ليهدى ابصارنا والبصائر
 وطباع ناسوتها يسترق الناس
 فهي الشذا ونشر الازاهر
 حل من قطره المعز ثمرًا
 وهو قطر به تحلى المرائر
 حل فيه حلول روح الجسم
 فتوالت على النفوس البشائر
 زينوه بكل معنى بديع
 يشرح الصدر او يقر المحاجر
 وجلوه سرادقًا وقبابًا
 واقاموا اقواسه والمنائر
 صيروا ليله نهارًا ولكن
 نوره من سناك والامر ظاهر
 فلك السعد خادم فتحكمكم
 وبك الفخر مستعز ففاخر
 وتماهد مصرًا لاصلاح شأن
 وفي ترجو وانت ظم وأجر
 وتغز بتابعة سلطان حميد له المهين ناصر
 انت للدولة العلية ركن
 ولها من ولاك محض السرائر

لك من مصر خيرُ شعبٍ أمينٍ
شهد الخير في حماك فامسى
وانثنى شائدًا بمحمدك يتلو
فأنله ما يرنجيب ونقبل
غصت من وصفك اليديع ببحر
مخلص في بواطن وظواهر
غصن آماله بروضك ناصر
أي نعماك فوق متن المنابر
مدحة في ثناك صنعة شاعر
فلهذا نظمت فيك الجواهر

وقال يمدح سمو عباس الثاني خديو مصر المعظم

أطلق لطرف الطرف قيدَ نصر
خطب دمي ثوبيتها فتفطرت
شقّ القلوب فال مدمعها دماً
وعد الزمان بان يكون مسالماً
لك مضر من دون الزمان عناية
لم يورنجم سنك حتى اطلعت
لم يذو غصن علاك حتى انبتت
لم يدبر الاقبال حتى ارجعت
لم تذرفي المبرات حتى بردت
لم تشعري بظلمك حتى اترعت
لم تقفد في توفيق حتى عوضت
ان كنت امس شهدت غضبك مُمدداً
وأجل بمشهد مصر لحظت شعرك
من هول الاكباد أي تفطرت
وطفي فاغرقتها ببحر احمر
اخلفت وعدك يا زمان فكفر
نظرت اليك بنعمة لم تكفر
لك في سماء المجد ازهر نير
لك خير غصن في حديقة مخفر
لك عاجلاً اقبال ذاك المدير
لطفاً مخفين المدمع المتحد
مرعاك من غلق العباب المطر
لك عنه بالعباس مولاك السريه
فالיום شاهدت اهتزاز السميري

او كنت امس لقيت عيشك احمرًا
 او كنت امس رايت ليشك رابضًا
 او كنت امس وردت ماءك آسنًا
 او كنت امس فقدت خير مدبر
 ليك مصر اناك عباس وقد
 وافاك بحرًا فوق بحر فاعجبني
 شهدت به الاسكندرية سيدًا
 فاستقبلته وودعته مضيقه
 واحنل قاهرة بموكب عزه
 ومضى الى قصر الاريكة سائدًا
 حتى اذا وصل المقام يحفه
 شهرهوا ارادة سيد الخلفاء
 فعلا الحتاف مع الدعاء وقد دوت
 هذا اميرك مصر فرع أرومة
 غصن له لين القصور خلص
 لك منه حلم الشيخ في سن الفتى
 سيعيد مجد جلوده بعظائم
 ويشد أزر التابعة والولا
 مولاي يا عباس يا بحر الندى

فاليوم فزت بطيب عيش اخضر
 فاليوم فزت بشبل ليش مخضر
 فاليوم دقت صفاء ماء الكوثر
 فاليوم قد وافاك خير مدبر
 لاقى المصاب بحكمة وتصبر
 بحر كبير في السفين الاصفر
 متميزا برصانة وتوفر
 حمل الثنا لدعائها المتكرر
 وبطلمة التمر المنير المسفر
 والناس بين مهلي ومكبر
 ملء والعظما ورهط العسكر
 طان الملا عبد الحميد الاكبر
 تلك المدافع في لسان مبشر
 طابت وقد نصرت بنفس مثمر
 وله لمن ناواه لين الاسمر
 والمجد نشأة همة وتبصر
 تنبي وينب عن كريم العنصر
 بسيادة السلطان تاج الادهر
 بك مصر قد جرت ذبول تختبر

وكلت اليك شوقونها فتولمّا
ادركت في طلب المعارف غايةً
لك من علومك حكمةً عمريةً
والفخر في قلمٍ تمززه ظبي
فلك اليراعة نجلي برشادها
ولك الحسام خطيب من شق العصا
فسس البلاد وسد وجاهد وانثد
واعطف وبراً ضعيفها ووليها
ودع المآثر دونها الآثار من
وانثروا الفضل في اهرامها
واضرب على ذكرى الرشيد وآله

وقال مؤرخاً جلوسه السعيد

من ذا يفاخر مصرنا في دهرنا
ادلى ولايتها الى عباسها
انخ الدياجي وجهه وجيئته
لا غرو ان عز الانام بشأننا
والله قد كفل الفخار لمصرنا
فتكفل العباس عصمة نغمرنا
خط الزمان عليه آية نصرنا
فسمو عباس خديوي قطرنا

١٣٠٩

١٨٩٢

نبذة

فيما نظمه من المقطعات والتواريخ

قال رحمه الله مؤرخاً عيد جلوس المغفور له توفيق باشا عزيز مصر

سنة ١٣٠٢

عيد تفتح بالصير وروده فشي صداع زماننا تفتيحه
قد جاء بالعصر الجديد فان ترُم عيداً نورخه فما تاريخه

وقال مؤرخاً وفاة المغفور له شريف باشا وزير مصر سنة ١٣٠٤

هذا الوزير ثوى برمس جسمه والنفس منه في الجنان تطوف
من بعد مصر لدى الاله غذا له نيل المراحم من نداء وريف
فاز الشريف محمد بهراحم تاريخها فوز الشريف شريف

وقال مؤرخاً وفاة المرحوم جبرائيل شارم السياسي الفرنسي سنة ١٨٨٦

غادرت يا جبريل شارم ربوعنا لتفوز بالعيش الهني الاميب
فقدت فرنسا بارتحالك مرشداً يمتاز بالرأي الاسد الاصوب
يا طالما ارشدتها بكتابة رنت بشرق ارضنا والمغرب
نادتك يا رجل البشارة والسلام لم ارتحلت بسرعة المترقب
فاجبتها اني لحق رسالتي وفيت ثم ذهبت دون تهيب
والله ارسل جبرئيل وقال في تاريخ سام ثم بشر واذهب

وقال مؤرخاً عيد جلوس المرحوم توفيق باشا سنة ١٣٠٥

بين جلوسك المأنوس ضاءت شمس السعد والقطر استنارا
ضبطت السيف مع قلم بكفٍ تبدت للورى نوراً ونارا
وزاحت انسى حتى تمت لو ان لاصحيك غدت قرارا
فصرحك دونه ايوان كسرى ودون رحاب دارك دار دارا
بنظم صفائك الفرا رأينا قوافي الشعر تأتينا اختيارا
فزاد بمدحك النظم اعتزازاً وزاد مؤرخوك بك افتخارا

وقال تاريخاً لضمير المغفور البرنس له حسن باشا المتوفى سنة ١٣٠٥

يا من يزور ضمير ابن العلى حسن راع التهيّب فالرحمن يجرسه
نجل الخديوي اسمعيل من طهرت صفاته وعلا كيوان مجله
مضى الى الله في شرح الصبي اسفاً ودانيال النبي اليوم يؤنه
قد طاب في ارضنا بالمجد عنصره وفي السما طاب بالتاريخ مفرسه

وقال مؤرخاً وفاته

اطلقت سهم الردى ايدي الزمن فاصابت بالقضا قلب الوطن
هدمت للجد طوداً شامخاً واقامت بيننا طود الحزن
قصته وهو في شرح الصبي فننتا بلاء ومحن
فشكونا من دواهيها وان نحن لم نشك دواهيها فن
ولسان الحال نادى لم يعد حسن ارث فقد غاب حسن

وقال يني^٤ دولتلو مختار باشا الفازي بميدري في سنة ١٣٠٥

يا سيداً جاوز العلياء موطنه
لك البراع وماضي السيف قد خضعنا
وساد فينا باعمال وافكار
فن يدبك اذن نور على نار
هذا اذا ضلّت الالباب ارجعها
الى الصواب فكان الكاتب القاري
وذاك ان فتحت سوق المنون اتي
يفري ويترى فكان البائع الشاري
يا متبع القول بالفعل الجميل لقد
امسيت موطن آمال واطار
ان التهاني بهذا العيد قد هفت
حسبي اوجه ارخ نحو مختار

وقال مؤرخاً عيد مولد جلالة السلطان عبد الحميد خان سنة ١٣٠٦

لله مولدك السعود بيومه
امضت لشعبك وهي خير خليفة
امر المؤمنين فيه هذا الدهر ان
ارخ به عبد الحميد خليفتي

وقال وقد سأل له المرحوم شريف باشا بيتين في مدح سمو اسمعيل

باشا خديوي مصر

انت ابن مصر ومصر الدنيا غدت
فلمذا القياس اتي بنتج بيت
أماً كما قالوا بالاستقراء
في انك الدنيا بلا استثناء

وقال يني^٤ المغفور له توفيق باشا بشهر الصوم سنة ١٣٠٦

لاق شهر الصوم بالتوفيق يا
ثم دم ارخ بمجد سيد
من نرى الدين بتقواه شهد
ما تلونا فليصمه من شهد

وقال مؤرخاً مولدهُ رحمه الله في سنة ١٣٠٦

بمولدك السعيد اعترَّ شعبٌ ونيل القطر باسم الله يجري
وتدعو رفعة الاهرام ارخ رعاك المعج يا توفيق مصر
وقال تهته بمولده ايضاً

عيد ميلادك السعيد تبدى منه نورٌ بضئ في الخافقين
فهو بدرٌ وانت شمس عليه منكما يبصرُ الوري القمرين
يا مليكاً بوفده وفد التو فيق اكرم بذينك الوافدين
انما انتما أليفا وفاء دتما في الاسعاد مؤلفين
وكنا لا برحما باقترا ما تبدى نقارن الفرقدين

وقال يهني دوللو الغازي مختار باشا بعيد الاضحى سنة ١٣٠٦

للفازي مختار شهدت بسمو الصولة آثارُ
وبحكمته وسياسته وضحت كالشمس الاسرار
ان جرّد بيض بسالته نهبت بالبيض الاعمارُ
او لآعب سمر يراعنه قضيت بالسمر الاوطار
واقاه الاضحى ينشده مدحاً توفيه الاشعارُ
والمجد يوافق دولته فيورخ هني مختارُ

وقال يهني المرحوم توفيق باشا بعيد مولده سنة ١٣٠٧

لقطر مصر ثغور السعد قد بسمت بشرّاً وتهته في عيد توفيقه

ونعمة الله قد والله جاعة تاريج مولد توفيق لتوفيقه

وقال بهته بعيد الفطر في اسنة المذكورة

تستضاء الاعياد من نور مولى اكسب القطر كل عز ونفر
فلهذا انار مذ ارتخوه عيد فطر بهاء توفيق مصر

وقال فيه ايضاً عند مجيئه الاسكندرية في تلك السنة

تجلى القطر بن مجلى بسماء تجلى العيوق
بامير عز بصدق ابي بكر وبجزم القاروق
قسامت مصر به وغدت تخال يبرد التوفيق
والنفر بلقيا سيده ارتخت اقتر لتوفيق

وقال من مطلع قصيدة لم يتمها

ما وقفنا الا لنرفع عنا تعباً من فرط الجلوس أماً
يعلم المرء ان في الامر شراً وهو لا يتقيه حتى يما
قل المرء فهو اسمى البرايا حكمة ثم همة ثم علما
مع هذا تراه اجمل مخلوق وأدناه في البرية حكما
تعلم العجاوات ما يتأني عنه ضرر فلا توافيه حتما
انما المرء ليس يقصيه ضرر واذا ما اقصاه اقصاه رغما
هو امر لم يحله العلم لكن ادرك الجهل بعض ما منه ثما

وقال عند زيارة المرحوم توفيق باشا دار البريد سنة ١٣٠٧

يا اميراً عطرت صدر الوجود بشذا همة وفضل وجود
شدت للعلم والحقوق قصوراً شاعرات بل خافقات البنود
مثلاً شدت للبريد بيوتاً كان منها اقريب كل بعيد
دار مصر منها تباعد ولما وفقت منك بالحلول السعيد
كشب المدل آية أرخته ان توفيق زار دار البريد

وقال مقرظاً ديوان نسات الاوراق للمرحوم الشيخ خليل اليازجي

نسات الاوراق ذي ام شمول ام شمس لا يتربها اقول
ام عقود من نظم افكار فرد هي منه فرائد وحجول
فالقوافي كالطود فيه رسوخاً انما اللفظ رقة سلسيل
فهو رب القريض ان قال أغنى بمان تحار فيها العقول
ليس بدع ان جعل النظم حتى قل حاكيه والجميل قليل
فتصيف اب ووردة أخت والشقيق ابراهيم وهو الخليل
فرع بيت نرى مطايا القوافي قد اتاحت ببابه لا تمول
واذا ما ابن اليازجي لم يقل خير نظام فمن تراه يقول
ولدينا لفضله بيت بيت وهو ديوانه عليه دليل

وقال مهتماً دولتو مختار باشا الغازي بعيد الفطر سنة ١٣٠٧

وافاك عيد الفطر ينهب سره عن سر ما اولاك فضل الباريس

لينُ بلا ضعفٍ واقدامُ بلا
 عنفٍ واقبالُ بلا إدبارِ
 سقياً لمن سماك مختاراً فقد
 أوحى اليه فباح بالاسرارِ
 فاختراك السلطانُ سلطانُ الوري
 لبدائع الاعمال في الامصارِ
 فنهجت منهاج السداد بصونه
 نفث اليراع وصوله البثارِ
 حتى اذا لقيت بك الاوطانُ ما
 ترجوه من عين ومن آثارِ
 قالت علي الفضل للبارسي وسد
 طاني بتاريخي وللخنار

وقال مهنا المرحوم توفيق باشا بعيد القطار سنة ١٣٠٨

تستنيرُ الاعياد من نور مولى اكسب القطار كل مجدي ونفخ
 فلهذا انار منذ أرخوه عيد مصر بهاء توفيق مصر

وقال يهث بهولده في تلك السنة

لنا بيلاد الامير السري ذكرُ يميننا فيميننا
 وخطت الاهرام تاريخه يمينا بتوفيق خديونا

وقال مؤرخاً سياحته في صعيد مصر سنة ١٨٩١

اني لصعيد مصر سعيد عصر بفضل حلول توفيق المعظم
 تفقد أهله كآب مریداً صلاح بنيه بل قد كان ارحم
 فأولى نعمة وازال بوئناً واذهب غمة وقضى واحكم
 واجمل واصطفى وهدي واهدى واجزل واعنى وبني ونظم

وشاهد من برعته خضوعاً
ومن يملك قلوب الناس يظفر
نخذ من شاهد الاهرام معنى
بكانوت خلت منه ليل
واخلاصاً على ودٍ مقدّم
بحب الناس وهو اجل مغنم
سياحه التي بالشكر نختم
بدا تاريخها وغداً نتم

وقال في الدكتور بوزي الجراح الفرنسي الشهير

يا من منيت بامراض وادواء
يمحى الشهم بوزي خير من شددت
فهو الطبيب الذي انست غرائب
اخلاقه كفلت ابرأ السقيم كما
امال من لطفه كل القلوب له
يشفي اعلاه جالاً فليس لهم
له انامل ان خطت وان عمات
تنحوض اقلامه احشا الحقائق في
كذلك مبضعه كالبرق في يده
وقد تغير للتمريض خير حمى
اليك من صنعة الاعراب غاية
فاعذر اذا قصرت وصفا فقد غلبت
وحسبها يت شعر في الختام حوى

اليك باريز فاقصد دون ابطاء
بفضل حكمته ابنا حواء
ذكرى ابقراط مع ذكر ابن سيناء
علومه كفلت تحقيق ابراء
فلم يكن من اعاديه سوى الداء
ان يحسدوا عنده مجد الاصحاء
انت بما يذهل انقاري مع الرائي
تدوينها حكمة في سبك انشاء
يتأصل الداء من امعا واحشاء
وخير بيت لاصحاب اوداء
تذيع فضلك للذاني وللنائي
صفاتك البر اقلام الالباء
معنى يلفه الآبا لابناء

خيرُ الاطبا بباريزٍ وخيرهمُ بوزي فبوزي اذن خير الاطباء
وقال فيه ايضاً

كَأَنَّ عَيْسَى وَقَدْ شَكََّ الْإِنَامُ لَدَى فَقَدَ الْعَجَائِبِ مِمَّا تَفْعَلُ الرُّسُلُ
أَوْحَى إِلَى الشَّهِمِ بَوْزِي أَنْ يَحَاكِيَهُمْ فَجَاءَ يَفْعَلُ فِي الْمَرْضَى كَمَا فَعَلُوا

وقال في قلعة بعلبك

يا بعلبك فريدة البلدانِ عجايبُ البنيانِ والانتانِ
قد انشأوك عجيبةً كي يعرفوا عن قدرة الرحمن بالانسانِ

وقال مهنّا الكونتس دوييني قربنة الكونت دوييني وزير فرنسا

في مصر يوسام انعم عليها به جلالة السلطان عبد الحميد

لَهُ دَرْكٌ مِنْ كَرِيمَةٍ مَعْرِجَةٍ جَمَعَتْ صِفَاتِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ-
أَوَّلَى الْكَرَائِمِ بِالْحَسَنِ لَمْ يَكُنْ بَدَعٌ إِذَا نَلَتْهُ الْوَسَامُ الثَّانِي
فَالشَّمْسُ أَنْتِ حَيَّتِ بِدَرَكْرَامَةٍ فَبَدَا لَنَا فِي شَخْصِكَ الْقَمَرَانِ

وقال مؤرخاً وفاة المغفور له توفيق باشاعزيز مصر

رَحَلَتْ عَنْ مِصْرَ يَاتُوفِيقُ فَاضْطَرَبَتْ وَفَاضَ كَالنَّيْلِ مِنْهَا الْمَدْمَعُ الْجَارِي
نَدَّ هَالِكًا الْخُطْبُ فَارْتَجَّتْ جَوَانِبُهَا وَغُولِبَتْ بَيْنَ اشْيَاقٍ وَكَدَارِ
رَغِبَتْ عَنْ وَطَنِ ادْفَى إِلَى وَطَنِ اسْمِي فَعَجَلَتْ فِيهِ اسْتَقْرَاءُ تَسَارِ

أرداك سابع كانون الردي غسقاً مؤرخاً في جمادى واحظ بالباري

١٣٠٩

١٨٩٢

وقال مؤرخاً قراءة الفرمان الشاهاني بتولية سمو عباس باشا الثاني

خديوي مصر المعظم سنة ١٣٠٩

بشر بني مصر من قاص ومن دان
تعطف من امير المؤمنين على
فلتابعية صان اليوم معقلها
قام الامير بامر القطر تلحظه
حتى اذا ظهرت آثار حكته
دعاه سلطاننا فيما نوّرخه
بما تأيد من تعزيز اوطان
خديو عباس في سرّ وإعلان
بجزر خير امين خير سلطان
عين الخليفة رب الامر والتان
كالصبح مستغنياً عن كل برهان
عباس أمديك بالاخلاص فرماني

وقال مؤرخاً اهداء الجمهورية الفرنسية وسام اللجيون دونور

لسموه في السنة المذكورة

اهدت فرنسا وسام اللاجيون دُنُر
خديو مصر الذي هيأ الزمان له
به الوسام ازدهى فليزدهي ابدًا
لفصن مجد بدوح الفخر مياس
مستقبلاً يوجب الادهاش للناس
مذار خوه بفخر صدر عباس

هذا آخر ما وقفنا عليه من شعر الفقيد رحمه الله وقد رأينا ان نتبعه
 ببعض من منة خبات لمحاته الوطنية توفية لفائدة هذا الديوان وخدمة لقراء
 الجريدة الكرام ودلالة على وطنية الفقيد واخلاصه لهذه البلاد العزيزة التي
 خدمها بقله مدة ست عشرة سنة ملأ فيها الاسماع والقلوب وافاض في
 كل موضوع من مواضيعها حتى لم يبق حاجة في نفس يعقوب فضلاً عن
 غيرها من المواضيع الادبية والفلسفية التي تروق مطالعتها ويميل ذكرها
 وتلاوتها والله نسال ان يجعل هذا الكتاب شفيعاً للفقيد في اخراة وان
 يحزل ثوابه ويرد مثواه بمنه وكرمه

سنة الاحرام الرابعة عشرة

اللهم لك الحمد على وافر نعمك . والشكر على باهر مننك وزاخر كرمك
وبعدُ فهذه الاحرام قد اجتازت عامها الثالث عشر وهي بأيدي الرأسي
العام لتنتقل . وافتتحت مذي اليوم عامها الرابع عشر وهي عن خطتها الوطنية
ومنهجها القومي لا نتحول . نفتخر لانها عرفت ما هو الواجب الوطني الجليل
ولا نفتخر لانها لم تغم الا بما وجب عليها من هذا القليل . عاشت هذا العمر وقد
أحلتها الوطن من مقاماته خير مقام . ولزمت صدق الرواية وضبط ترجمة
افكار الراي العام فلم تنهيب عوادي الايام . اخلصت الخدمة في حالتي السراء
والضراء . وكانت واحدة في حالتي السر والرخاء . فكافأها الوطن باقبال
المشركين عليها . وكافأها قرأؤها بالرضى عنها والميل اليها . ولذلك فهي
نقف الان لديهم موقف المعترف بالجميل . وتسأل لهم التحصن بمرز السلامة
والتمتع بالعمر الطويل

وانت ايها القطار العزيز لم تكن من يوم نشأت الا موطناً لكل غريبة
وقد خصنتك الطيبة بما لم تخص به سواك . وانا لتك من معاني جمالها ما سباه
مقامك وازدان به بهاك

نسيمٌ عليلٌ وماءٌ سليمٌ وسهلٌ جميلٌ وواديٌ وسيمٌ
وطبيعٌ رقيقٌ وودٌ مقيمٌ وفكرٌ دقيقٌ ومجدٌ قديمٌ
فاشراً بآبائك الاعناق والعيون معدقة وطارت النفوس اليك شعاعاً

والافئدة متمشقة . وانت تنجلي في سماء الامصار انجلاء الشمس . ونهادس
في مجامع فراديس الاقطار تهادس العروس . فأَمَكَّ طلاب العلم والادب
لاجنلاء آدابك الزاهرة . وارتشفوا سلسيل الرشد من ينابيع فضلك الزاهرة
فأفادوا بما استفادوا اهالي الغبراء . وكان لك مرجع الفضل دون مرأ .
كما أَمَكَّ الفاتحون والطمع لهم دافع . فجري لهم من الشوئون والحوادث ما
ما كان نذيراً للصكل طامع . لانك قهرتهم ولا سلاح في يمينك للقتال .
وحذرتهم سوء العقبي فانكفأوا خاسئين دون نزال

ثم توطدت فيك سلطة الخلافة العظمى فتوطد فيك الفخر . وتأيدت
في ربوعك قوى السلطنة العثمانية فتأيد فيك المجد والنصر . حتى وفاقك .
عهد مولانا ومولاك . اعني به جلالة السلطان ابن السلطان . السلطان عبد
الحميد خان . فازدان بوجوده وجودك . وتم بسعوده سعورك . فهو السلطان
الذي انام الانام . على امرأة المسرة ومهد السلام . وجدد ربوع العلوم
الدوارس . بماشاد من المكاتب والمدارس . وانام القسط في العباد . ودك
صروح الاثرة والاستبداد . فرنع الجميع في ظلال عدله . وارتشفوا سلسيل
احداته وزلال فضله

وعهدي بك ايها القطر العزيز . انك خير من عرف الجميل وتحصن في
جانب عدم نسيانه بالحرز الحريز . فافتخر انك لا تذببحر انسان . واعتبر بان
عليك الولاية من خير سلطان . وشدها ارامك بمدحه وثنائه . واسال الله ان
يمتد العالم بطول بقاءه . امين

ثم انت ايها القطر العزيز قد عرفت احسان المنعم عليك بما اوصله من
سواغ النعم وهو اצל الكرم اليك من يوم تمتعت بولاية العائلة المحمدية
والاسرة المباركة الشريفة العلوية . كيف لا وفضل المغفور له الحاج محمد علي
باشا ما برح مطوقاً جيدك بطوق الافتخار وما برحت مآثره وآثاره فيك
رافعة قدرك فوق قدر الامصار . وقد اطردت سلالته الشريفة فيك ذاك
المنهاج القويم . فوصلت بك الى سدره المنتهى ووصلت بها الى الصراط
المستقيم . فهي التي غمرت بك بمواهب السلطنة وامتيازاتها . وادامت عليك جميل
ولائها ومجيد التفاتها . حتى وفقت منها وفيها الى عهد من كان له التوفيق
اسماً ومسمى . وهو توفيق الاول ابو العباس خديويك السري الاسمي . امير
ابي لطفه الا ان يحكم من الرعية قلوبها . وعزيز ابى انسه الا ان يري عن
قلوبها همومها وكروبها . عدل وحلم فسوى بين الصعلوك والامير . ورحم
وكرم فاستوى لديه الغني والفقير . على طبع ارق من نسيم الصبا . وخلق
اذكى من عرف الكبا . وعزة يزينها الادب والكمال . ووداعة يهضمها الوقار
والجلال .

وعهدي بك ايها القطر . انك اخير من عرف للمحسن حسن الذكر
فانت ولا مرا . عارف فضل عزيزك الهمام . وذاكر له جميلاً كال بالفخر . ذك
الهمام . فهو حاكمك واميرك . وواليك ونصيرك . بل هو الساهر عليك سهر
الاب على الابناء . وموانى عليك باهر المنى ووافر الالاء . فاشترك مع امرامك
في الدعاء بطول عمره . وصون انجاله الكرام ممتعين بكتف وقائته ونصره .

ثم انت ايها القطر العزيز عالم بان الالام اسراراً. ولليالي احكاماً واطواراً
وان دوام الحال محال. وجل من اختص به الدوام في كل حال. فلا يتوكل
القنوط فئساً. ولا تعتصم باليأس فتندم. بل فتول الصبر ولو على غير
مجامر الكرام. واعنصم بالامل ولو مكرهاً حتى تفوز بالرام. واخلص لولي
امرك في شرك ونجواك. وثق انه بعين عنايته يراك. واطلب من بنيك
الذين ربوا في هادك. وارتووا من مائك وشبعوا من زادك. ان يطأوا بقدم
الهمة كل ذرية. ويدفعوا عنك بساعد الحزم كل طارئة وبليّة. وان يجعلوا
المصلحة الخاصة فدية عن المصلحة العامة. ويحترموا قول الخاصة بعد احترامهم
مبدأ العامة

ثم اسألهم ان يكونوا في سبيل الخدمة الوطنية وترّاً لا شفعاً. وان
يخلصوا في سبيل هذه الخدمة حملاً ووضماً. وان يرفعوا عن دنايا الامور
ويتنكبوا عن طرُق الحطة وتوليد النفور. وان يعملوا ما تستلزم السياسة
الحكيمة. ويقوموا بما تقتضي الواجب الوطنية العظيمة. فاذا توثقت منهم بذلك
نجوت من المهالك. ونلت وانت الرابع فوائد ما هنالك

نعم انت ايها القطر العزيز علمت ان بنيك أولي الفطن. قد عرفوا ما
هو فضل الراي العام في الوطن. وادركوا ما لهذا الراي الحسن من المآثر
والآثار في كل حين وزمن. فنشأ فيك هذا الراي رغماً عن الالام. بل
بالالام اعترز وبجواذها نشأ وقام. وقد علم انه ولا حكومة له لا قوام له
قولاً ولا فعلاً. وان كل حكومة بدونه لا قوام لها فرعاً واصلاً. فيها لازمان

متلازمان لزوم الروح للجسد . وما وراء التباين بينها الاسقوط لا يرد
فكل سكرية رامت اذلال هذا الراي ارتكبت الخطأ الفاضح . وكل حكومة
اعزته وراعت حرمة اكتسبت الاعزاز والميل الواضح . فوجد الراي العام
قائم بحاكمه الهام . ووجد هذا الحاكم قائم بتعزيد الراي العام . وكل مملكة
انجلت بين الممالك انجلاء العرائس . كان لها هذا الراي قريباً رفيقاً بل كان لها
بثابة الحارس . فسقياً لك ايها القطر لانك امسيت من عداد هذا الجانب .
وبشراً لانك قد استجبت من المناهج في ذلك ما تأمن معه غوائل العواقب

وكيف لا يكون لك ايها القطر ما تتمناه وفيك حاكم اعز مقام هذا
الراي واناله رضاء . ولك راي ادرك مقاصد حاكمه المنيفة . واستطلع طلع
نواياه الثريفة . فوقف له قلبه وفقاً عز دونه بيع وارتهان . واجمع على حبه
مخلصاً له في السر والاعلان . ومتى التأم قلب الراعي مع قلب الرعية نال
الجانبان المرام . وخضعت لها صروف الزمن وحوادث الايام . فتقبح بحسن
العاقبة ايها القطر السعيد . وكل الامر الى من يتصرف في خلقه كما يريد
واعلم ان الفرج القريب من وراء الضيق الشديد

ايها القطر العزيز قد حافظت على اهرامك في حماك . فحفظت لك ذكر
مجدك ونطق لسان حالها بعزك وسناك . وقد استنطقتها لترجم حقيقة رغبتك
فاختارت لك من اسمها ما يقوم بواجب خدمتك . فتقبلت منها ما اختارت
لأنها قامت بحق الترجمة السديدة . ووفت بالواجب من ابانة افكار الراي الرشيدة

قالت الاهرام ان مصر من جسم الملكة العثمانية بمنزلة القلب كما ان الاستانة العلية بمنزلة الراس وان مصر خاضعة خضوعاً دينياً وسياسياً باعتبار كونه خليفة وساطناً فهي والحالة هذه لا تريد ان تتحول عن هذا الخضوع فمن تراه ينكر عليها ذلك

قالت الاهرام ان لمصر امتيازات معلومة بموجب فرمانات شاهانية شريفة فهي لا تود الا حفظ هذه الامتيازات مصونة من كل خلل فمن تراه يبغضها هذا الحق

قالت الاهرام ان مصر ترى توفيقها بحفظ سمو توفيقها وانه النائب الشرعي عن جلالة سلطانها فهو حاكمها العزيز وخطيبها الفريد واميرها المجيد وقد اخضعت له فؤادها ووكلت اليه امرها ومرادها فمن تراه يخطئها في هذا الاعتقاد

قالت الاهرام ان مصر لا تنكر فضل من احسن اليها ولكنها تروم حفظ استقلالها كما انها تروم ان ترى للوعد بذلك انجازاً. فمن يلومها على ذلك قالت الاهرام ان مصر ترى حالة الزارع قد ساءت فسقط تحت اثقال المطالب ومني ببيع اضيائه فامسى ماجوراً بعد ان كان مالكا والطين للفلاح بمقام الولد فلا حيلة الا بتوحيد الدين العام وتخفيض معدله ليكون من وراء ذلك ما يكفي لتخفيض الضرائب وغيرها والاساءات الملقبة. فمن تراه ينكر عليها هذا الطلب العادل

قالت الاهرام ان مصر تشكو من توزيع السلطة فهي لا يمكنها ان

تبرم امرأ او تنفضه الا بعد ان تستشير وتسترضي سبع عشرة دولة ولا ينفق ما وراء ذلك من المصرة. فمن تراه لا يصوب شكواها

قالت الاهرام ان مصر ترى ان حفظ كل بلاد يقوم بقوة جيشها وهي مع ضرورة هذه القوة تشاهد عدم الالتفات الى تكثيرها وزيادتها فمن تراه لا ينظر ما نظرت وهو عادل

قالت الاهرام ان مصر تصرح ان السودان لا تتركها ولو تركتها وان لا راحة لها منها الا باعادة افتتاحها ولكن بقوة جيشها لا بقوة اجنبية اكي يكون لتمتعها باستقلالها نهاية قريبة معلومة. فمن تراه ينقض قولها هذا غير من لهم في جانب السياسة غرض او من لهم من تشييم الاعمي مرض

قالت الاهرام ان مصر تعتبر صالحها المالي صفرأ في جانب صالحها السياسي وما دام الثاني ممهلاً فلا راي لها في الاول اذ ماذا ينفعها الغنى بعد الموت. فمن تراه يعقل ويرى غير ذلك

ذلك بعض ما قالته الاهرام نكتفي به رعاية لضيق المقام فمن تراه لا يسلم بانه حقيقة ما يقوله الراي العام بل كيف لا يكون وهذا الراي قد احل الاهرام محل القبول والرضى فاقبل عليها عفواً لانها ترجمان افكاره بصدق واخلاص وتهادت لديه مفتخرة بكونها لم تتحل اسم كبير تستر به في سبيل ايقاع الوهم على الناس ليقبلوا عليها. ولا لاذت بحى الوشاية والوقية والدسياسة لادراك غاياتها ولا لجأت الى ذي سلطة ليصحبها بافادات رسمية او غير رسمية لتثال القبول كأنها فرع من فروع الضرائب الميرية وما شاكل ذلك

مما سنأتي على بيانه بالطويل العريض بل تحبب اليها بنو الوطن لصدقها في
خدمته ولا فضل لها بذلك فان وطناً شربت من مائه . واغذت من غذائه
واستظلت بسائه . وولدت في مهده . ودرجت في عهده . وشبت في رفده
لا يلبق بها ان تخونه فجزاه جزاء سنار ولا مشاحة ان الانسان اسير الاحسان
فتق ايها الراي العام ان الاهرام ملازمة خدمتها اياك . بما تعودت من
الصدق والاخلاص وحرمة ولاك . وهي واثقة بانك ملازم الميل اليها
والاقبال عليها . واثق مشترك معها في الثناء . على مكاتبها الادباء . الذين
واصلوها برسائلهم الرنانة مشتملة على القوائد الفراء . وعلى وكلائها النشيطين
الذين قاموا بخدمتها خير قيام . واقتروا بكونهم باعملوا انما خدموا الراي العام
وانت ايها القطر العزيز ارفع اكف الابتهاال . واسال رب الحول والطول
والجلال . ان يحفظ جلالة الخليفة مولاك السلطان عبد الحميد خان من بوائق
الحدثان . ويجعل ماله موطدا لاركان مؤيد البنين . وألوية جنده معقودة
بروة النصر . وبنود سعده خافقة في البر والبحر

واسأله جل شأنه ان يديم توفيقك بادامة سمو توفيقك العزيز . وان
يجعله من صروف الدهر في حرز حريز . ويذل امامه الصعاب . ويسدد
قدمه الى الرشد والصواب . وان يصون حضرات انجاله الفخام . ويمتعه
بوجودهم في ظلال العمر الطويل والمسرة والسلام . ما لاح بارق وفاح مسك
الحنان . آمين

• وثن تركنا السودان فانها لا تتركنا •

هي جملة سطرناها في الاهرام من يوم جزمت انكلترا بفتح السودان عن مصر وجعل حدودها وادي حلفا وكان ذلك سبباً لاستقالة وزارة المرحوم شريف باشا وهي الوزارة الاولى بعد الحوادث السالفة ثم لم تطل الايام حتى حققت الحوادث ما آل هذه العبارة فاعدنا تدوينها المرة بعد المرة. وقد مر بنا الى الان ستة اعوام ولم ينقض هذا المآل وستمربنا الاعوام التالية تبعاً ولا ينقض ايضاً ما دمنا والسودان على ما نرى

ولقد قال المثل العامي "الف عدو في خارج البيت ولا عدو في داخله" وهو الحكمة بعينها فان ما يقوى العدو الواحد على تخريبه وهو في البيت لا يقوى الاعداء العديدون على مثله وهم في الخارج وليس يخفى ان البلاد السودانية من مشتملات مصر بالطبيعة فقد اكسحتها من نحو نصف قرن واقرت احكامها فيها ونشرت اعلامها فوق اغوارها وانجادها وفتحت لها ابواب الاتجار والتعامل ومهدت سبل صلاتها معها واقامت المواثيق والعهود بين قبائلها في جنب طاعتها وسنت لها الشرائع والقوانين وما ضارع ذلك. ثم بدا من امر تلك البلاد ما يعني قرب عهده عن شرحه فما عثمت مصر ان اعلنت سلخها عنها وقد استظهر رجال رؤساء الثورة على رجالنا ففرهم منا ذلك وجزت في عروقهم حميا النصر فحملوا ما كان على ضعف منا واتخذوا المبادي الدينية قاعدة لاعمالهم ورأوا العساكر الاجنبية نقاتلهم فعززت

كلتهم لدى ذويهم بما ادعوه فقاموا على ساقٍ وقدم يناصبوننا من جهة النيل
ومن جهة البحر الاحمر

ذلك هو ملخص ما جرى لنا مع السودان ولم نتبين في ما اوضحه الامر ون
بسلخها عن مصر الا امراً واحداً وهو ان بقاءها من مشتملات مصر يستلزم
بذل النفقات الفادحة التي ليس من ورائها جدوى . وانا لا نعرض في هذا
المقام الى ما اظهره الغير من العلل والاسباب التي ينوبها الامر بالسلخ فان
ذلك ليس من شأننا الخوض فيه الا ان وكنا نجول وجه البحث الى احكام
حاضرنا بمرآة ماضينا لادراك مستقبلنا ولا مراة ان الراي العام واثق
كل الثقة بان المسألة السودانية انما هي في مقدمة جميع مسائلنا السياسية
والمالية بل هي بمثابة خلاصتها وزبدتها . ولذلك كان البحث فيها للتوصل الى
ما يكفيننا شرغوائها من اهم الابحاث الحاضرة وهو موضوع لمحننا هذه فنقول
لا يا من متجاوزان من تعدي احدهما على الاخر الا بواحد من امرين
اما موازنة القوة بالعدد والعدد وما يستلزم ذلك من اقامة المعازل والحصون .
واما ارتباط المواثيق والعهود كالتاموس المرعي لدى الدول جماعة وهو مبدأ
النظام العام . واذا لم يكن احد الامرين فلا سلام بين المتجاورين وهذا هو
شان مصر مع السودان ليس بالنظر الى ذلك فقط بل بالنظر الى ما اتخذ من
الاحكام التي تستلزم بالطبع عدم الوفاق واليك البيان

ليس من يقوى على الحكم بكون السودان تسمو مصر قوة او توازيها
بل كل يسلم بان مصر اقوى من جميع الوجوه التي لا يحناج القاري^١ الى شرحها

وقد كان المبدأ يقضي بان تخافنا لضعفها ولكنها اتراما عاملة على مناصبتنا ونحن مع قوتنا نريد مسالمتها والانكفاء عن منازلها ولا يتم لنا ذلك. وهذا هو مال الجملة التي صدرنا بها الملحة. ثم لو تنازلنا عن هذه القوة واردنا ان نعاملها معاملة الضعيف للقوي بعقد المعاهدات وابرار المواثيق لما تسنى لنا ذلك ايضا. ومادنا ملازمين ومنتهجين خطة ماضيتنا وحاضرنا استوت معها حالة مستقبلنا وثبت قولنا بان المسالة السودانية ان هي الا نشيد شيطاني لا قرار له تركنا السودان بعد استظهارها على رجالنا وبعد ان قام فيها المتمهدين وخليفته والغني والنحاس وشيخ القبيلة وصاحب الكلمة النافذة وبالتالي بعد ان انتشرت الفوضى في ارجائها وعاهدها الفقر المدقع ولا يخفى ان تلك البلاد قائمة بتجارة العاج والريش وغيرهما فسدت ابواب الاتجار عنها فازداد فقرها ومن عضه الفقر بنابه ولا رادع له من نفسه او من نظام اخر شحذ غرار العزم على مسن المعصية ولا سيما اذا استصرخه دعاته الى حيث له من جهله دافع ومن ميله نازع وذلك هو شات الرحل القائم معاشهم بالفزو للفقمة والسلب. واذا تبين ذلك وجب ان لا نتوقع من السودانيين غير ما بدامنهم الى الان ولن نتوقع الا استمرارهم على ملازمة هذا المنهج وكيف يتسنى لنا ان ندفع شرهم عنا وليس بيننا وبينهم من شوائغ الجبال الصعبة والمسالك وانبساط البحار البعيدة المراني ما يكفيننا مؤونة هجماتهم وطوارق غلواتهم وروحانيتهم ومن تراء يقوم ازمائنا من رؤسائهم ويواثقنا على الاخاء والموادة والوثام ولو جار علينا في المطالب وسامنا الحسف والضعف - ذلك ما ليس

لهم ليكون لنا والتاقص بنفسه لا يكمل غيره فلا حيلة لنا مهم بالترك فائن
تركاهم فانهم لا يتركوننا

واذا قيل ان لنا من حاميتنا المصرية ما يدفع عنا نوازلهم قلنا ان هذا
موضع البحث فكنا يعترف ببسالة جنودنا وشجاعتهم وصبرهم على المقاتلة
وطالما قام الاهرام بنشر هذه الصفات لجنودنا عكساً لما رمتهم به بعض الجرائد
الاجنبية ولكن ما الفائدة من الصدم والصد في حين ليس للهجوم نهاية اذ قد
قضينا بان نلازم الدفاع دون ان نتقدم خطوة وقضى السودانيون بملازمة
الهجوم وعدم الاكتراث بالصدم وليس دوننا جيش منظم لنقتص منه بموقعة
او اثنتين حتى لا نقوم له بعدها قائمة بل امامنا زمر واخلاط وسابة وقطاع
سبل نطردهم من هذه الجهة فياتونا من تلك الناحية ونقتل منهم العشرة
فيتجدد المشرون بالاعياض ولا يجب ان نعتبر فقد الواحد من المصريين
بموازة العشرة من السودانيين فمن نشر بفقد الواحد منا واما اولئك فلا
يشعرون بفقد العشرة ومن تراه يجهل ما وراء ذلك من الخسائر المالية
المتابعة لما يحتاجه الجندي الشاكي السلاح القائم بالدفاع المستمرة من المؤنات
والذخائر والميرة وما شاكل ذلك فصرنا والحالة هذه الى ما هربنا منه بل الى
ما هو اشد وانكى وامانة مستقبل مجهول لا ندري مصيره

فما ذكر يعلم القاريء دا المسألة السودانية بأسبابه وعمله ويدرك
تخصيصه وتحصيله ثم يعلم ان العلاج المستعمل له لا يقوي عليه بل يطيل
عهده ولكن ليس من وراء ذلك شفاء وأحر به ان ندعوه داء صديراً لا

يأبث ان يتمكن فيمسي سلاً في درجنه الاخيرة ولذلك وجب ان ننقب لتوصل
الى العلاج الشافي قبل ان يتعاضى الداء عليه . وانا موردون في هذه اللحة
ما عن لنا في هذا اثنان ولعله لا يخرج عما يراه الراي العام ايضاً فان الغاية من
كل ذلك انما هي راحة مصر ولا راحة لها والمسألة السودانية على حالتها
المعلومة واليك البيان

لقد نقرر ان السودان لا تتركنا وان تركناها ومن المسلم به ايضاً ان
مصر اقوى من السودان بما توفر لها من المعدات ومهولة النقل فضلاً عن
نظام الجيش

واذا كان ذلك فالدواء الوحيد لهذا الداء اذن انما هو معاودة افتتاح
السودان واخضاعها لسلطتنا ولا ننكر ان ذلك يستلزم امرين مهمين اولهما
توفر المال والثاني توفر الجند والامران متوفران لدينا اذا اردنا فان مسالتنا
هذه متعلقة بالارادة لا بوجود المطلوب فالاولى غير حاصلة واما الثاني فحاصل
فاذا اردنا كان لنا من وجود المطلوب ما ينالنا واسطة تلك الغاية والا فلا
قما توفر المال فقد حصلنا عليه وهو تلك القيمة المهمة التي خصصت
للمسألة السودانية وقد انفتحت ولم تتحول هذه المسألة عن مركزها الاول فكأننا
اضعناها سدًى ومع ذلك فانتا لا تزال في مقام يتيح لنا توفر ما نبي بالحاجة
مع الوقت للاسباب التي سنوردها عقيب ايرادنا مطلب الامر الثاني وهو
توفر الجند

فاما هذا المطلب فلا يحتاج الى تدقيق وشروح لان القطر المصري يمكن

ان يكون له مع السهولة التامة جيش مؤلف من ١٦ الف جندي يؤخذ من ذلك اربعة الاف للخدمة في البر ويعين الاثناء عشر لافتتاح السودان وافضل طريقة لذلك وضع هذا الجيش بقيادة ضباط مصريين مخبكين قد خبروا السودان وحكموها وعلّموا مواقعها وعرفوا قبائلها وطباع اهلها ويجب ان يتخذوا طريقة الافتتاح بالقوة والحكمة ذلك انهم والحدود الان وادي حلفا يترصدون فيها مكاشفين القبائل التي امامهم فهي بين مصافية فدواؤها الاعزاز والاكرام لتتأيد بالاخلاص وتزيد في قوتها وبين متذبذبة ودواؤها التمليق والاستمالة لتأمن فتنتقل الى حيث القوة منسلطة . وبين عاصية ودواؤها الانذار فان اطاعت فيها والا فالحسام . وبعد التأني والوقوف على الحبايا تنتقل القوة المصرية الى مركز اخر في الداخلية وتكون تخوم مصر حيث تكون جيوشها والاستقراء لتقدم شيئاً فشيئاً حتى يبربر فدنقلة ثم تعمل الى ان تصل الى الخرطوم وليس من ينكر ان هذه الطريقة لا تجعل العساكر المصرية عرضة للخسارة ولا تزيد في النفقة المالية قيمة فاحشة بل تحفظ الجيش مصوناً من الطوارق لانه لا ينقل القدم الا متى امن الزلق فهو بحكم مدافع في حين هو مهاجم

وقد ثبت لنا ان النفقات المخصصة الان للحدود لا تجدنا نفعا فاذا كانت قليلة فهي بالنظر الى استمرارها وعدم فائدتها كثيرة فاذا اضيف اليها ما لا يتعذر على الحكومة اقتصاده من ميزانيتها امكن تأليف هذا الجيش وهو

متى تمكن في السودان افاد الحكومة افادة مادية تعوض عليها ما انفقته عليه
ذلك فضلاً عن مكاسب التجارة التي لا يحفلها المصريون وقد شعروا الان
بخسارة فوائدها ومنافعها

ثم ان لنا من ايصال الجيش المصري الى العدد المذكور ومن وضعه في
النظام الذي اوضحناه فائدة مزدوجة وهي تعزيز القوة الوطنية من جهة
وامكان الاستغناء عن جيش الاحتلال من جهة اخرى وان في الثانية وسيلة
عظيمة لتوفر المال وهو مطلبنا الاول لان ما تدفعه الحكومة المصرية على
جيش الاحتلال الان تحول الى ميزانيتها الحربية للاتفاق على جيتها الجديد
فيتوفر لها بذلك مبلغ معتدل ولا نظن ان الدولة الانكليزية تأنف من هذا
الامر ما دامت ملازمة قولها بوعودها من نحو الانجلاء

ومن تذكر علم ان حضرة صاحب الدولة الفارسي احمد مختار باشا قد
اشار بذلك في تقريره المهم عن السودان وهو ذاك التقرير الذي نشره الاهرام
مجملاً ومفصلاً وظهر فضله للجميع الا الذي الغرض وان ما اتينا به الان ان
هو الا من فضلات ذاك التقرير فانتا كيفما قلبنا المسألة لا نرى لها وجهاً افضل
من ذلك كيف لا وان لنا في الحوادث الاخيرة اعظم برهان فهذا ولد النجومي
يهاجم حدودنا بعد ان استراحت مدة وكنا ذكرنا في لمعنا الاولى عن
السودان خوفاً من مثل ذلك بناء على راحة افكار السودانيين من جهة
الخبشان بعد ان انتصروا عليهم ولم يمر على قولنا اذ ذاك الا ايام قليلة حتى
ظهر ولد النجومي بطليعة ٣٥٠٠ رجل

اجل ان عساكرنا الباسلة استظهرت عليه ودافعت اشد الدفاع وما برحت
توافينا الاخبار مشيرة الى تضعف عسكره وانحطاطه ولكن ما فائدة ذلك
يا ترى فهب ان القوة المهاجمة الان انقرضت عن بكرة ابياها وقتل قائدها او
او امر فهل انقرض السودانيون وداخلهم الملح والخوف وهل ليس لديهم
ولد نجوي آخر

بلى قد دلتنا الماضي على اننا كلما شئتنا شمل طليعة منهم وافتنا طليعة اخرى
بعد فترة من الاولى وقد مر بنا العامان والثلاثة والاربعة والحالة واحدة
وسيكون لنا في المستقبل ذلك ما دمت ملازمين خطتنا . وان هذا يقود الى
استمرار احتياجنا للجيش المحلة لاتخاذ بيد حاميتنا القليلة العدد عند تكاثر
المهاجمين كما جرى لنا في هذه المرة وفي غيرها ايضا

نتج مما ذكر ان رعاية المنهاج المعلوم في المسالة السودانية ليس من
ورائها نهاية وبالتالي ليس لاحتمال الجيوش الانكليزية نهاية وذلك ما لا
يناسب صالح مصر وبتكثرا فرجوننا والحالة هذه من رجال الحكومتين ان
يروا في انجع الادوية لهذه الادواء والله من وراء التوفيق

﴿ نفحات للمحات ﴾

(في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٨٩)

اي فلاح مصر . هلا فملك ظنونك قد حققتها الايام والحقيقة لا تقل
اشفار مرهقاتها . وصبراً فهايك اللحات الناطقة عن خاطرك قد صدقت عليها
لحوادث والعدالة لا تلثم اسنة سمهرياتها . وعذراً من العود الى ذكرى اللحات

ومواضيعها فقد ضمختها انفاس سمو اميرك فما لبثت ان تنسمت عاطر نفحاتها
فسقياً لمن اولئك مكارمه' حسناتٍ اصاب من فؤادك مزدرعاً خصبياً يقوم
بانماء نباتها

اي فلاح مصر. اذناك عرفناك فضل اميرك عليك الى الشرف بلازمة
طاعته. فاقصيت فضلات الشبهات عنك. وابعدك وثوقك بميل عزيزك
اليك عن انكار شرف غايته. فاديت بركات الاحسان منك. فبادر الى شكر
يديه ايفاءً باحسانهما اليك. واحي الجميل بالذكر قياماً بالواجب عليك. فقد
برهنت الايام على ان اميرك لا يتفك يهاديك بوادر التفاته. كما برهنت على
ان حالتك تستدعي من حاضر فضله' بادي تعطفاته. وقد عرفت يا فلاح مصر
بازك تعرف قدر الجميل ومن به اناك. وازك لا يضيع عندك المعروف ولا
يانف من الاقرار به فؤادك وشفتاك

اي فلاح مصر. قلت باسان اللحات ان فضل اميرك قد نقلك الى
حالة الحضارة فتقدمت التقدم الادبي. وان هذا الانتقال يستلزم بالطبع ان
يقابل بالتقدم المادي. وان الفرائض التي رسمت على ارضك تربو على تعديل
نتاج الحاصلات. لانها رسمت في ايام يذكرونا حاضر نتائجها بمصادرة ما فات.
وان الثلاثين بارة التي تبقى بعد الكدح لكل فرد. لا تضمن له حاجة يومه ولا
تكفل اثراده في الغد

اي فلاح مصر. قالت اللحات عن خاطرك ان الدين اثقل الغارب.
فتململت تحت وقره متثاقلاً ومذالماً ولكن كان هو الغالب. وان ليس لك الا

تحسين الزراعة ليفر لك الحاصل . وتستخدم ماوفر في سبيل عاجل لتحسين
 آجل . وان امامك من نحو نفسك واجبات تستلزم الاتفاق . ولا قبل لك
 بها دون الحصول على الصفر الرقاق . وان الزراعة وحدها تقصر عن ان
 تكون لندك السميع الجيب . دون ان يكون لك من موارد التجارة والصناعة
 ومصادرها اوفى نصيب . وان على ولية امرك النظر في تخفيف الاثقال .
 على قدر ما تسمح لها به ظروف الايام وحوادث الليال . فهل نراك اخذت
 في العمل الواجب عليك . وهل اخذت ولية امرك في رعاية حالتك
 والالتفات اليك

اي فلاح مصر . اجل لا اراك الا وقد تنبئت الى ما سالتك الملحاح
 ان ترعاه . بان تحسن زراعتك اولاً ثم لا تقتصر على موردها دون ان
 تستعين بمورد اخر سواء . اذ لم يقض عليك العدل ان يلزمك الفقر
 والافلاس . وان تعيش بالتقتير والكفاف صاغراً مكبوداً من دون الناس .
 بل لك ان تكون في بسطة من العيش فترتشف ماءك هنياً . ولك ان تتمتع
 بيسر الايام فتتناول قوتك مرثياً

اي فلاح مصر . اجل قد وافاك سمو اميرك بما حقق آمالك . لانه حفظه
 الله لم يفته العلم بوقر احمالك فاهتم بان يخفف اثقالك . كيف لا وقد بشرتك
 الاهرام لسان حالك . برفع بعض العوائد التي سدت في وجهك المسالك
 مع رفع بعض اثقال الدخولية التي كنت تن منها كلالاً . وثناً فف من
 مصادراتها تضيقراً وملالاً . فطب نفساً وقر عيناً فقد تنسنت من الملحاح

نفقاتها . ورايت ان الحقيقة لا تلبث الايام انت تصدق على معاني آياتها .
واسأل الله ان يحفظ لك سمو اميرك مصوناً من نوائب الحداث . وان يديم
رجال دولته في موقف انفاذ مقاصده الحسان

اي فلاح مصر . من انت وايا قصدت اللحات في ندائها . وايا اتخذت
موضوعاً لها في نهاية شروحاتها وابتدائها . أوزيراً امتلك من خير الارض
الاف الفدادين . ام كبيراً يقلب طرفه في ابعاد تزدان بالجنان والبساتين .
ام غنياً يتنعم بانفاق الدرهم والدينار . ام تاجراً ينتقل في العمل بين الزراعة
والاتجار . ام ذا منصب يحافظ عليه في اي الاحوال رعاية للواصل منه اليه
ام ذا ميراث طائل راى الخير . بين يديه ولم يتكلف ان يحرك لنيله يديه

اي فلاح مصر . هو انت الذي قصدت اللحات لا اولئك . اي انت
الذي ساورتك الايام واناخ الفقير مطاياه بفنائك . انت الزارع الحارث
المؤلف السواد الاعظم في القطر . وانت الفقير المسكين المعاني النصب والقهر
انت الذي لا تملك الا الفدان او كسوره او لا تملك غير عشك . او انت
المحترف المجاهد في الليل والنهار امل الحصول على بارات قرشك

اي فلاح مصر . هو انت الذي وصفت اللحات حالك فاصابت . ثم
اتمتت من حكومتك ان تواصل التفاتها اليك فاجابت . فاي رجل له شرف
ودين لا يعترف بانك كما وصفناك . واي رجل له بصيرة وبصر لا يراك كما
راينك . بل ما معنى سرور بدا على محياك . واعرب عنه يراعك وشفناك .
بل ما الذي ده اكبارك الى مشاركتك فيه فاحيوا الليالي الزادرات . وأما

عاصمة بلادك ليرفعوا الى سمو اميرك ورجال حكومته الشكر على ذلك
الالتفات. فنقول والحق يقال ان وراء ذلك اربعة مطالب نسوقها بالترتيب
المبين. ولئن تكن قذى في عين المارقين والخادعين المنافقين. وهي

المطلب الاول المستفاد من ذلك هو ان حالة فلاحنا احط مما وصفناها
بل ان بواقى ايراده بعد دفع ما عليه هي اقل مما قدرناها. اذ ما بدا من مظاهر
السرور علي رفع قيمة لو وزعت على الاهالي بالاقسام لما لحق الفرد الواحد
منهم اكثر من ستين بارة في مدى العام. فالسرفيا انها قد رفعت عن ذلك
الفقير البائس لا عن عموم السكان. ولذلك كان لها من حسن التأثير ما بدا
امرہ للعيان. وسر السرفيا ان حالة ذاك الفلاح منطبقة علي ما اشارت
الملحات اليه. لان المتناقل تحت وقر الاحمال يشعر باقل تخفيف يطرأ عليه
والتخفيف الحمل لا يهيمه رفع الطفيف عن صهوات منكيه. وحسبنا دليلاً على
ذلك مسرة هذا الفقير مما تلقاه. ثم نظر الحكومة في ذلك اليه لا الى سواء.
ثم اشترك كبارہ معه في مسرته في حين لم يشتركوا معه في ما اتاه

واذا كان ذلك ولا ينكره الاكل خادع مارق. فمن تراه ينكر على الملحات
انها لم تعصب كبدا الحقائق

المطلب الثاني المستفاد من ذلك هو ان ابن مصر من اعرف الناس
بالجيل. واقبلهم الى الارتياح للاقرار به ومقابلة القليل بالجزيل. بل هو من
افضل الناس تعلقاً بسمو اميرہ ابي العباس. واخلصهم له في السراء والضراء
والاقامة على طاعته دون التباس. وقد وفق به فكان له بمثابة اب يحنو

ويتعطف. ويعدل ويرحم ويتسوّ ويتلطّف. فكان هو المحسن ولكن الى من يعرف قدر الاحسان. وكانت رعيته هي المخلصة له في السر والاعلان. واذا كان هذا وقد ذكرته الملحاحات وسطورها ناطقة. فمن تراه ينكر عليها انها بما ذكرت لم تكن صادقة

المطلب الثالث المستفاد من ذلك هو تحقيق ثقة الاهلين بسمو عزيزهم الخديوي توفيق. فهو الذي انتشلهم من هذه البداوة الى ساحة الحضارة ومهد لهم سبل التوفيق. وهو الذي وسع في البلاد نطاق العلم. ونشر بالمحاكم راية العدل ونهض آية الظلم. هو الذي شادت الملحاحات بحمده فازدانت الطروس بشنائه العاطر. وهي التي اعلن بها الراي العام عن وكول امره الى عزمه الشديد وفضله الوافر. بل هي التي نطقت عن خاطر رعيته بصادق ميلها اليه. والتشرف بملازمة طاعته والتعميل في اصلاح امرها عليه. واذا كان ذلك وسطور الملحاحات قريبة عهد الوضع والطبع. فمن تراه ينكر عليها انها لم تسلك الجادة ولم تنتهج احكام الطبع

المطلب الرابع المستفاد من ذلك هو ان الراي العام في مصر موجود رغمًا عن كل من كابر وهول ولازم الانكار والجحود. فمن يقوى يا ابن مصر على انكار وجود رايك العام في البلاد. الا اعمى البصيرة والبصر واليف الاستبداد وحليف العناد. فمن هم اولئك الوفود الذين اموا ساحة عاصمتك الزهية. وتشرفوا بمقابلة سمو اميرهم ورجال حكومته السنية. اهم اجانب عن بلادك وغرباء عن مصرك. ام زمر واخلاط جميع الاتفاق

وبوادر الشمتات في قفارك . كلاً ثم كلاً بل هم كبارك المشار كوك في الوطنية
 الزهراء . والشاعرون بما تشعر به من شدة ورخاء . حملهم عرفانك وعرفانهم
 فضل اميرك عليك وعليهم . على ان يقوموا بالاصالة عنهم والنيابة عنك بالشكر
 لما وصل اليك واليه . فاي ذي وطنية وشرف منهم ينكر على الاهرام انها لم
 نصب في حقيقة حالك السداد . واي ذي دين وناموس منهم ينكر عليها انها
 لم تنفرد في اعلان وجود الراي العام في البلاد . واي ذي نظر وفكر ينكر عليها
 آيات مدحها لفضل اميرك . وما اولاك من المن في سبيل تعزيز شانك
 وحسن تدبيرك . فعبثاً يحاول المدلس حجب انوار الغزاة بثوب الرثاء الشفاف
 وباطلاً يمهّد الجاحد الحق في ان يستر بستر الخيلاء والدعوى نور الحق
 والانصاف

قل اذن ان تلك المطالب الاربعة التي انتجتها حركة الخواطر في هذه
 الايام انما هي دليل على صدق ما اعانته ابن مصر بلسان اللحات الاهرام . فكرر
 يا ايها الراي المصري العام بلسان اللحات ما طالما كررت . وقرر من واجب
 اثناء على سمو اميرك ورجال حكومته ما طالما قررت . واسأل الله ان يطيل
 بقاءه ويؤيد كماله . ويصون آله ويحفظ انجاله . وان يديمه عليك ليواصلك
 من فضله يوافر البركات . وينعمشك من زاهر كرمه بشميم نفحات
 اللحات . آمين

﴿ الجامعة النمائية ﴾

(في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٩)

جوزيت يا صروف الزمن خيراً عن الشرق ولئن بلغ سيملك فيه
الربى وفاض منه الوطاب لانك امطت لثام الجهل والغرور عن البصر
والبصيرة فشاهد الصور وادرك مادتها. اعدت له ذكرى ماضيه ايام كان
يجر ذيل العجب والته ويتعثر بالسطر السندسية ويرفل بمطارف الاجلال
ويزدان بحلى الفضل ويعتضد بجامعة الكلمة ويشنف السمع بنغمات الاتفاق .
ثم نقلت به الى ايام اخذ يجر فيها ذيل الفقر ويتعثر بشوك القتاد ويرفل بعباءة
التحقير ويزدان بحلى الجهل ويعتضد بتفريق الكلمة ويشنف السمع بنغمات
الاختلاف فتبين بالمقابلة ما هنالك وبضدها تبين الاشياء

ايها الشرق قد عشت بك الغير والغير حتى لم تبق ولم تذر واخفى
عليك دهرك واناخ بكلكه وهو له من طبعه وعادته عذر لانه لا يدوم
مسالماً كما لا يدوم محارباً وسبحان من يصرف الافعال في خلقه كيف يشاء
فوهنت عزائمك تحت وقر اثقاله واستسلمت الى الصبر مكرهاً حتى ملته او
ملك ثم قلبت له ظهر المجن واستبشرت بصادق القول " دوام حال محال "

ذلك هو القول الصادع بالحق والدافع الى التنصل من تسيب الصروف
والباعث على تلقي وقعتات السيوف بدرق الحكمة والعزيمة ودفع طارئات
الكوارث يساعد المهمة والثبات فالمرء لا يكون رشيداً الا اذا حنكته

التجارب والفارس لا يستقيم على صهوات الصافنات الجياد الا اذا استقام له
موقع العظمى في ساحة الجلال

ايها الشرقي الذي روعت طارئات الايام وطارقات الليالي قد شاهدت
والعهد غير بعيد ان ذاك الزمن الذي نافرك وناصبك قد انت ساجداته على
غاية شوطها ثم رجع بها خبيأ وهو يناديك ليسالك ويصافيك وقد رفع لواء
النصر في ساعده مرسومأ عليه شكل (الهلال) فانست وقلت هذه بشارة
الخير ومبدأ الهدى ثم تهلل وجهك بشرأوانت تدعو بفضل المولى الحميد
تلك هي دولتك العثمانية الباذخة الشان . وذلك هو جلالة مولاك
ومولاهما السلطان عبد الحميد خان . فقد عاهدنا الله به فاعزك واعزها
ويشر المشرق بارجاع جليل شانه اليه فاقبل ما وصل اليك بمجمل الشكر
ولا يمزب عنك ان لكل اجتماع جامعة يقوم بها ويستند في ثباته على
رعايتها وتلك قاعدة شاملة جامعة تبتي من عائلات المنازل مع قلة عديدها
الى ضوابط الممالك مع سعة حدودها وهذه الجامعة هي الحافظة لذلك الاجتماع
والداعية الى حرمة وحفظ مقامه وبها قامت الممالك على اختلافها وبسببها
تتأ انظام ورسمت الضوابط والروابط بين الحكومات

واذا رجعت الى تاريخ الماضي وجدنا ان هذه الجامعة كانت تختلف بحسب
اختلاف احوال القرون وابنائها بان كانت القربى او الجوار او البطن او
الفخذ فالمشيرة فالقبيلة ثم انتقلت مع الايام الى الديانة فاللسان فالجنسية
فالوطن وهذا هو الشان المرجعي الان في غالبية الدول العظمى فان الجامعة فيها

انما هي الوطنية فاوستريامثلاً تشتمل على عناصر عديدة بين هنغارية وسلافية
والمانية وغيرها ولكل لفته فضلاً عن اختلاف المذاهب ولكن الجامعة
الوطنية فيها هي التمسوية وقس على ذلك المانيا والروسية وانكلترا وغيرها.
وكل منها تجري احكامها على وتيرة واحدة وتخضع لقانون واحد ولو لم تراعى
هذه الجامعة في كل من الدول المذكورة لتفرق شملها وثل عرشها ونسخ
ظلمها وذلك هو مبدأ نجاح الغرب واستفعال كلمته ونفوذ امره فانه يجمع ما
تفرق في ممالكه من العناصر والمذاهب الى جامعة الوطنية

وعلى هذا المبدأ القويم وبهاته الجامعة ايضاً قوام دولتنا العثمانية ايدها الله
فان في ممالكها المحروسة عناصر عديدة بين تركية وعربية وارمنية ويونانية
وغیرها وكذلك مذاهب مختلفة ولكنها تجمعها كلها جامعة واحدة وطنية
هي العثمانية وهي دون استثناء تخضع لجلالة سلطانها وتصعد بامرہ وتنصاع
الى احكامه وهذه الجامعة كانت وتكون الحصن الحصين للرعية دون اطماع
الدول وما وراء العتب بها الا الحذران والضياع

واذا تبين هذا وهو الحق الصراح كان ابن مصر وابن الحجاز والعراق
والشام وارمينيا والاناضول وطرابلس الغرب وكريد والباخار اخوة لام هي
دولتهم العلية واب هو جلالة السلطان بل كان العربي والتركي واليوناني
والارمني والشرکسي واحداً في الوطنية ولقبه عثماني بل كان المسلم والاسرائيلي
والمسيحي والدرزي وغيرهم واحداً في الوطنية ولقبه عثماني
ذلك هو المبدأ الشريف الذي يجب على كل عثماني ان يراعي حرمة

وتلك هي القاعدة الراسخة التي نقضي على كل عثماني بحفظها والالتزام بأحكامها فان الشرق لم يتنزل عن منزلته الرفيعة في سابق الايام الا لما نسي هذه القاعدة ونسخ آية الوثام والوفاق وفرق في الوطنية بين عنصر وآخر وجنسية واخرى . ثم لم يعد الى اصلاح الحال الا لما ادرك الخطأ الفاضح وفرق التفريق وجمع الشتات بجامعة الوطنية

وبناء على ما اورده فابي عثماني سواء كان مصرياً او سورياً او اناضولياً او غير ذلك من الممالك المحروسة يجرأ على التفريق بين صنوف الرعية الخاضعة لجلالة مولانا السلطان او يجاهر بالفصل والتمييز الوطني بين هذه البقعة او تلك الجهة مثلاً وكتاتهما عثمانيتان . بل اي سوقة او امير او وزير او مشير من تبعة الدولة العلية كيف كان مسقط راسه ومنبت غرسه ووجهة دينه يهجم عن حق وجعل على انكار هذه الحقيقة او العبث بأحكامها - اجل لا يقدم على ذلك الا من خاف دينه خيانة تربو مساوي اخراه فيها على مساوي اولاه وباع وطنه بيع السماح في سوق الذلة والموان وتجرّد عن كل خلق سليم وطبع مستقيم وكان من ذلك الجسم العثماني بمنزلة العضو الفاسد لا علاج له الا انقطع .

ايها العثماني تد ونجح لك ان حفظ قوامك موكل الى حفظك حقوق تابعيتك وما وراءه الاخلال بها عن طيش وحمق الا ابغار الصدور وتوليد الفتنة وبالتالي التفريق والانقسام وبئس المصير واني لك ان ترى غير ذلك بل اي قانون يميز لك اياها المصري او السوري او الاناضولي ان تنزل اخاك

منك في التابعة منزلة الاجنبي عنك كالابطالي والسري وغيرها
 بل اي مبدا سياسي او اداري اصلي او فرعي وضعي او حملي يجوز لك
 ذلك أليس سلطانك سلطانة . ليس لواءك لواءه . ليس قانونك قانونه .
 ليس شطرك شعاره . ليس جندك جنده . ليست دولتك دولته . ليست
 معاماتك معامته . ليست تابعيتك تابعيته

قل لنا بعيشك اتخطب انت في جامعك وتدعو في كنيستك بغير ما
 يخطب هو في جامعته ويدعو في كنيسته . أأشاهد على دنائرك ودرامتك
 غير الظفراء السلطانية التي تشاهدها على دينار ودرهمه . أأنفق فوق
 سفنك في البحر وحصونك في البر لولا غير لوائه

بل قل لنا من الذي اباح لكبارك القاب الثرف أليس الذي اباح لكبار
 اخيك . وباسم من وصلوا الى الزتب والمقامات السامية . ليس باسم الذي
 وصل اليه كبارهم وبأبي النياشين تزدان صدورهم ومن احسن عليهم بذلك
 ليس بمثل ما تزدان به صدور كبار ذاك وان المحسن اليهم واحد هو جلالة
 السلطان

بل قل لنا باي قانون تأمر اذا ذهبت الى صقع اخيك ومن يكون
 حاكمك والى امين مصير امرك ومن يدافع عنك . أألك حاكم غير حاكمه
 وقانون غير قانونه وهل له اذا نزل ارضك غير حاكمك وقانونك لانكما
 كليكما في التابعة سواء وهي الجامعة العثمانية
 بل كيف لا تفتخر معه بهذه التابعة الجليلة وانت عثماني في حين

ترى الدول الاوربية تتسابق الى مصافاة السلطنة وممالفتها كما اوضحنا لك في
لحة سابقة وكيف لا يكون منك ذلك وانت ترى اخوانك في المذهب دون
التابعة يشيدون بمحمد جلالة مولانا الخليفة المعظم واليك بياناً واحداً بشأن
ما لقيته السفينة العثمانية التي تغرت في بحر الهند اثناء ذهابها الى اليابان تثبت
لك منقولاً عن جريدة الحقائق الغراء وهو بنصه الشائق

”ورد لتغراف من رئيس المدرعة العثمانية المسماة ارطغرل اوضح به
ما لقيه من حسن القبول والاحفال بمقابلته من الطوائف الاسلامية وهو وعهم
الى زيارة تلك السفينة وانه من عهد وصولها الى مدينة ستغافوره الى الان لم
تكذب تخلو من وجود الزوار طرفة عين ولقد زاره من مدينتي بومباي
وكولمبو نحو الثلاثين الف زائر ما عدا من تسارع الى زيارته من كبار
وعظام جهات ملته وسوماطره والجاوه حتى قال انه وعموم من بمعبته من
ضباط السفينة لا يمر عليهم يوم الا وهم مدعوون فيه لضياقة حافلة وانه عاجز
عن بيان ما شمل عمومهم من الفرح والسرور وابداء شعائر الوداد والمحبة
القلبية وتوالي الدعوات في المساجد ببقاء مولانا الخليفة الاعظم امير المؤمنين
أليس هذا كافياً لوئامك ووافقك . وأليس هو برهاناً ناصحاً على ما
اوردناه المرة بعد الاخرى من سمو نفوذ الجنتاب السلطاني على جميع العثمانيين
اولاً ثم على جميع المسلمين ثانياً بصفة كونه امير المؤمنين

وأليس ذلك برهاناً على قوة الدولة العلية وشوكتها وضربة قاضية على
اولئك المنافقين الخائنين المارقين الذين ينكرون حقوقها وأليست السؤل كلام

تعترف له بذلك حتى ان ائكترا نفسها من عهد رجالها ييل وبالمرستون حتى
اللورد سالسبري لا ترتاح الا الى السياسة التي يكون من ورائها استمالة الدولة
العالية اليها مما سبى على بيانه في دلحة ثانية

ايها العثماني قد حصص لك الحق فاصدع به وثار على هذا الوفاق
والوئام واقض القضاء الصارم على من عقى وخان. وانت ايها المصري العثماني
الذي كنت في مقدمة من اخلص وحافظ على هذه اتابعية وعلم انه خاضع
دينياً وسياسة لجلالةسلطانه احفظ على هذا المبدأ الشريف وتمثل بسموعزيزك
واميرك الوكيل الشرعي عن جلالة سلطانك والحاكم على بلاد هي من
جسم السلطنة بمنزلة القلب بل هو المضد الاكبر للدولة والوطن ومقر ثقة
العظمة السلطانية ومحط التفاتها وميلها. واسأل الله ان يصونهما ويعزز شان
الامة والوطن ويزيل داعية الشقاق وتفرق الكلمة ويؤيد الاتحاد والائمة
فيها العزة والمنعة وحسن الختام

❦ الاعمال بالمال ❦

(في ١٨ يناير سنة ١٨٩٠)

سئل بزر جهر، الفيلسوف عن الاسباب التي اودت بدولة بني ساسان
بعد ان كان لها من بسطة الملك ونخامة السلطان واستفحال الكلمة ونفوذ
الشوكة ما لم تصل اليه دولة فاجاب بقوله " لان ملوكها قلندوا كبار
الاعمال لصغار المال "

ذلك لعمر الحق جواب قاطع مانع بلغ من البلاغة حدّها واصاب سمعها
من الحقيقة كبدها . وهو ولا مشاحة من اهم المواضع التي تستلزم من
مطالب البحث والشرح ما بقي بالغرض ويدتافت ارباب الكلمة الى تدبره
والتنبيه اليه وقد تغيرناه موضوعاً للمبحثنا هذه ندع في سلكها من مبناه
ومفراه ما يحنماه المقام ولا تقوت فائدته فنقول

لا يعزب على الافهام ان الوجود نفسه لم يحفظ الا بالنظام على نحو
ما شاءت ارادة واجب الوجود جل جلاله وتلك العناصر والنواميس لا
يكفل حفظها الا بقاء ذلك النظام السامي الشامل دقائقها واحكامها اصلاً وفرعاً
وهذا النظام العام كان علة للنظام الخاص من قبيل الميل الفريزي الطبيعي
الى المحافظة على البقاء . وعن ذلك تولد نظام الشخص الفرد فالعائلة وما
فوقها بسلسلة صاعدة الى الدول والممالك . وهذا النظام لم يعم الا بما تبيته
العقل من القواعد والنواميس الضامنة ادراكه والكافلة رعايتها وحفظه وهي
ولئن اخذت بجداً باختلاف المادة او المكان لا تختلف غاية وهي الا - لحاظ
عليه لقيام العمل به -

واذا وضح هذا كان ذلك النظام الكافل حفظ تلك العائلة المنضوية الى
رعاية ربها في منزله هو نفس النظام الكافل حفظ تلك الحكومة الباذخة
الشان برعاية اربابها . وكما ان ارباب العائلات مسئولون لدى هذا النظام
عما يفعلون بالنظر الى عائلاتهم كذلك ارباب السطة مسئولون عنه لديه
بالنظر الى شعوبهم ورعاياهم وهذه المسؤولية عظيمة ان نقل نسبياً قرب

العائلة تطالبه أسرته فهو مسئول لها ولذمته، واما الحاكم فتطالبه رعيته كلها فهو مسئول لها ولذمته ولوطنه ولعائلته ايضاً فواجبه من هذا القبيل اعم من مواجب رب العائلة ولقد كان له لقاء اهمية ماعليه ما ليس للثاني من احكام الحرية قرب المنزل يضيق عليه في سبيل حفظه لنظامه ما يفسح معه مجال الحاكم في سبيل حفظه لنظام حكمته لان النقطة لدى الفريقين واحدة وهي التعاون

نتج مما ذكر ان نظام كل حكومة او مملكة يقوم بها لها ولاء لا يصلحون لحفظ ذاك النظام الا برعاية امور ثلاثة وهي حسن انتقاد وانتقاء وتعيين فبالاول وقوف على حقائقهم وبالتالي نزوع الى تخييرهم وبالتالي احكام في استخدامهم والى هذا المعنى اشار الحكيم بزرجمهر في جوابه فكنتي = بار الاعمال عن الخطيرة منها وبصغار العمال عمن يصفرون ادارة لا عمن يصفرون سنأفكم فتي بلغ حلم الشيخ وشيخ في حلم الفتى

وما كمال الفتى بالشيب في شعره لكن كمال الفتى بالشيب في الخلق
وتحرير عبارته انهم قلدوا الوظائف لمن لا يصلح لها فوضعوا الشيء في غير موضعه وهو مبدا الخلل

وانه ليسهل علينا ادراك هذه الحقيقة اذا التفتنا الى مراجعة حوادث الامم السالفة وتواريخ الممالك الماضية وحسبنا من ذلك وقوفنا على حالة الشرق ايام كان يجر ذيل العجب والتيه ومقابلته بمجالاته ايام اخنى عليه الزمن فتشاغل متمثراً بذيل الفقر والحوال اما الاولى فكانت له يوم رعا

رعاة مقسطون مدركون انتقدوا الرجال وانتقوهم وقلدوهم من الاعمال
ما ياهل لهم . واما الثانية فكانت يوم ساسه ساسة اضلهم الجهل واعمالهم
الغرض وافرطوا وافرطوا فاودوا بهم وبالرعية وساءت الحالة مصيراً .
ومعلوم ان العالم درجات وان التفاوت من احكام الطبيعة وبه تقوم مصلحة
العباد والله در من قال

لولا التفاوت في البرية لم يكن امر بمصلحة العباد يقوم
وكم من امة ذليلة اعزها شخص واحد وكم من مملكة عظيمة اذلها
شخص واحد فالدول باعمالها وهذه بها لها . وقد تنبه رجال المالك في هذا
القرن الى المبدأ الجليل واعملوا الفكرة في تهديد المسالك الموصلة الى المحجة
البيضاء والاستقرار ادر كوا الوسائل الكافلة نيل هذه الغاية وهي محصورة
في مطلب واحد هو تعميم العلم

فالعلم انما هو المراقبة التي ترقى بها الحكومة والرعية الى قمة العظمة
والجهد والكمال لان تعميم العلم يتيح تكثير الرجال الصالحين للعمل فتتزن
بهم مصالح الحكومة فهي مع تشعبها ليست الا بمثابة سلسلة محكمة الحلقات
فلا بد من رعاية كل حلقة منها لان انتشار الواحدة يؤذن بانتشار الاخرى
يفسد النظام ويتسلط الخلل . واذا دققنا في احوال كل دولة من دول هذا
العصر وجدنا ان الاسمى نظاماً بينها هي الاكثر رجلاً والعكس بالعكس
وايك البرهان

قلنا ان مصالح الحكومة متعددة وكل فرع منها منفصل عن غيره

نظماً متصل معنىً فسلامة نظام مجموعها موقوفة على سلامة نظام افرادها
ومعلوم ان الانسان كيف كانت درجة ادراكه اكنى لاثقان عمل واحد
منه لاثقان عمليين اثنين لان في الاول توجيه القوى مجموعة الى نقطة واحدة
وفي الثاني توجيهها متفرقة الى نقطتين والجمع حليف القوة كما ان التفريق
حليف الضعف . فاذا قل في الحكومة عدد العمال الصالحين للعمل اقتضى ان
يقلد بعض مصالحها لمن لا ياهل لها وذلك يستلزم من كبار العمال النزوع
الى واحد من اثنين اما الاغضاء واما الالتفات فان كان الاول فلا بد من
وقوع الخلل الذي لا تنحصر دائرته في مشتملات ذاك الفرع من المصلحة
فقط بل تحيط بغيره لما هنالك من ملازمة الصلات وان كان الثاني اقتضى
بالطبع توزيع القوى على جهات متعددة ونقط متباعدة ففوت العناية
حقوقها مما يستلزمه المهم من تلك المصاحبة لاضاعة الفرصة في مناظرة ما هو
اقل اهمية وقد قلنا ان الضعف حليف التفريق - نتج اذاً ان كل حكومة
كثير عمالها الصالحون المدربون استقام نظامها وقل خللها او امتنع وهذا هو
محط الرجال

وان لنا من وراء ذلك ايضاً مطلباً خطيراً أيّ يد عزة كل حكومة ومصلحة
كل دولة وهو احتفاظ الرعية على وطيد ثقته باهلية حكامها ووكل امرها
اليهم وارتياحها الى اجراءاتهم حتى لا يعود يهملها فصل هذا الموظف سواء
كان وزيراً او وكيلاً او مديراً او قاضياً ولا يروعهما استغفائه او مبادلته
غيره في وظيفته او تقاعده او موته لنا كدهما ان رجال الحكومة الصالحين

للعمل كثيرون فلا يخشى ان نطمع مصالح دولتهم او تسقط بعلة فصل وزير او استعفائه (الا في ما ندر كمالو كان الموظف نادراً في صفاته بين الرجال والنادر لا يبنى عليه حكم) لان تقليد الوظائف لا كفائها يتبع لهؤلاء ندير الشؤون على وتيرة واحدة تساق اعمالها بالنظام الاستقرائي ولذلك لم يرع انكثرا موت ديزرائيلي كما لم يهملها تنحي غلادستون وقس على ذلك غيرها من الدول التي كثر رجالها العظام وكان لها الحفظ الاوفر من تعميم المعارف

واذا تبين هذا وجب على كل حكومة متيقظة ان تصرف متهى العناية وغاية الهمة الى تمهيد السبل المبيحة تكثير الرجال الصالحين للعمل لكي تحافظ على نظامها وتندراً عنها غائلة النقص والذل وتكون امينة من مستقبلها كما انها من حاضرها لعدم وجودها تحت رحمة واحد فرد فان الخلود لله جل جلاله . بل وجب على كل رئيس كيف كان مقامه ومركزه ان يدرب من يرأسهم على العمل ولا يستنكف من تعليمهم وتنقيفهم وافادتهم وتشجيعهم وان ينبذ ذاك المبدأ الذي اتخذ به بعضهم حاجزاً دون اعداد الرجال وهو الخوف من المزاحمة فان الخدمة العامة مفضلة في كل حال على الخاصة وليس للانسان الا ما سعى . وما افضل ان يقال ان زيدا لم يخدم وطنه وهو في الوظيفة او في حياته فقط بل خدمه وهو بمعزل عنها او بعد موته ايضاً وذلك بمن علمهم من ابناء الوطن واعدهم رجالاً عظاماً ومدبرين حاذقين وساسة محنكين فالوطن يحفظ له ولاله الذكر الجليل والاثر الجليل

واذا قد تبين لنا ان سلامة النظام في الحكومات والدول موقوفة على
 اكفائها من رجال العلم والعمل وجب ان نرى في الشأن الذي ينبغي ان
 يراعى لهم لدى وجودهم . فنقول ان المواجه في هذه المسألة من وجهيها
 انما هي واحدة فكما انه يجب النظر في تكثير العمال الصالحين حفظاً للنظام
 كذلك يجب النظر في تعيين كل عامل للوظيفة التي يصلح لها حفظاً للنظام
 تلك الوظيفة والافسدت النتيجة لفساد مقدمتها واستوى العالم والجاهل
 والقلّة والكثرة ولقد ذكرنا آنفاً انه يجب على المقلد الوظائف ان يكون
 حسن الانتقاد والانتقاء والتعيين اما الاول فيقضي على المنتقد ان يكون
 عاقلاً لان نقد الرجال من اصعب الدروس وان يكون مستقيماً لئلا يتغلب
 الغرض والصنعة على معرفته . واما الثاني فيقضي عليه بان يحسن التعبير
 لان مجرد الالم دون العمل لا يفني فضلاً عما يستلزم ذلك من رعاية الاخلاق
 والصفات . واما الثالث فيقضي عليه برعاية النظر اي بتقليد الوظيفة لمن
 له سبيل الى بابها اذ لا يسوغ ان يقلد الطيب وظيفة مهندس ولا هذا وظيفة
 كياوي الخ ولكن اذا سلمت الوظائف لاربابها حسنت الحالة وقاموا بواجباتها
 قياماً مشكوراً لانهم يعملون بما يعلمون فلا تقوتهم اوجه المنفعة ولا يصعب
 عليهم درة المضرة وذلك ولا مرأه هو الشأن المهم الواجب التنبيه اليه والتعويل
 عليه بل هو قوام كل حكومة وميزان كل دولة
 ومن هذا المطلب يساق توجيه التنبيه الى كل حكومة قل عديد
 عمالها الصالحين الى الاحتفاظ عليهم بما يصل اليه وسعها والى حسن انتقائهم

وتقليدهم الوظائف وتدريبهم على العمل وتويعدهم على النشاط واعدادهم
لرئاسة المصالح المهمة لدى الكفاءة دون النظر في اعمارهم اي يجب ان
نجهلهم كباراً في الاستعداد والادارة ولو انهم صغار في السن ليتمكنوا من
خدمة الوطن وهم في جده الشباب ونشاطه قبل ان يدركهم عجز القوى
العقلية والبدنية فتفوت المزية المطلوبة منهم في خدمة البلاد

على ان النظام المطلوب في ياتنا هذا لا تترك غايته الا اذا روعي
فيه ما على ارباب الوظائف ولا سيما كبارهم من الواجب المهمة وهو ما
نلم به في ختام لمحننا هذه لتكون محيطة بالموضوع من جميع اطرافه

فمن ذلك اولاً وجوب ثقة رئيس المصلحة بين رؤسهم ليتمكن من
التفرغ الى المهم من وظيفته فيوفيا حقها والا التبتت عليه اشغالها واستوى
الاهم منها بالهم فانقص من واجب الاثنين . ودليل ذلك ان الناظر مثلاً لا
يمكنه ان يكون ناظرًا ووكيلًا ورئيس قلم ومديرًا ورئيس ضبط وناظر
قسم فاذا لم يثق بعمال نظارته بل وجه عنايته الى هذه الفروع توجيهًا عمليًا
قصر بالطبع عن القيام بهام النظارة الاولى واقعد العمال عن العمل جنبًا
واستياء وكان بما اتاه مشتغلًا بما يمكن لغيره ان يشتغله وثار كما لا يباح
لغيره ان يشتغله فالثقة اذا واجبة على شريطة ان نقرن بالمناظرة العامة

ثانيًا يجب ان يقتدي المصلحة العامة بكل مصلحة خاصة وهذا الواجب
يقضي عليه برعاية مطالب عديدة منها عدم اتخاذ المنصب ذريعة لنيل اغراضه
الخاصة . ومنها عدم تحقير من يرأسه لثلاثاً يساً موا . ومنها عدم استنكافه من

مشورة من يتبين كفاؤه منهم في حين لا يحسن ان يكون آله في ايديهم .
ومنها اعطاء كل ذي حق حقه وتقديم المستحق وتقييف المستعد ونبذ المتأخر
وما شا كل ذلك

ثالثاً يجب عليه ان يشرف المنصب بشريف اعماله فالخير في من تصدر
في المجالس لا في من صدرته المجالس وذلك يقضي عليه بان يقرن العزة بالحلم
والعظمة بالاتضاع والوقار بالوداعة والمدل بالرحمة والشدة باللين . وفي هذه
الحالة ينبغي عليه ان يترفع عن الدنيا كما ترفعه عن العار رعاية لحرمة وحرمة
منصبه . وان يجعل مقامه اسمى من ان تصل اليه وشاية واش او نقل ناقل
حتى لا يكون للعرض عنده مجال حذر ان تحركه العوامل النفسانية الى ما
لا يؤذن به سمو المنصب وهو الانتقام الذي لا تدانيه كبار الرجال ولا
تتنازل الى تصوره ارباب المناصب السامية

رابعاً واخيراً يجب على رب المنصب ان يتخلق بجميع الاخلاق
الحميدة الثريفة فهو من الرعية بمثابة مثال للاقتداء ونبراس للاستضاءة
فلا يحسن به ان يكون عبوساً فينفر عنه ولا ضحوكاً فيهزأ به ولا كاذباً
او مخادعاً او منافقاً لئلا يفقد ثقة العالم به ولا سكيراً او بذي اللسان لئلا
يحتقر ويهان بل يجب عليه ان يحافظ على كرامته بحفاظته على كرامة غيره
وان يكون ثابت الراي لا عنيداً فيه وان يعلم فضل الاخلاص والولاء والود
ليشوق الناس الى رعايتها وان يترحم الحسنة ومن اتاها ويقسو ليوذّب لا
لينتقم ويحنو ليستميل لا لينفر فاكتساب ميل الناس وثقتهم من اهم واجبات

الموظف وبالتالي ينبغي ان يكون متحلياً بالاخلاق التي يستلزمها المنصب
ويقضي بها ناموس الانسانية

ذلك ما عنّا لنا ان نعلقه في هذا الموضوع العام المهم ونحن على حالة
نحمد الله لوصولنا اليها في شرقنا فقد اقتضت حكمة جلالة سيدنا ومولانا
الخليفة السلطان الغازي عبد الحميد خان المعظم ان يعز السلطنة السنية بعزة
عمالها وتكثيرهم ونقلدهم الوظائف التي يستحقونها ومثابة التنبية والوصاية
للنظر في مصالح الرعية التي تدعو بتأييد ملكه ودوام نصره

وهكذا اقتضت حكمة سمو امير مصر وعزيزها وتوفيقها فانه حفظه
الله لازم السهر في سبيل الوقوف على احتياجات الرعية وتبديد العقبات
الحائلة دون نجاحها وصرف العناية الى تميم المعارف بين ابناء البلاد واعز
شان المدارس وادام التفاته اليها فاكثر بذلك عدد العمال الصالحين للعمل
واحكم في حسن انتقادهم وانتقائهم وتعيينهم وفتح لهم ابواب التقدم وسهل
مضمار المباراة فشادت القلوب بحمده ونطقت الالسن بمدحه واشتركت في
الدعاء له بطول البقاء وحفظ الانجال الكرام

﴿ هل عندنا رجال ﴾

(في ٨ فبراير سنة ١٨٩٠)

اجمع ارباب الحجي على ان الشرقي قد افاض الله عليه من بركات
الحجي ما اتاح له الاندماج في سلك المرتبة الاولى بين مراتب بني آدم

واتفق المورخون على الحكم بسمو مقام الشرقيين بما استدلوا عليه من بدائع آثارهم واوابد اخبارهم

وقرر المدققون ان للايام اطواراً وللاحكام اقداراً وللزمن ادواراً
تخضع لنواميس الطبيعة بين اقبال وادبار ايماء الى حركة الوجود
وقضى الحكماء بان العقل كالجسم في قابلية النمو فلا مندوحة عن رعاية
الوسائل والوسائط

واجمع العالم على ان العلم حياة العقل فهو غذاؤه وقوامه وملاكه وبه
نشأته وعليه مموله

وحكم الطبع بان المصري هو من فريق الشرقيين وان له من الآثار
ما يربو على آثار غيره عداً وعظمةً ونظاماً واحكاماً وعلماً وصناعة . وان
الايام قد دالت على هذه البلاد فانتابها من رائعات العوادي وعاديات الروائع
ما قلب لها ظهر المجن وغمزها بسنان النكد والقهر حتى اذا انتهى طور ادبارها
بسم لها ثمر الزمان مبشراً بطور اقبالها وذلك من يوم عاهدتها العناية بسعد المغفور
له الرجل العظيم محمد علي باشا ومن تعاقب بعده من اعضاء اسرته الكريمة
حفظها الله

فمن ذلك العهد هدمت حصون الاستعباد ودكت صروح الجهل .
وشيدت على اثرها قصور المدارس . وخففت فوقها بنود المعرفة والعلم .
وعمرت دور الطباعة وولفت السنة الاقلام في دماء المحابر وجرت ساجاتها
في ميادين الطروس . وثقفت العقول بالفنون . وارسلت الطلبة الى البلاد

الاجنبية للوقوف على معارفها واختراعاتها وعجائب اعمالها وترجمت الكتب المفيدة ببراعة ارباب البراعة. وامم مصر الرواد وانسياح والنزلاء نخالطون ابناء البلاد ويمازجونهم ويعاملونهم. ذلك فضلاً عما كان للقطار من دانيات القطوف في جنان الفضل وزواهر العلم من بستان الازهر بل حرم العلوم الذي كان ويكون وسبق الحافظ الاكبر لعلوم الامة العربية وموضوع نفرها وموطن مجدها. وهكذا مر على البلاد نصف قرن وهي جانحة الى التقدم ناهجة منهج السداد سائرة الى المحجة البيضاء. تذكر مجد اجدادها وما آلت اليه بعدهم فتحفز الى القيام لارجاعه وتشاهد عناية الامرة العلوية بها فتحفظ على جميلها وتدب السعي في اجابتهار غائبها. وترى تسابق غيرها الى توسيع نطاق الادبيات والماديات فتائف من السكون الى التحول. وتبين انعطاف سمو اميرها وتوفيقها الى تأييد عزها وتشيد دعائم مجدها فتشيد بمجده وتهب من رقدتها ناشطة من عقال الحطة والخسف

تلك هي حالة مصر وما وليها من ذرائع التقدم مضافة الى ما انشأته يد الحوادث فيها مع طور الاقبال من مدارس التجربة وسطرته من دروس الاختبار ورسمته من مشاهد الاعمال وصور العمال على صحائف السياسة والواح الادارة فضلاً عما انتبذته من مطالعات ساقطة ومطالب ضاغطة. وقد اقررنا وليس من يعنفنا او ينكر علينا ان قد صحت عقول ابنائها لصحة هوائها ومائتها فتالوا بالاسرة الكريمة والفوز بالعلم الاطيبين بعد ان ذاقوا بسوء الحكم وتسلط الجهل الامرين. فهل بعد ذلك يسوغ لنا ياترى ان نسال "هل

عندنا رجال

لقد مرّ علينا بضعة اعوام اخلطت خل حوادثها بظمرها والتبس خيرها
بشرها - فنظرنا من بادي السياسة ما نشر عن خافيا وتبيننا من خافيا ما شذ
عن باديها حتى اذا ما وصل مستطلعوها السير بالسرى وقفوا وقد تفتقت
استارها وقوف من اذهله ما لم يخطر له ببال اذ شاهدوا يد السياسة قد كتبت
على صحيفة الاعتذار سطرًا ملخصه "هل عندنا رجال"

ولكن من ترى هم الرجال الذين يقصدون في هذا السؤال افلاحون
يخدنون الارض ويسمونها ويمرعونها انتجاعاً للمورد الخصب - ام مزارعون
يبدرون الدرهم لاستغلال الدينار ويحكمون الزرع لاستدراار الضرع - ام
تجار يردون ويصدرون ويوردون ويصدرون ويسمعون ويشتررون - ام
مضاربون يسترزقون بالحركة وتقدّمهم عوامل الايام بين خوف من العناء
وامل بالاكفاء - ام محترفون يسلطون المادة على مثلها لايجاد الصور فيتقدمهم
مساوئهم ما ينفقه صباحهم - ام موسرون كفاهم غناهم مؤونة النصب
فاخلدوا الى الراحة وجانبوا شغل العيش - كلاً ان السياسة بسوءها لم
تقصد الرجال الذين من هذا القبيل اذ ليس لهم لاء فعل موثر في احكامها
ولكنها تقصد رجالاً تقوم بهم الهيئة الحاكمة لمساندة اربعة وهي السياسة والادارة
والحقوق والجنديّة

اما السياسة فهي الركن الاول من اركان كل حكومة وبلاد بل هي
الدعامة الوحيدة للمساندة الثلاثة المنوء عنها فكل حكومة لا سياسة لها لا قوام

لما وليس ينبغي ان الحوادث قد قضت بان يكون للسياسة في مصرنا شان مهم لا ينكره الاكل من لايعلم من السياسة غير اسمها

واما الادارة فشانها معلوم وهي تعط رحال العمل ومهيع النظام وموئل الاتقان وبها تمهد عقبات الاشغال والصلة الثابتة بين الحاكم والمحكوم والمنهج الواضح اما الى تحجة العمار او الى وهذه الخراب . وان لهذا المسند في مصرنا شاناً يربو عظمته واهمية على مثله في بلاد اخرى لاسباب عديدة لا تحملها عجالتنا هذه بل لا بد من الافاضة فيها في لمحة ثانية قريبة العهد

واما الحقوق فاسمها يغني عن تبيانها فهي ميزان العدالة بل هي الكافلة تبادل الحقوق وصون الحياة والرزق وقد كان لها في مصرنا شؤن ونرى يأنف ذو الشامة من ذكرها ثم انقلب الشيء الى ضده لتناهيه فامسى هذا المسند موضوع اهتمام القريب والبعيد ومرمى سهام النظر من الصديق والعدو

واما الجندية فيكفي وصفها بانها سياج الحكومة والامة ولها فضل الامن الداخلي ودفع الطاريء الخارجي ولم يكن لها في ما مضى الشان الذي امسى لها الان عندنا بعد ان ساورتنا الايام بمصائبها واكتفتنا الحوادث بنواصبها فباتت وهي نقطة الدائرة لخطوط مستقبل القطار

تلك هي المساند الاربعة التي تحتاج الى رجالها في قطر يبلغ نحو السبعة ملايين نسمة عدداً وقد جرى من نيف ونصف قرن في المنهج الواضح علماً ودرية ولابنائه من الذكاء الطبيعي ما يؤهلهم الى ادراك المرام بسرعة

الاكتساب فهل يسوغ لنا بعد ذلك ان نقول "هل عندنا رجال"
 نقول ولا نجش في الحق لومة لائم ان عندنا لهذه المساند اكفاءها
 من الرجال في حين لا نتناول الى القول بان عندنا منهم عدداً ومقاماً ما
 عند انكليترا او فرنسا او غيرها ولكن لدينا اكفاء اقله لما اهم من
 المصالح . واننا موردون للطالع برهاناً ناصعاً على صدق ما اثبتناه وهو يشمل
 النظر في مسندي الحقوق والجندي فنقول

لا يعزب على المدققين ان الوطنيين كانوا في ما سلف يبيعون
 دعاوهم او يرفعونها باسم الاوربيين لكي تقام امام المحاكم المختلطة اذ كان
 لهم من الثقة فيها ما يحاكي عدم ثقتهم بالمحاكم الوطنية السابقة وكانوا
 يمدحون في ذلك . ولكن لما سمحت ارادة الجنب الخديوي التوفيق
 بانشاء المحاكم الجديدة على السنن والقوانين العادلة وبدا للناس من احكامها
 وحرية ضائر قضائتها ما حسنت بدايته وشرفت غايته عدل الناس عن
 منهجهم الاول ووثقوا بالمحاكم الاهلية وثوقاً جاء اصدق برهان على اهلية
 رجالها ولا سبيل للتحويل عن هذا الوثوق الا اذا تبينوا ما يعبث به
 واهمه الخلل بالاستقلال

اما رجال الجندي فنكتفي بالبرهان على اهليتهم ما كان منهم في
 مواقع الحدود ولا سيما موقعة طوسكي التي ابلوا فيها ولسنا نتكبر فضل
 قادتهم عليهم بتدريهم ولكن الفائدة التي وصلت الى الجندي البسيط كانت
 اسمي ولا مراء عند الضابط فكما ان ذلك احكم القيام بمواجبه كذلك امكن

لهذا ويمكنه ان يحكم بها اكثر من الاول لسموه عليه في الاستعداد فالتفاوت امر طبيعي وحسبنا شاهداً على ذلك ما قاله روماء الجند من الانكليزي في هذا الموضوع . واذا كان لمسندي الحقوق والجندية المهين جداً اكفاؤهما فكيف لا يكون اكفاء للمسندين الاخرين

ويذكر المطالع اننا ابنا في لمحة سابقة عنوانها ﴿ الاعمال بالعمال ﴾ ان القيام بالمصالح يستلزم وجود العمال وهذا يستلزم رعاية ثلاثة امور وهي حسن انتقاد وانتقاء وتعيين وقد ثبت لنا الحصول على الاول فاذا اقررنا برعاية الثاني كان لنا عند ذلك ان نقول انه لا يسوغ ان نسال " هل عندنا رجال "

بل كيف يسوغ ان نسال ذلك ولا نخشى ان تسالنا العدالة وما الذي ينقصكم من معدات النجاح او من لم يستوف حقه من العلم والعمل . الم يقيم منكم شبان طموحوا اردية الشباب باحراز العلوم ثم نشروها في سبيل العمل . اليس فيكم ارباب السياسة الذين اتاحت لهم الايام سهولة المطالعة والمراقبة والمعايشة والمجالسة . وتلقي الحوادث سيئة وحسنة والتنقل في المناصب عظيمة ووضع فيكم ارباب الادارة الذين اعد لهم الاستحقاق والحفظ مقاماً في الخدمة وتمكنوا من المنصب ونقاباً في الوظائف ودرساً في صحف الخبرة والتجربة وتوكلوا على عصي الحوادث . اليس فيكم المهندسون الذين رسموا مقدمات افليدس على الواح افكارهم وانا فوا عليه بما اربى على متونها من شروح المتأخرين اليس فيكم الاطباء الذين احيوا ذكر بقراط وجالينوس

والشيخ الرئيس وقرنوا العلم بالعمل اليس فيكم الاقتصاديون الذين يحكمون
النقد في العمل والمعاملة فلا يلبث ان يسي درهمهم ديناراً - بلي فيكم كل
هو لاء وكيف لا يكون ذلك وطور اقبالكم في عهد الاسرة المحمدية العلوية
اتاح لكم الوصول والحصول على هذه المطالب فلذلك هل يسوغ ان نسال
«هل عندنا رجال»

نعم يسوغ هذا السؤال ولو ان هنالك رجالاً في ما اذا انتفى حسن
الانتقاء او قصر المال في العمل ويمكن حصر ذلك في امر واحد لا غير وهو
تفضيل المصلحة الخاصة على العامة فان ذلك من ادعى الاسباب الى هدم كل
نظام ومنع كل اصلاح ولا سيما في البلاد التي قام للسياسة فيها شوون واغراض
واشراب اليها اعتناق الاطماع والغايات وهيئات ان يقوم للمقصر عندا وتقبل
منه حجة في حين انتدب لخدمة وطنه واستلم زمام الامر والنهي وعلم انه
انتظر ان يسمع من وراء حجاب الحق صوت الذممة والشرف يسال ذاك
العامل ما عنك في صرف همتك الى تحقيق من ترأس وتفريق كلمتهم والقاء
الشقاق بينهم وارتكابك الدنيا واهتمامك في الانتقام من زيد واعداد الشر
لعمرو ونبذك اوامر رئيسك واستعمالك الجفوة والقسوة وجهلك مواجبك
ولزومك الخداع والرائء والمخاتلة وعدم الوفاء والعفاف وتوجيه جميع قواك
في سواد ليلك وياض نهارك الى شر تدنيه وخير نقصيه في حين يجب ان
يقودك عقلك الى انك باستلامك وظيفتك قضت عليك ذمتك وشرفك
ودينك بان تكون اعمالك كلها لوطنك ولا ميرك ولرئيسك . وانك في

مقامك بمثابة مرآة لمن هم يصدعون بامرك فيقتدون بك ويعلمون ان القيام
بمواجبههم فروض مقدسة وينقادون الى اشارتك عن ميل ورغبة لا عن
ازورار ورهبة وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى

فماذا نجيب عزّة النفس وانت تسعى الى الذلة والخطية وباي حال
تقابل الشهامة والافتة وانت تسعى الى رعاية الصغائر . وكيف تسأل
الاخلاص من غيرك وانت غير مخلص لغيرك بل غير مخلص لنفسك . بل
كيف تشكو من وطأة المراقب وانت تفتح بمفتاح تقصيرك اقفال منزلك .
وكيف تشكو معاملة رئيسك وانت اكرهته عليها بمعاملتك

ولكن اني للعدالة ان تشكوك او لصوت الحق ان يعتفك وقد اعززت
مقامك باعزاز نفسك وشرفت منصبك بشريف اعمالك واوجبت على
الغير احترامك برعاية مواجبك فتفرت من الدنيا وتمسكت بالعظام
ولزمت حرية الضمير واستقلال الفكر وقوام الارادة وصدق الاخلاص
فابيت ان تكون آلة صماء تديرها يد الاهواء كيف تشاء تفضيلاً للصالح
الخاص على العام

بل كيف لا يكون لك ذلك وانت تعلم ان شمس الحرية في هذا
العصر قد نسخت ظلام الانتبداد والرق وان مشكاة العلم قد اثارَت الابصار
والبصائر فالاعين بك شاخصة والاذهان مراقبة والاقدام مسطرة والتاريخ
حافظ

بل كيف لا يكون منك ذلك وانت ابن بلاد ينمشك هواها ويربك

ماومه وتدر عليك ارضها وسماؤه وقد ربيت في احضانها وصدرتك في ديوانها وعلمت ان شانك يقوم بشأنها

بل كيف لا يكون منك ذلك وانت الذي لزمته دار العلوم من يوم اميظت عنك التمام ونقدت جديد الشباب درساً لتحافظ على درهم المشيب ادارة وتبرهن لافرانك اذك . ولوطنك اذك غير عاق . وللقريب اذك من انسال اولئك وان في البلاد رجالاً من امثالك ياهلون لاجل المناصب فلا يكون للفكر مجال في ان يسال " هل عندنا رجال "

بل كيف لا يكون ذلك منك وانت تستوهب نعم تلك الاسرة المحمدية العلوية وتعيش في ظلها وتعترف من نيل جدواها وترى التوفيق بالتفات سمو توفيقك العزيز الذي وقف نفسه لخير وطنك واسعاده وهجر الوسن في سبيل انجاح مقاصده وتحقيق امانيه . فاعرف واعترف بجود يديه . وكل امرك في مهام الامور اليه . اعز الله به البلاد . وبلغها بطول بقائه المراد . حتى لا تبرح تجاذب بوجوده اطراف الفوائد . ولا تنفك تهصر لمكارمه اعطاف المحامد

﴿ من استقلت ارادته استقامت ادارته ﴾

(في ١٥ مارس سنة ١٨٩٠)

نتصور فنريد فنعمل فنجازي فالجزء مترتب على العمل وهذا موقف على الارادة . وقد ذكرنا في لحة سابقة ان سلامة الوجود العام تكفلها

سلامة النظام العام . وان سلامة الموجود من ادنى فاعلى يقوم بحفظ النظام المترتب على حسن العمل وذلك ما لا يكفلهُ الا ادارة مستقيمة تصدر عن ارادة مستقلة فمن استقلت ارادتهُ استقامت ادارتهُ

نفع اذن ان سلامة كل فرد بل كل حكومة موقوفة على سلامة نظامها وذلك مترتب على حسن الادارة . فالادارة اذن ميزان كل حكومة وقوام كل مملكة . ورجالها هم الكفولون صون بلادهم والقائمون بشؤونها والقبابون عن حوضها والدارثون طوارئها والذاهبون بها من غمرات الخلل والضبط الى سواحل النظام والسعة بل هم سياجها الضامن استقلالها والصائن حقوقها . ولذلك وجب ان يكونوا اكفاء لها وبالتالي اكفاء للقيام باعباء تلك المسئولية او التبعة التي تلحقهم اصلاً وفرعاً من وراء قبضهم على ازمة العمل واستئثارهم بتصريف الفعل فيما انتدبوا اليه ومطالبة كل منهم بما تستلزمه قوانين ادارته لان التصدر لتحمل اعباء تلك التبعة هو الذي اباح لذلك العامل ان يتصدر في ادارته ويمتاز اديباً ومادياً عن هم دونه

ذلك ولا مرأ هو التاموس الذي قضى بالرضى المتبادل بين ارباب المراتب على اختلاف النوع والكيفية . والا فكيف يحكم العدل على ذلك العامل بالسكوت وقد ذاب على العمل مكلفاً يحمل الاثقال ومعرضاً حر وجهه لحر الشمس وضاعطاً على قواه البدنية ضغطاً اقل نتاجه شق النفس وعرق القربة وله جزء ذلك من نقد معدود ما لا يتيح له الا الحصول على كسرة من خبزٍ اختمرَ بحرارة التعب وعجنَ بعرق الجبين ولكنه رزقٍ حلال

وكفى به انه يغني عن ذل السوال بينا يرى ناظره او رئيسه مكتفياً بالايماء
والاشارة نهياً وامراً غير مكلف بمشاق العمل وله جزاء ذلك من تقدم معدود
ما يتيح له بسطة العيش والتائق بالماكل والمشرب والتدثر بخير الملبس . وقص
على ذلك كل مروءوس تلقاء كل رئيس وكل مرعي ازاء كل راع .
فالاول قد رضي وحكم العدل برضاه لان مسئولته لازمة به فهو لا يطلب
الا باتمام ما امر بعمله ولا يهجمه عمل سواه . واما الثاني فمسئولته لازمة
ومتعدية لانه مسئول عن العمل من حيث هو وعن كل من قام من عماله
بذلك العمل فهو اذن في موقف لا تثبت فيه الا قدم اقدام وثبات ونشاط
وكلما بعدت مهمة رب الادارة زادت همومه وجسمت اعماله لان المهموم
يقدر المهم

ولا يفوت الحخير ان هذا المطلب الخطير كان له في شؤون الحكومات
الخطيرة شان مهم ترتب على رعايته نقد الرجال واخبارهم ومعرفة مقاديرهم
لان الوظيفة محك للموظف ولا سيما ما تعلق منها بالادارة فهي تقضي على
اربابها بالابانة والاظهار فتحقق الابصار بتلك المشاهد وتحكم البصائر عليها او
لها . ولما كانت نتائجها متعلقة بالعموم من حيث الضرر او النفع استلزم الطبع
ان يكون اربابها عرضة للملاحظة العموم وهدفاً لرمي نبال التنديد واللوم او
موضوعاً لعبارات الثناء والشكر . فالوقوف والحالة هذه هائل مهيب لا بد من
ان تدرك صاحبه هزة اما عن طرب يولده الشعور باتمام الواجب لوجود
الكفاءة واما عن وجل يولده الشعور بالعجز عن الاتمام لفقد الكفاءة وهما

منشا الفرق بين الرجال

وان لنا من وراء هذا البحث مبحثاً جديداً في شأن الادارة بين جانبي الصعوبة والسهولة بالنظر الى الشعوب فهي كما لا يخفى اما متمدنة او متبدية او بينها وعندنا ان ادارة شو^ن الطرفين المتناقضين اسهل من ادارة الطرف المتوسط لان المتمدنة تعام واجباتها وواجبات غيرها فتعطي كل ذي حق حقه وتحفظ للحرية المعتدلة مقامها وتحول دون من يروم العبث فيها ومتى كان لها هذا الشأن تنبه رب الادارة الى مواجهه وعلم ان عليه من الرعاية عيونا وارصادا وانه مسئول ومطالب بما يعمل فلا يركب متن الباطل ولا يتخطر بشوب العجب والنيه ولا يجمع قواه العقلية لتوليد الاضرار ودرء المنافع بل يصرها الى حيث الفائدة ويرتاح الى الرضى عن نفسه لقيامه بمواجبه كما يرتاح الى اقتناع نفسه بان هنالك من يعلم نتائج عمله فيقابلها بترطيب اللسان في الثناء فضلاً عن رعاية الحرمة وحفظ الكرامة

واما المتبدية فهي حليقة الارهاب وآلة القوة وبها يسهل قيادها لتعودها على ان تدين لرئيسها وتخضع لآثارته وتقتنع بان رضاه عنها كافل حفظ وجودها فاذا احكم رئيسها العمل تمكن من قيادتها كما يجب ويختار ولم يخامر وجل من الانتقاض عليه او العبث باحكامه وبلاستقراء سن لها من الشرائع ما يراه موافقا لمزلتها

اما الصعوبة كل الصعوبة في ادارة الشعوب المتوسطة بين الجانبين فهي لم تبق لها اخلاق البداوة لتعامل بما يناسبها ولم تخلق باخلاق الحضارة

على ما يجب لتعامل معاملتها . ويقلب على الشعوب التي في مثل هذه الحالة انها تنبذ محاسن البداوة في حين لا تأخذ من عوائد الحضارة الا ما بدا من مظاهرها الساقطة وهنا محط رحال الصعوبة امام الادارة لانها اذا عاملتها بموجب البداوة تظلمت وشكت وارجعتها الى الوراء . واذا عاملتها بموجب الحضارة تمردت وعنت وحكم هذا الشأن في الشعوب كحكمه في الافراد فالعالم ابن الحضارة سهل الانقياد لانه يعلم واجب نفسه وواجب غيره فلا يؤذنه له علمه بالتقاعد عن الوفاء فهو من قبيل من يدري ويدري بانه يدري . والجاهل يسهل انقياده بحكم الفطرة لاستعداده الى قبول العلم فهو من فريق من لا يدري ويدري بانه لا يدري . واما المتوسط بينها فحكمه حكم الاحق فهو من قبيل من لا يدري ولا يدري بانه لا يدري

على ان الادارة بجميع انواعها لا يستأثر بها مديرها استئثاراً يكفيه مؤونتها على واجب امرها وفريضة حكمها الا اذا استقلت له ارادة لتصرف فيه بالرشاد والسداد والحكمة والمعرفة وتسير به في الجادة المصونة بالقانون والمضبوطة بالقواعد العامة حتي يحاط باوامرها ونواهيها ويضمن سلامة مبادئها وغاياتها اجابة لارادة الوازع - وانا بما نذكره عن استقلال الارادة لا نغني به الاستبداد فان بين الطرفين يوناً شامعاً وبعداً شحيحاً وما الاستبداد الا الآلة المؤثرة على هدم كل ادارة وتخريب كل عمل بل هو جرثومة الظلم ومنشا الثورات وعله التاخر وذريعة الانحطاط وقد قضى عليه الجيل التاسع عشر المزدهر بالعلم والمعرفة قضاء صارماً بزجه في

دركات الهاوية . ولكننا نعني باستقلال الارادة ان يكون لمستلم الادارة ارادة له ' تعمل في تلك الادارة بموجب قانونها لا ان يكون خلياً منها بمثابة آلة لارادة غيره فن لا ارادة له ' لا ادارة له ' .

فلذلك هم ساسة الحكومات والممالك والتقاضون على زمام ادارتها يسرون مع من دونهم من العمال علي وزارة واحدة في الخطط التي اختطها القانون ولا يتخطونها بوسع الخطى حتى لا يخرجوا عنها ويلزم العبث بالقانون فيفسد النظام فكاهم خاضع للقانون فهو الرئيس العام والاصغر منهم خاضع بموجب هذا القانون لمن هو اسمي منه ' ولكنه ' مستقل ارادة ليسعه القيام بادارة ما اذاحت له السلطة تدبير شؤونه فللمامور مثلاً هو رئيس على رجال مامورته وله من السلطة اختصاصات صرح بها القانون ثم هو مروس من المدير يتلقى منه التعليمات ويأدله ما عنده من اعمال مامورته . فللمامور اذاً بصفة كونه رئيساً ان يستقل ارادة للقيام بمواجب ادارته والا سقطت حرمة عند من ياترون بأمره . وعليه بصفة كونه مروئساً ان يرفع الى رئيسه شرح متن اعماله . ولرئيسه في هذه الحالة ان يطالبه بما يقضي عليه القانون وان يكلفه بما لا يقضي به وقس على ذلك حلقات السلطات بفروعها فضلاً عن حلقات الاعمال علي اختلافها حتى يرجع الجميع الى القانون العام المشروع لتلك الحكومة او الدولة

فاذا اتزنت هذه المطالب ولم يعنورها تنخر . وابرام ازدانت الادارة بسلامة احكامها واقبل العمال على العمل وهم عالمون مواجبههم ومسترشدون

بدليل النظام ومعنضدون باستقلال الارادة والا ربحوا في بيداء اليه واعتسفوا
 سبل الضلال وركبوا متن الغرور وبالتالي اخلدوا الى الرضى بالحاصل
 احسن او اساء اضرَّ او افاد واستكنوا الى القبول بما ظالما غادروه عن
 انفة وعزة وشرف وكرامة فاقنعوا والحالة هذه من مرارة حقيقة المنصب
 بجلاوة ذكره وهزوا المنكبين وقالوا لنا جعل نسئليه ولا يعنينا ما
 هنالك . ومن هذا المبدأ نشأت الصنعة او ما يطلق عليه بين العموم لفظ
 « المحسوية » التي تحمل رب الادارة على نبذ القانون ظهرياً والنطاول الى
 ما لا يعنيه في سبيل تركه ما يعنيه فيضيع الاشياء في غير مواضعها ويسنوي
 لديه الحق والباطل ولا يلبث ان يسي آفة على من تمكته الايام من
 الاضرار بهم اجابة لاغراضه او لدعوة مرديسه ثم آلة تحركما يد القوة
 الضاغطة فيعمل ولا ارادة له . وفي مثل هذه الحالة يعلم المدقق الخبير ماهي
 مزية استقلال الارادة في شؤون الادارة

وان رعاية هذا الشأن كانت ولا تزال الدربة الباعثة على صوت
 الادارة في غالبية الممالك الغربية فاستتب نظامها واستقامت شؤونها كما كان
 عدم رعايته في شرقنا وصلة للاخلال والعبث فافضى الى هدم النظام والتلاعب
 في الحقوق والاحكام حتى ادركنه العناية بعهد رب الجلالة والشوكة مولانا
 السلطان الغازي عبد الحميد خان فجلا بشموس حكمته دياجي المظالم وانا را بصار
 الرعية وبصائرهما بشكاة عدله ورحمته فانتبه الحاكم الى مواجبه وعلم المحكوم
 حقوقه وبلاستقرار نالت البلاد ما اعد لها القانون وحق ان تناله فرائد

الالسة آيات الدعاء بحفظ جلالته وتأييد مملكته

ولقد كان لهذا القطر العزيز من سمو عزيزه وتوفيقه ما أدرك به
الغاية من هذا المطلب المجيد وحقق برعايته أمانيه من نحو هذا المبدأ القويم
فاخلد الاهلون الى جنان الرضى ولازموا حظيرة الاخلاص اذ وجدوا في
سمو اميرهم ذلك الامير الذي عالمهم بالاحسان وقابلهم بالانصاف فهادوه
قلوبهم وسالوا الله ان يطيل ايامه عليهم محفوفاً بسلامة الانجال
وصون الآل

﴿ الفعل الجميل بحميه الذكر الجميل ﴾

(في ٥ افريل سنة ١٨٩٠)

خلق الانسان ليحل فهو من يوم يراه ارجود متحرك ولا ينفك يلزم
الحركة وتلازمه حتى يجود بالنفس الاخير - هكذا شاءت العناية وهكذا
قضى ناموس الوجود

فالمرء اذن مطبوع على العمل فاذا لم يجب داعي الطبع ابتزته الطبيعة .
وهو مع القيام بفرضه اما ان تراسى به صحة المبادي الى جنان الاحسان في
العمل فيوفي حق تلك الارادة التي سخرته لذلك واما ان تتقاذفه خسة الجهل الى
بيداء القبح فيه فيجفوها وشتان ما بين الجانبين . وعن ذلك نجم التفاوت
والفرق بين بني آدم فالفعل اذ اعنوان الانسان وهو له بمثابة الثمر من الشجر
ولا يعزب على القاري ان العمل بين طرفي الخير والشر يختلف سمواً
وضعة اختلاف موثراته فاللازم منه محصور في دائرة لزومه ونفعه وضرره

محصوران وبالعكس ذلك المتعدي منه إلى غيره فان توسيع نطاقه باعث على
توسيع النفع والضرر وشمولهما. ولذلك جاء إن خير الناس من نفع الناس
ومقتضى الطبع في عكسه ان شر الناس من اسر الناس

واذا تبينا هذا المبدأ وسرنا طرفا الطرف في مجامع الحقائق وصلنا
الى نقطة لا تدفعنا عن ملازمتها خطوط ولا يذهلنا عن حرمتها مشهد الا
وهي العلم الوثيق بان سمو الفعل لوجهتي الضرر والنفع انما تدرك غايته الحقيقية
في عمل من يتولى مصالحة العباد فان فعله شامل عام لافراد ولجوع فنفعه
او ضرره يتناول جميع من يتولى امرهم او يقوم بتدبير شؤنهم . وهذه
المهمة هي التي اتاحت للرأي العام الملاحظة العامة ولولا ذلك لما سئل العامل
عما يفعل اذا اقتصر عمله على نفسه دون ان يمس غيره . فرب الوظيفة والحالة
هذه مسئول امام نفسه بمواجب خطيرة نقيم صاحبها ونقعه لدى نتائجه
عن القيام بما فرضه عليه العدل والقانون من نحو ادراك تلك المواجب
ومقابلتها باستعداداته فان كبار الرجال لا ينظرون الى المنصب من حيث
التريع في دسته والخيلاء في منصبه والتعثر بذيل مجده بل من حيث يستلزمه
ذاك المنصب من المطالب بالحقوق والقوانين والصيانة وما وراء ذلك من
التبعة التي تلازم العامل من يوم يستلم الزمام الى يوم يفاذره وله من بعده
بل الى الابد اما ذكر جميل مشفوع بالرحمة لسبق فعل جميل واما ذكر
قيح مشفوع باللعنة لسبق فعل قبيح

فالشان في تولي مصالحة العباد تراه الخاصة كما يجب ان يكون فتعلم ما

له عليها وما عليها له' واما العامة فتراه كما يجب ان لا يكون فتسأل ملاحق لها فيه وتقصي عما لها حق فيه . ومن هذا القبيل ايضاً ارباب الولاية فهم بين عالمين بحقيقة ذلك الشأن فيشرفون المنصب بايقانهم حقوقه وبين جاهلين تلك الحقيقة فيكونون فيه ضغناً على ابالة . وهذا هو منشأ الفرق بين رجال الممالك واممها

ذلك هو البرنس بسمارك فريد رجال المانيا واحد افراد الجيل التاسع عشر اعدت له كفاءته الطبيعية والاكتسابية مكتناً وصل به الى الجوزاء سمواً واستام زمام سياسة دولته بذراع الممة والنشاط ودبر شؤونها الداخلية والخارجية بالنيرة الوقادة والفظنة النقادة فكان له في تاريخها صحائف ثناء وشكر وفي السنة اقوامه ترديد مديح وذكر حتى احلته محل القائد الامين ووثقت بعدم انفكاكه عن منصة احكامها الى ان افضت حركة الايام التي تنقلب على الظنون وتدفع اليقين كالشك ولا معاند لها الى ما علمنا من امره وهو استقالة هذا الرجل العظيم من ذلك المنصب الخطير لاسباب تباينت مبدأً ومغزى وقد ادرجنا جلها في سابق اعداد الاهرام فلا حاجة لاعادتها

ولما حدث هذا الامر اضطرب له السواد الاعظم من رجال الممالك وقلقت له المانيا لانه لم يدر في خلد احد توقع الوصول الى هذه النقطة والرجل حي . ولكن لا يخال لنا ان البرنس كان واثقاً وثوق الناس بلامتته منصبه لان سمو مداركه لا يؤذن له بان يضبط على فكره لينحول بذلك

الى الاقتناع بما يبين مبدأ الطبع والوضع من حيث تصور الدوام لغير الدائم كما لم يفنه انه للبلاد لا للبلاد له فهي الباقية وهو التحول ولذلك وجه عنايته وهو في مجال العمل الى ان ياتيها الفعل الجميل ليحيب اولاً داعي الذمة والشرف والضمير ويلبي ثانياً امر الطبع من ان كل امرئ يسعى الى ذنك الحرفين الدافعين اليد الى الاشارة واللسان الى النطق بهما وهما "ذا" وكلا الامرين محمود وذلك هو علة البابين والتفاوت

فالرجل والحالة هذه قد اتى الفعل الجميل لامنه فوفى بحقوق المطلبين ثم استقال وعواطفه تشمر بالعزاء والسلوى لانه راي من مظاهر ابتناء جلده ما سعى اليه فقد قوبل وعومل منهم مستقيلاً بافضل مما عومل وقوبل موظفاً وكان الطرفان على جانب الرضى من قيام كل منهما بما عليه للاخبر بل كان لسان حالهما يقول "الفعل الجميل يحبيه الذكر الجميل"

وقس على ذلك تاريخ الرجال العظام ونخص منهم الحديث عهدهم فقط كتيبس وغامبنا ومحمد علي وديزرايلي وغرثا كوف وغيرهم من رجال المشرق والمغرب الذين غادرتهم المنون فضلاً عن الرجال العظام الذين لا يزالون احياء ولم في خدمة اوطانهم وسواها اليد البيضاء والفعل الجميل . ولنا من غير رجال السياسة والاحكام رجال افضل خدموا العالم خدمات شريفة حفظت لهم ولاعقابهم الذكر الحسن ولو لم يكن غرضنا محصوراً بالمحسنة هذه في الفريق الاول لوفيناهم حقهم ولكن سأتقي على بيان فضلهم في لمحة اخرى فالتمثيل والاقتداء واثار الخطى لها من القواعل مفاعيل امينة الواسطة

حسنة المصير وقال الشاعر

قد شبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح
واذا تبينا ما دوناه وتراجعنا في احكامه الى موارد البحث ومصادر
الامتحان ثبت لنا ما اشرنا اليه من ان سمو الفعل لوجهتي الضرر والنفع انما
تترك غايته الحقيقية في عمل من يتولى مصلحة العباد وان عظمة النتائج العائدة
على العامل في الامرين تابعة لعظمة الموضوع فيها وذلك كان المهاز الفاعل
في شاكلة ارباب المناصب الذين عرفوا سقوقها وادر كوا مواجبههم من نحوها
وعلموا انهم لا يحسن ان يكونوا لها من قبيل صاحب الاول ايضاً على نحو
ما قاله الحسن رضي الله عنه من ان الاصحاب ثلثة واحد كالغذاء لا يستغنى
عنه وثن كاللداء يحتاج اليه في بعض الاوقات وثالث كالداء يستغنى عنه
ابداً بحيث دأبوا على العمل ووقفوا النفس في سبيل الخدمة الوطنية لاوجهة
لهم الا تشريف تلك الخدمة ولا غاية الا نيل الفائدة العامة من احسان
القيام بما اتدبوا اليه مشفوعاً بنيل ما يساله الطبع وهو طيب الثناء وحسن
الاحدوثة في الحياة واحياء الذكر بعد الممات فان الفعل الجميل يبيحه الذكر
الجميل

وينعكس هذا الموضوع لدى من ينعكس في ظلمات اغوار الغرض
وانجاد الغاية النفسية اما عن سليقة الفها الطبع وهو غلاب واما عن
اكتساب غير ممدوح صدرت اغياره عن سوء التربية فنكب عن سوء
السييل وصرف العناية الى سد جشع الطمع دون النظر في حلال او حرام

ووقف النفس في سبيل انفاذ الفرض دون رعاية الاحسان والاساءة ولم
يرضَ بالاكْتفاء بهز المنكب وترديد القول ان لي جملاً اتولاه ولا يعنيني
ما هنالك حتى فناه بما هو ادهى وانكى من نحو اثار الشجون وتفرق
الكلمة محاولاً اقتناع نفسه باستواء الاصابة والخطأ والحسن والقيح واعتبار
طيب الاحدوث من قبيح المعون والخز عبلات او اكتفى بعدم الذكر
فقاته انه كما ان الفعل الجميل يحويه الذكر الجميل كذلك الفعل القبيح يحويه
الذكر القبيح

ولا مرأ ان هذه الصورة ترسم امام اعين العامة بين حسن وقبيح
مثلة من يقوم باعمال العامة لتحويل النظر اليها بناءً على توقع الفائدة او المصرة
وليس من ذلك شيء بالنسبة الى من لا شأن له الا في نفسه او خاصته .
ومن هذا التبيل توجيه الحكم على الشخص بالنظر الى افعاله الخصوصية فلا
حجة للائمه عليه اذا كان غنياً ومجيداً على نفسه ولكن له عليه الحجة في ما
اذا قصر عن ان يفيد غيره من بني البشر من ماله ولو لم يسرف في الانفاق
على نفسه اي ان الانسان الغني البخيل يروق له ان لا يتدثر باللباس الفاخر
والطعام المتقن والشراب اللذيذ وذلك انما هو ذوقه وهو لا يتهدى الى غيره
بل لازم لنفسه فلا ضرر ولا ضرار على سواء ولكن امساكه الدرهم عن
النفق وهو قادر عليه مضر قدوة ومثلاً بل هو من قبيح العيب والنقص
وقال المتنبي

ولم ار في عيوب الناس شيئاً كمنقص القادرين على التمام

والخلاصة ان المكلف بخدمة العموم انما هو اليق الموقوف الضئك والمركز
الحرج والمهدف العام لرمي السهام والمطالب من الدمة والطبع والانسانية
بالتقاضي امام محكمة الضمير والشرف فلا مفر له من القيام بما ندب اليه ولا
خلاص له من هذا المركب الخشن الا اذا عرف حده فوقف عنده وجرى
النفس عن الاهواء المنخرقة وعلم ان عزة النفس وكرامة الاخلاق وصحة
المبادي والشرف من تليد وطريف تستلزم طبعاً سليماً يحافظ على الشرف
بخدمة صادقة تدفع اليد الى الاشارة اليه بذنا وتستدعي القلم الى تدوين
عبارة تكون خير ذخر له ولا عتابه وهي " الفعل الجميل يحميه الذكر
الجميل "

﴿ صهوات المناصب لفوارس التجارب ﴾

(في ١٢ افريل سنة ١٨٩٠)

سأل احدهم حكيماً " من اجل الرجال " اجاب " من قام باجل
الاعمال " قال من هو وما هي . اُجاب " من قاد ابدان الناس بقلوبها وقلوبها
بخواطرها وخواطرها باسبابها " قال اذن تعني رب المنصب ومنصبه . اجاب
" انت قلت "

والى هذا المعنى اشار ارسطو الفيلسوف في ما كتبه الى الاسكندر
قال " املك الرعية بالاحسان اليها نظفر بالحب منها واعلم انك تملك الابدان
فاجمع لها القلوب لان الرعية اذا قدرت ان تقول قدرت ان تفعل فاجتهد

ان لا نقول تسلم من ان تفعل

نتج مما ذكر ان سياسة المنصب من أجل الاعمال وان القائم بمواجهتها له امتياز الفضل بين الرجال ولا غرو فان المرء ليتولاه الشعور بالفخر وتلقاه نوازل الثناء وهو لم يحسن القيام الا بسياسة خاصة فكيف به وقد اضاف الى ذلك احسانه سياسة العامة ولما كان مقدار فضل المرء على سواء موقوفاً على مقدار نفعه سواء كما جاء في الحديث الشريف (ان خير الناس من نفع الناس) كان لرب المنصب ما ليس لغيره من الفرائع التي تعد له سعة المجال في سبيل نفع الناس . وقد اشرنا الى شيء من ذلك في المحنة الثالثة التي جعلناها مقدمة للمحنة هذه

وليس ينبغي على البصير ان المرء يطلب بقدر مكنه ووسائطه اذ لاجود الامن وراء موجود فاذا امسك موسراً ليم لوم من بسط معسراً . واذا نشرت له الايام بساط العمل فطواه اما بذراع ادماها سهم التحول والكسل واما يدير اشلهما الغرض والحق قضي عليه العدل بعقاب من عاكس احكام الوضع والطبع وخالف قانون العرف والشرع . وهل تفتش الامام بساط العمل لرجل اولي من رجل المنصب فهو ولا مراة شريك الطبيعة في المحافظة على قوانينها والاحتفاظ على نوااميسها بل هو آلتها المنفذة لاحكامها والقائمة بحركة دقاتها فاذا لم تكن صالحة حالت دون الحركة فنشأ الضرر . وقد قيل " اذا زل العالم زل بزلته العالم " ومثل ذلك زلة من يتولى مصاحبة العباد ويقوم بسياستهم فهو قد عهد ايه اهم اعمال الانسان فكان مركبه خشناً

وموقفه هائلاً وحسبه من صعوبة المراس جمعه من الاضداد ما قاله عمر رضي الله عنه وهو "لين لا يتولاه ضعف . وقوة لا يمازجها عنف" او ما قاله آخر "تواضع عن رفعة . وزهد عن قدرة . وانصاف عن قوة"
 واذا سبرنا غور الحقائق بامعان الفكرة وانعام النظرة وانسنا الى صحة المبادئ التي شرحنها وقفنا امام المنصب وقد حفرت بنان الحق في قوائم كرسية الارباع اربع كلمات وهي . وطنية . حكمة . همة . مسئولية . فوجدنا الموقف هائلاً لان من ورائه التقاضي الى محكمة مهيبة عادلة قانونها الذمة وقاضيا الضمير ومنفذ احكامها الشرف فمن البعث اذا انت يبرز ذوائب الرحال الى المنصب من لا تهصر اعطاف الوطنية في مقامه . ولا ينجني ضرب الحكمة من ضروب بنائه ونفثات اقلامه . ولا يدل سيف الهمة من اجفان نشاطه واعماله اقدمه . ولا تشام بارقة شعور في افق ضميره من سحب نقضه وابرامه .

اما الوطنية فهي المحور الذي تدور عليه كرة الخواطر او النقطة التي ترسم منها دائرة الشعور والعواطف . يولدها الطبع وتنميتها التربية ويكفلها الشرف وتبرزها الاربعية ولها على المرء من الحرمة ما لوالديه عليه لانها تقوم باكفائهما ليقوما باكفائه ولم تعمم البلدان الا بحجة الاوطان ولذلك قالوا ان حب الوطن من الايمان . فعلى صاحب المنصب ان يتصف قبل كل صفة بالوطنية الصادقة ويأنس الى وفاء حقوقها العامة قبل النظر في وفاء حقوقه الخاصة لاشتمال الاولى على الكل والثانية على الجزء والجزء داخل في الكل

وان له من احضان الطير لشمه مهزاً اشاكاة تنبيه

واما الحكمة فهي الدعامة الثانية المتممة للوطنية لان مجرد الارادة في الميل الى العمل لا يفي ما لم يشفع بقوة فاعله مدركة لتبين اوجه العمل والذرائع التي تنطبق على ذلك الميل وتجاوب على تلك الرغائب الصادقة والا ضاع الميل القوي استكانة عن خمول او نزق عن جهل فأتى الضرر من حيث يرجى النفع ووقع الخطأ من حيث يرام الصواب ومن هذا القبيل قولهم "عدو عاقل خير من صديق جاهل"

واما المهمة فمن مميزات الحكمة لانها القوة المنفذة لها والكافلة اغنام نتائجها بل هي التي تمتطي الليل والنهار في مجاهد العمل انفاذاً لما تشعر به الوطنية ونقضي بايجابها الحكمة فن ثبطلت همته عن السعي الى الامام نقلته ادوار الايام الى الوراء

واما المسئولية فان هي الا خلاصة القوى الثلاث ومن خصائصها التنبيه والتحذير وصون رب المنصب من الخطل في القول والزلل في العمل عن رعاية لحرمتها وادارك لاهميتها فن لا يسال عما يعمل ياخذ دافع من اثنين اما قعود يمازجه كسل واما غرور يخالطه طيش وفي الاولى سقوط وخمول يفضيان الى الاضاعة والفضة وفي الثاني استبداد وظلم يؤديان الى النفرة والغضب وتبست نتيجة المقدمتين

ولكن بأي شيء تقوم الوطنية يا ترى بالدعوى بها قولاً والاغراض عنها عملاً أم بمجرد الانتماء النسبي دون القيام بمواجبه ام بالتعامل على

قريب لم يسي^١ ام بكسر اقفال الابواب الموصدة دون تداخل الغريب . ام
بنسيان الواجبات التي تستلزمها الوطنية عن مبدأ الدين والشرف - كلاً
ليس ما ذكرناه من الوطنية بشيء فالقول لا يصدق حتى يشهد به العمل
ولان لم نقل ولم تفعل خير من ان نقول ولا تفعل وافضل منه فعل لا يسبقه
قول وما الطف ما قاله صنى الدين الحلي في مثل ذلك اذ ضمن في شعره مثل
البلبل والصقر فقال البلبل مخاطباً الصقر

وقال اراك جليس الملوك ومن فوق ايديهم تحمل^٢
وانت كما علموا اخرس وعن بعض ماقلته تنكل^٣
واحبس مع انني ناطق وتندري عندهم مهمل^٤
فقال صدقت ولعنهم بذلكدروا اني الافضل^٥
لا في فعلت وما قلت قط وانت نقول ولا تفعل^٦

واما مجرد الانتماء دون القيام بلوازمه فالصفر عن يسار العدد لا قيمة
له او كواو عمرو تكتب ولا تقرأ بل هو عيب لا يستر وذنوب لا يغفر .
ومثله ايذاء بن لم يسي^١ تشفياً وانتقاماً عن جهل بدعوى ان ذاك
ليس منافع ان السياسة تقضي بان نعتبر من ليس عليك في مصاف من
هو معك وبما كس ذلك تمهيدك ان هو عليك السبيل الذي تمهده لمن هو
معك من قبيل وضع الشيء في غير موضعه . ومثل ذلك اغضاؤك او صمك
الاذنين دون استماع صوت الدين والشرف اللذين يلقيان عليك بان تقدي
وطبنتك با عز وهان وتحتقر في جنب صونها كل مصلحة خاصة ولان

عظمت وتحترم كل مصلحة عامة ولئن حقرت - تلك هي الوطنية الحققة
الصادقة التي يجب ان يتحلى بها كل ذي منصب ورياسة

ثم بماذا نقوم الحكمة الوطنية ياترى . ابالاستبداد في الراي والعمل . ام
باتخاذ المنصب ذريعة للاضرار بالناس عن اجابة لانتقام او اصاخة لاشارة .
ام بتفريق كلمة ابناء الوطن وايجاد الشقاق بينهم ودفع الواحد منهم للإيقاع
بالآخر . ام بانفاذ الغرض الخاص وتحميل المؤتمرين بالامر ما ليسوا مكلفين
باحتماله . ام بأسر الارادة في شؤون الادارة واطاعة كل اشارة . ام برفض
كل امر ثم القبول بكل امر . ام بتفصيل حلاوة المنصب مجردة على مرارته
مركبة وقد تجت المضرة من بينها وحكم العقل والعيان بها وابى الطبع الشريف
قبولها - كل ذلك بينه وبين الحكمة بون شاسع وبعد سميق فاما الاستبداد
فضرب من ضروب الحماقة وقالت الحكماء (الرجال ثلاثة رجل ونصف رجل
ولا رجل فالاول من له رأي ومشورة والثاني من له رأي ولا مشورة له
والثالث من لا راى له ولا مشورة) فالمستبد لا بد من ان يكون ثلثي الثلاثة
او ثلثهم . ولا يعزب عنا قوله " وشاورهم في الامر . والمشورة من الروح
القدس " وقال الشاعر

اقرن برأيك راى غيرك واستشر فالامر لا يخفى على الاثنين -
للرء مرآة تربه وجهه ويرى قفاه بجمع مرآتيف -
وقال الاخر

شاور سواك اذا غابتك نائبة يوما لو كنت من اهل المشورات -

فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها الا بمرآة
وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم قال الف رجل وفيما حازم
واحد فتحن نشاوره فكاننا الف حازم

واما اتخاذ المنصب ذريعة للضرّة فمن اكبر المعاييب واخس الافعال فعلى
رب المنصب ان ينسى صفته الخاصة وهو في منصبه ولا ينظر الا في صفته
العامة التي تحظر عليه الانتقام اما لغاية داخلية او لاشارة خارجية فان ذلك
من الدنيا التي يترفع المنصب عن النزوع اليها. ومن لو ثم الطبع اندفاع
القوي الى الاصرار بالضعيف ولئن لم يحل دون ذلك حائل فكيف به وقد
قام حاجز حصين هو منصة المنصب يحمل دعائمها نجاد حسام العدل والحق
ولذلك امتاز كبار الرجال بتنكيمهم عن هذه الخلة وشرعوا مناصبهم برعاية
ما ظهر لهم صوابه ولو بدا من عدو له فضلاً عن صديق اود ثم الاغضه عما
لم يأت على مرادهم او لم يلائم سياستهم

بل اية هي الحكمة الوطنية من وراء نثر التنظيم وتشتيت الجميع اذا
كان رب المنصب يثير نائرة الحقد من هذا على ذلك ويفرق كلمة الرعية
الموتمرة بامرّه ويولد الضغائن والاحقاد في القلوب بانشاء الاحزاب المتباينة
وتعصيد الواحد للثقل على الاخر اما لانتقام خاص عن كرهه بذلك واما
لغاية اخرى من مثل توهمه انه بتفريق كلمتهم تسود كله فيا من في سريره
وينال مرامه ويجاوب جشع طمعه. بينما نقضي الحكمة بجمع الشتيت ونظم
النثر وازالة الاحقاد وتأليف القلوب وبهذا التنافر ومثل ذلك يقال عن

تحميلهم ما ليسوا مكلفين باحتماله بان يكرههم وهو غير مصيب او مسوق
اليه بموجب قانون على قبول ما يكرهون وهم مصيبون وغير مكلفين اليه
بقانون ولا يعلم ان من تداخل في ما لا يعنيه يسمع ما لا يرضيه وان ايس
في القانون محاباة وجوه ومراعاة خاوار وقال الشاعر على سبيل التمثيل
ولم انس الملية حين راحت الى قاضي المحبة تستكيحي
فقلت لها ارحمي ضمني فقالت وهل في العشق يا امي ارحمني
بل كيف يليق به وهو يرى نفسه اهلاً لمنصبه او اسماً منه ان
يكلف من يأتمر بأمره اما عن رجاء او عن تهديد تحميل ما يكره وهو غير
مكلف به. فهل ذلك من قبيل الحكمة الوطنية والطبع الشريف والمنزع
السامي. ومن هذا القبيل ايضاً عدم استقلال الارادة في شؤون الادارة
وذلك ما استوفينا شرحه في لمحة سابقة فلا حاجة لاعادته

وليس من الحكمة ايضاً رفض رب المنصب كل ما يطلب اليه ثم قبوله
بكل ما رفض لانه اما ان يكون الرفض عن انفة واستكبار اجابة لخلق
غير يزي يرتح الى مجرد النهي والامر دون النظر في صوابية المطلوب واما
عن اقتناع مسيق بترؤيه وامان بان المطلوب لا يناسب فن كان الاول
ولا مناص من القبول فالاولى عدم الرفض لان مرارة العود الى القبول
تربو على حلاوة الابتدار بالرفض وان كان الثاني فالثبات على الرفض اولى
ولا عبرة للمصانعة اذا كان هنالك سبيل للتخلص منها والتخلص من تبعاتها.
ويقاس على ذلك تفضيل الحلاوة المجردة التي كدرتها المرارة المركبة فان

في مناقبتها حلالة لا تعقبا مرارة ووسيلة للتجرد عن مضرة تكتنفها معرفة .
ثم بماذا نقوم مهمة الحكمة الوطنية ؟ بالتزوع الى انفاذ العمل دون رعية
الظروف . ام بالضغط الشديد المتولد عنه ضغط متسلسل - ليست هذه
المهمة نقوم بمثل ذلك لان الاسراع في انفاذ العمل دون رعاية الظروف يدعو
في كثير من الاحايين الى تجاوز الحقيقة والتخطي الى الاعساف فلكل مقام
مقال والاشياء مرهونة باوقاتها وكثيراً ما افسد العمل التسرع في انفاذه
ولذلك قالوا " في العجلة الندامة وفي التأني السلامة " واما الضغط المنوء ..
عنه فاقول ما فيه انه يدفع العمال بالتسلسل الى الاخلال بالقانون وابعث في
احكامه وما احسن ما جاء عن معاوية في هذا الشأن قال اني لا اضع سبيني
حيث يكفيني سوطي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني . ولو ان ما بيني
وبين الناس شعرة ما انقطعت . فليل له وكيف ذلك قال كنت اذا مددوها
ارخيته واذا ارخوها مددتها

ثم بماذا نقوم المسؤولية من وراء ذلك بالاسراع في العمل عمن ام
قبح . ام بمجرد النية به دون انفاذه . ام برفقها عن كاهله والقائها على كاهل
غيره - كلا لا نقوم المسؤولية بمثل ذلك ولكنها قائمة بان يعلم رب المنصب
انه مسئول امام منصبه اولاً من ربه ثانياً من ضميره ثالثاً من شرفه رابعاً
من اميره خامساً من وطنه سادساً من خاصته . وبان يعلم عظم هذه المسؤولية
واهميتها وما يترتب عليها له لوطنه من مضرة ونفع وخير وشر . وان
عليه تلقاه ذلك مواجب ذات شأن نقضي عليه بمفادرة الوسن وملازمة البهر

ومزاولة العمل ومراقبة الحوادث وانتهاز الفرص ومنايذة الاغراض والترفع
عن الدنيا والتجمل على الشغل واحتمال اثقاله بالصبر والتوادة والرفق بمن
يأثمرون بأمره وزرع بذار الاتحاد والفة والمحبة بينهم واستئصال جرائم
الشقاق والخلاف والضغائن والاحقاد بحيث يكون لهم بمثابة اب واخ وابن
فيبر اباه ويحفظ اخاه ويرحم ابنه

تلك هي مسؤولية رب المنصب بل تلك بعض الواجب التي عليه ولا
سبيل لتنصله من تبعها اذا لم يتم بها فاذا قرن استقلال ادارته بحسن ادارته
اتاحت له الايام ادراك غايته ونيل بغيته فلزم الوظيفة يشرفها وتزهره
واستمال اليه قلوب من سلم زمام امرهم فاخلصوا له في السرواتجوى ووثقوا
بعدم تغيره عنهم في سلوكه لوثوقه بان نفسه اسمى من منصبه على نحو ما
قال ارسطو وقد سئل عما دفع زيدا الى التغير بعد الولاية فاجاب بقوله
"من ولى منصباً وكانت نفسه اكبر منه لم يتغير له ولكن اذا كانت نفسه
اصغر منه تغير له"

فالمنصب اذاً مقام خطير محفوف بالمصاعب فمن الخطا ان تراه العامة
بالنظر المجرد فتحكم بان صاحبه امر مطاع لا يهجم الا باصدار الامر ونيل
الراتب بل يجب ان لا يفوتها العام بحقائقه من ان صاحبه اليق الارق
حايك الفكر رفيق الموم حديد الحماظ شديد التأثير مديد التصور هدف
اسهام اللوم عرضة للملاحظة العموم مسئول عن كل ما يفعل عدو لنصف من
يرعاهم ولو عدل بعيد السخط قريب الرضا ومن كانت هذه مواجبه وكها

مرارة فهل يحلوه ذكر المنصب في حين هو على حد المثل القائل "درهم من عسل على قنطار من خشب" وحسبه مما اضطراره الى الاحتفاظ على احكام السياسة ليتذرع بها الى نيل غاية صعبة المنال الا وهي استمناؤه بهيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف اليها. وقد قل بل ندر من حنكته تجربته ومكنته حكيمته من الوصول الى هذا المطالب ولذلك قلنا .
ان صهوات المناصب . لفوارس التجارب

﴿ ارفع علم الحق يتبعك اهله ﴾

(في ١٧ لوليوسنة ١٨٩٠)

لما ولي يزيد بن معاوية قلد عمالة خراسان لابن زياد وقال له " ان ابك كفى اخاء عظيمًا وقد استكفيتك صغيراً فلا تشكك على عذر مني فقد اتكلتك على كفاية منك واياك مني قبل ان اقول اياي منك فان الظن اذا اخلف مني فيك اخلف منك في " وقال ابو جعفر العمري بن عبيد " ارفع علم الحق يتبعك اهله "

كان للشرق في سابق عهده طورٌ عبثت باحكامه عاصفة الجهل وضغطته عوامل الاستبداد فوقف بين أمر تناول أكثر ماله وبين مأمور اضاع ماله فوقم التوازن في الخطاء ولم يقع في الواجب ونشأ عن ذلك تنامي بين التقيضين منع الظلم والجهل عودهما الى نقطة الاعتدال وقد اتفق العهد بين الغرب والشرق على التباين في المبدأ فالاول كان يخترق اجرام الظلم

ان لا نقول تسلم من ان تفعل

نتج مما ذكر ان سياسة المنصب من أجل الاعمال وان القائم بمواجبها له امتياز الفضل بين الرجال ولا غرو فان المرء ليتولاه الشعور بالفخر وتلقاه نوافل الثناء وهو لم يحسن القيام الا بسياسة وسياسة خاصته فكيف به وقد اضاف الى ذلك احسانه سياسة العامة ولما كان مقدار فضل المرء على سواء موقوفاً على مقدار نفعه سواء كما جاء في الحديث الشريف (ان خير الناس من نفع الناس) كان لرب المنصب ما ليس لغيره من الفرائع التي تعد له سعة المجال في سبيل نفع الناس . وقد اشرنا الى شيء من ذلك في لمحننا القائمة التي جعلناها كمقدمة للمحننا هذه

وليس يخفى على البصير ان المرء يطالب بقدر مكنته ووسائله اذ لاجود الامن وراء موجود فاذا امسك موسراً ليم لوم من بسط معسراً . واذا نشرت له الايام بساط العمل فطواه اما بذراع ادماها سهم التحول والكتل واما يدير اشله الفرض والحق قضى عليه العدل بعقاب من عاكس احكام الوضع والطبع وخالف قانون العرف والشرع . وهل نفترش الانام بساط العمل لرجل اولى من رجل المنصب فهو ولا مرء شريك الطبيعة في المحافظة على قوانينها والاحتفاظ على نواويسها بل هو آلتها المنفذة لاحكامها والقائمة بحركة دقائقها فاذا لم تكن صالحة حالت دون الحركة فنشأ الضرر . وقد قيل " اذا زل العالم زل بزلته العالم " ومثل ذلك زلة من يتولى مصاحبة العباد ويقوم بسياستهم فهو قد عهد اليه اهم اعمال الانسان فكان مركبه خشناً

وموقفه هائلاً وحسبه من صعوبة المراس جمعه من الاضداد ما قاله عمر رضي الله عنه وهو "لين لا يتولاه ضعف . وقوة لا يمازجها عنف" او ما قاله آخر "تواضع عن رفعة . وزهد عن قدرة . وانصاف عن قوة"
 واذا سبرنا غور الحقائق بامعان الفكرة وانعام النظرة وانسنا الى صحة المباديء التي شرحنها متونها وقفنا امام المنصب وقد حفرت بنان الحق في قوائم كرسيه الارباع اربع كلمات وهي : وطنية . حكمة . همة . مسئولية . فوجدنا الموقف هائلاً لان من ورائه التقاضي الى محكمة مهيبة عادلة قانونها الذممة وقاضيا الضمير ومنفذ احكامها الشرف فمن العيب اذا ان يهز ذوايب الرحال الى المنصب من لا تهصر اعطاف الوطنية في مقامه . ولا ينجني ضرب الحكمة من ضروب بنائه ونفثات اقلامه . ولا يدل سيف الهمة من اجفان نشاطه واعماله اقدمه . ولا تشام بارقة شعور في افق ضميره من سحب نقضه وابرامه .

اما الوطنية فهي المحور الذي تدور عليه كرة الخواطر او النقطة التي ترسم منها دائرة الشعور والعواطف . يولدها الطبع وتتميمها التربية ويكفلها الشرف وتعززها الاريجية ولها على المرء من الحرمة ما لوالديه عليه لانها تقوم بكفائهما ليقوما بكفائه ولم تعمر البلدان الا بحجة الاوطان ولذلك قالوا ان حب الوطن من الايمان . فعلى صاحب المنصب ان يتصف قبل كل صفة بالوطنية الصادقة ويأنس الى وفاء حقوقها العامة قبل النظر في وفاء حقوقه الخاصة لاشتمال الاولى على الكل والثانية على الجزء والجزء داخل في الكل

وان له من احضان الطير لعشه مهزاً اشأكة تنبيه

واما الحكمة فهي الدعامة الثانية المتممة للوطنية لان مجرد الارادة في الميل الى العمل لا يغني ما لم يشفع بقوة فاعله مدركة لتبين اوجه العمل والذرائع التي تنطبق على ذلك الميل وتجاوب على تلك الرغائب الصادقة والا اضاع الميل القويم استكانته عن خمول او نزق عن جهل فأتي الضرر من حيث يرجى النفع ووقع الخطأ من حيث يرام الصواب ومن هذا القليل قولهم "عدو عاقل خير من صديق جاهل"

واما المهمة فمن مميزات الحكمة لانها القوة المنفذة لها والكافلة اغنام نتائجها بل هي التي تمتطي الليل والنهار في مجاهر العمل انفاذا لما تشعر به الوطنية ونقضي بايجابها الحكمة فمن ثبوت همته عن السعي الى الامام نقاته ادوار الايام الى الورا

واما المسؤولية فان هي الا خلاصة القوى الثلاث ومن خصائصها التنبيه والتحذير وصون رب المنصب من الخطل في القول والزلل في العمل عن رعاية لحرمتها وادارك لاهميتها فمن لا يسال عما يعمل ياخذ دافع من اثنين اما قعود بمازجه كسل واما غرور بخالطه طيش وفي الاولى سقوط وخمول يفضيان الى الاضاعة والفضة وفي الثاني استبداد وظلم يؤديان الى النفرة والاضيقنة وبشت نتيجة المقدمتين

ولكن بأي شيء تقوم الوطنية يا ترى بالدعوى بها قولاً والاغراض عنها عملاً أم بمجرد الانتماء النسبي دون القيام بمواجبه ام بالتعامل على

قريب لم يسيء أم بكسر اقفال الابواب الموصدة دون تداخل الغريب . ام
بنسيان الواجبات التي تستلزمها الوطنية عن مبدأ الدين والشرف - كلاً
ليس ما ذكرناه من الوطنية بشيء فاقول لا يصدق حتى يشهد به العمل
ولان لم نقل ولم تفعل خير من ان نقول ولا تفعل وافضل منه فعل لا يسبقه
قول وما الطف ما قاله صفي الدين الحلي في مثل ذلك اذ ضمن في شعره مثل
ابليل والصقر فقال ابليل مخاطباً الصقر

وقال اراك جليس الملوك ومن فوق ايديهم تحمل
وأنت كما علموا اخرس وعن بعض ماقلته تنكل
وأحبس مع انني ناطق وتدرى عندهم مهمل
فقال صدقت ولكنهم بذلك دروا أنني الافضل
لأنني فعلت وما قلت قط وانت تقول ولا تفعل

واما مجرد الانتماء دون القيام بلوازمه فالصفر عن يسار العدد لا قيمة
له او كواو عمرو تكتب ولا تقرأ بل هو عيب لا يستر وذنب لا يغفر .
ومثله اي قاع الاذية بمن لم يسيء تشفياً وانتقاماً عن جهل بدعوى ان ذاك
ليس منافع ان السياسة تقضي بان تعتبر من ليس عليك في مصاف من
هو معك وبما كس ذلك تمهيدك ان هو عليك السبيل الذي تمهده لمن هو
معك من قبيل وضع الشيء في غير موضعه . ومثل ذلك اغضاؤك او صمك
الاذنين دون استماع صوت الدين والشرف اللذين يلقيان عليك بان تقدي
وطنتك بما عز وهان وتحنقر في جنب صونها كل مصلحة خاصة ولئن

عظمت وتحترم كل مصلحة عامة ولئن حقرت - تلك هي الوطنية الحقبة
الصادقة التي يجب ان يتحلى بها كل ذي منصب ورئاسة

ثم بماذا نقوم الحكمة الوطنية ياترى . بالاستبداد في الراي والعمل . ام
باتخاذ المنصب ذريعة للاضرار بالناس عن اجابة لانتقام او اصاخة لاشارة .
ام بتفريق كلمة ابناء الوطن وايجاد الشقاق بينهم ودفع الواحد منهم للابقاع
بالاخر . ام بانفاذ الغرض الخاص وتحميل المؤتمرين بالامر ما ليسوا مكلفين
باحتماله . ام بأسر الارادة في شؤون الادارة واطاعة كل اشارة . ام برفض
كل امر ثم القبول بكل امر . ام بتفصيل حلاوة المنصب مجردة على مرارته
مرعبة وقد نتجت المضرة من بينها وحكم العقل والعيان بها وابي الطبع الشريف
قبولها - كل ذلك بينه وبين الحكمة بون شاسع وبعد تحقيق فاما الاستبداد
فضرب من ضروب الحماقة وقالت الحكماء (الرجال ثلاثة رجل ونصف رجل
ولا رجل فالاول من له رأي ومشورة والثاني من له رأي ولا مشورة له
والثالث من لا راى له ولا مشورة) فالمستبد لا بد من ان يكون ثاني الثالثة
او ثالثهم . ولا يعزب عنا قوله " وشاورهم في الامر . والمشورة من الروح
القدس " وقال الشاعر

اقرن برأيك راى غيرك واستشر فالامر لا ينبغي على الاثنين
للرؤى مرآة تزيه وجهه ويرى قفاه يجمع مرآتيف
وقال الاخر

شاور سواك اذا نابتك نائبة يوم لو كنت من اهل المشورات

فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها الا بمرآة
وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم قال الف رجل وفينا حازم
واحد فنحن نشاوره فكاننا الف حازم

واما اتخاذ المنصب ذريعة للمضرة فمن اكبر المعايب واخس الافعال فعلى
رب المنصب ان ينسى صفته الخاصة وهو في منصبه ولا ينظر الا في صفته
العامة التي تحظر عليه الانتقام اما لغاية داخلية او لاشارة خارجية فان ذلك
من الدنيا التي يترفع المنصب عن النزوع اليها. ومن لو لم الطبع اندفاع
القوي الى الاضرار بالضعيف ولئن لم يحل دون ذلك حائل فكيف به وقد
قام حاجز حصين هو منصة المنصب يحمل دعائمها نجاد حسام العدل والحق
ولذلك امتاز كبار الرجال بتكبرهم عن هذه الخلة وشرعوا مناصبهم برعاية
ما ظهر لهم صوابه ولو بدا من عدو له فضلاً عن صديق اود ثم الاغضاه عما
لم يأت على مرادهم او لم يلائم سياستهم

بل اية هي الحكمة الوطنية من وراء نثر النظم وتشتيت الجميع اذا
كان رب المنصب يثير نائرة الحقد من هذا على ذاك ويفرق كلمة الرعية
الموتمرة بامرء وبولد الضفائن والاحقاد في القلوب بانشاء الاحزاب المتباينة
وتعصيد الواحد للثغاب على الاخر اما لانتقام خاص عن كره بذلك واما
لغاية اخرى من مثل توهمه انه بتفريق كلمتهم تسود كله فيا من في سريره
وينال مرامه ويجاوب جشع طمعهم بينا نفضي الحكمة يجمع الشتيت ونظم
النشير وازالة الاحقاد وتأليف القلوب ونبد التنافر ومثل ذلك يقال عن

تحميلهم ما ليسوا مكلفين باحتماله بان يكرههم وهو غير مصيب او مسوق
 اليه بموجب قانون على قبول ما يكرهون وهم مصيبون وغير مكلفين اليه
 بقانون ولا يعام ان من تداخل في ما لا يعنيه يسمع ما لا يرضيه وان ايس
 في القانون مجابة وجوه ومراعاة خاطر وقال الشاعر على سبيل التمثيل
 ولم انس المليحة حين راحت الى قاضي المحبة تستكيفي
 فقات لما ارحمي ضعفي فقالت وهل في العشق يا امي ارحمني
 بل كيف يليق به وهو يرى نفسه اهلاً لمنصبه او اسماً منه ان
 يكلف من يأتمر بأمره اما عن رجاء او عن تهديد تحميل ما يكره وهو غير
 مكلف به. فهل ذلك من قبيل الحكمة الوطنية والطبع الشريف والمنزع
 السامي. ومن هذا القبيل ايضاً عدم استقلال الارادة في شؤون الادارة
 وذلك ما استوفينا شرحه في لمحة سابقة فلا حاجة لاعادته

وليس من الحكمة ايضاً رفض رب المنصب كل ما يطلب اليه ثم قبوله
 بكل ما رفض لانه اما ان يكون الرفض عن انفة واستكبار اجابة لخلق
 غريزي يرتح الى مجرد النهي والامر دون النظر في صوابية المطلوب واما
 عن اقتناع مسبق بترور وامعان بان المطلوب لا يناسب فن كان الاول
 ولا مناص من القبول فالاولى عدم الرفض لان مرارة العود الى القبول
 تربو على حلاوة الابتدار بالرفض وان كان الثاني فالثبات على الرفض اولى
 ولا عبرة للصانعة اذا كان هنالك سبيل للتخلص منها والتخلص من تبعاتها.
 ويقاس على ذلك تفضيل الحلاوة المجردة التي كدرتها المرارة المركبة فان

في منابذتها حلاوة لا تعقبها مرارة ووسيلة للتجرد عن مضرة تكتنفها معزة.
 ثم بماذا نقوم همة الحكمة الوطنية بالزروع الى انفاذ العمل دون رعية
 الظروف . ام بالضغط الشديد المتولد عنه ضغط متسلسل - ليست هذه
 الهمة تقوم بمثل ذلك لان الاسراع في انفاذ العمل دون رعاية الظروف يدعو
 في كثير من الاحايين الى تجاوز الحقيقة والتخطي الى الاعساف فلكل مقام ..
 مقال والاشياء مرهونة باوقاتها وكثيراً ما افسد العمل التسرع في انفاذه
 ولذلك قالوا " في العجلة الندامة وفي التأني السلامة " واما الضغط المنوء ..
 عنه فاقبل ما فيه انه يدفع العمال بالتسلسل الى الاخلال بالقانون وابعث في
 احكامه وما احسن ما جاء عن معاوية في هذا الشأن . قال اني لا اضع سيني
 حيث يكفيني سوطي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني . ولو ان ما بيني
 وبين الناس شعرة ما انقطعت . فقبل له وكيف ذلك قال . كنت اذا مددوها .
 ارخيبتها واذا ارخوها ممدتها

ثم بماذا نقوم المسؤولية من وراء ذلك بالاسراع في العمل بحسن ام
 قبح . ام بمجرد النية به دون انفاذه . ام برفضها عن كاهله والقائها على كاهل
 غيره - كلا لا نقوم المسؤولية بمثل ذلك ولكنها قائمة بان يعلم رب المنصب
 انه مسئول امام منصبه اولاً من ربه ثانياً من ضميره ثالثاً من شرفه . رابعاً
 من اميره خامساً من وطنه سادساً من خاصته . وبان يعلم عظم هذه المسؤولية
 واهميتها وما يترتب عليها له ولوطنه من مضرة ونفع وخير وشر . وان
 عليه ثقله ذلك مواجب ذات شأن تقضي عليه بمخادرة الوسن وملازمة السهر ..

ومزاولة العمل ومراقبة الحوادث وانتهاز الفرص ومنايذة الاغراض والترفع
عن الدنيا والتجمل على الشغل واحتمال اثقاله بالصبر والتؤدة والرفق بمن
يأثمرون بامرهم وزرع بذار الاتحاد والفة والمحبة بينهم واستئصال جرائم
الشقاق والخلاف والضغائن والاحقاد بحيث يكون لهم بمثابة اب واخ وابن
فيبر اباه ويحفظ اخاه ويرحم ابنه

تلك هي مسؤولية رب المنصب بل تلك بعض الواجب التي عليه ولا
سبيل لتنصله من تبعها اذا لم يقم بها فاذا قرن استقلال ادارته بحسن ادارته
اتاحت له الايام ادراك غايته ونيل بغيته فلزم الوظيفة يشرفها وتشرفه
واستمال اليه قلوب من سلم زمام امرهم فاخلصوا له في السرواتجوى ووثقوا
بعدم تغيره عنهم في سلوكه لو ثوقه بان نفسه اسمى من منصبه على نحو ما
قال ارسطو وقد سئل عما دفع زيدا الى التغير بعد الولاية فاجاب بقوله
"من ولى منصباً وكانت نفسه اكبر منه لم يتغير له ولكن اذا كانت نفسه
اصغر منه تغير له"

فالمنصب اذاً مقام خطير محفوف بالمصاعب فمن الخطا ان تراه العامة
بالنظر المجرد فتحكم بان صاحبه امر مطاع لا يهمل الا اصدار الامر ونيل
الراتب بل يجب ان لا يفوتها العام بحقائقه من ان صاحبه اليق الارق
حايك الفكر رفيق المهوم حديد الحماظ شديد التأثير مديد التصور هدف
لسهام اللوم عرضة للملاحظة المهوم مسئول عن كل ما يفعل عدو لنصف من
يرعاهم ولو عدل بعيد السخط قريب الرضا ومن كانت هذه مواجبه وكها

مرارة فهل يحلو له ذكر المنصب في حين هو على حد المثل القائل "درهم من عسل على قنطار من خشب" وحسبه هماً اضطراره لى الاحتفاظ على احكام السياسة ليتذرع بها الى نيل غاية صعبة المثل الا وهي استماته بهيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف اليها . وقد قل بل ندر من حنكته تجربته ومكته حكيمته من الوصول الى هذا المطاب ولذلك قلنا .
ان صهوات المناصب . لفوارس التجارب

﴿ ارفع علم الحق يتبعك اهله ﴾

(في ١٧ لوليوسنة ١٨٩٠)

لما ولي يزيد بن معاوية قلد عمالة خراسان لابن زياد وقال له " ان اباك كفى اخاء عظيمًا وقد استكفيتك صغيراً فلا تُتكان على عذر مني فقد اتكلتك على كفاية منك واياك مني قبل ان اقول اياي منك فان الظن اذا اخلف مني فيك اخلف منك في " وقال ابو جعفر لعمر بن عبيد " ارفع علم الحق يتبعك اهله "

كان لاشرق في سابق عهده طورٌ عبثت باحكامه عاصفة الجهل وضغطته عوامل الاستبداد فوقف بين امر تناول اكثر ماله وبين مامور اصاع ماله فوق التوازن في الخطاء ولم يقع في الواجب ونشأ عن ذلك تنامي بين النقيضين منع الظمع والجهل عودهما الى نقطة الاعتدال وقد اتفق العهد بين الغرب والشرق على التباين في المبدأ فالاول كان يخترق اجرام الظلم

والاستبداد ويقدّر قدّ الاطماع ويفري درع الاذلال ويركب متون الاخطار
لنيل كل خطير ويستطيل الى هدم صروح الخلاف وتشيد قصور الوفاق
والوثام رنمّا عما هنالك من الموانع في حين كان الثاني متمللاً تحت وقر
المظالم خائضاً غمرات الدل والجول ممناً بنكبات الاطماع وضربات
الاستبداد. وقد بدا للبيان اذ ذاك ما كان من النتائج في الجانبين وبضدهما
تبيين الاشياء

على ان ذاك الطور لم يقول عن مجراه لمجرد نظرة ولدت حسرات او
نهضة لجائية اوجدتها الطفرة بل جاء ذلك عن مبادي اختلفت اوضاعاً
وافقت غاية وكان لفضل المنايا الشان الخطير في الوصول الى نقطتنا
الحاضرة لاننا اذا تراجعنا الى ابجاث التاريخ من قصير العهد وضع فيه
بجلاء ان ذاك الانقلاب لم يتم حقيقة الا من يوم تعاهدت العناية السامية البلاد
المشرقية بادلاء السلطة الى من شرفها واعلى مكانها وجعل احكامها اعني من
يوم ازدهى وازهر العرش العثماني ببجالة سيدنا ومولانا السلطان الغازي عبد
الحميد خان اطال الله ايامه ورفع النصر اعلامه فهو الذي احيا عصر
المصاحبة فلا السلطنة عدلاً ورحمة وشرف مقام الخلافة العظمى وزان المملكة
بحميد فعله وبحميد عمله وصواب رايه وسداد فكره بل هو الذي اخذ ماله
حقاً شرعياً فاتمه وجهه ثم سلم لغيره ما لغيره بعد ان اتاح له الوقوف على
مواجهه والاغضاد بتحقيق مطالبه

ذلك العهد كان ولا حيلة محور انقلاب الطور الى ضده لان حكمة

جلالته بثت في جسم الرعية روح العلم والادب والكمال والهمة والاقدام
وصرف العناية الى اغتنام الافضل والاكمل وكفى ان ادرك الشرق مسأله
وعليه وهو. منتهى الغاية المجمله انيل الارب ومن ذلك الحين عظمت مسئولية
الشرقي لان المرء يطالب بقدر قدره وعند الجهل غير عفت العلم - نتج اذا
ان زبدة الفضل في ما اتانا من الخير العميم والفضل الوسيم انما هي من
بركات عناية مولانا رب الشوكة والافتدار سلطاننا الخليفة المعظم فصرنا
والحالة هذه لدى اطلاق مراح الطرف للاحقاق في حقيقة حالتين بين
رعاة يسألون عما يعملون وبين رعية تسأل عن عملها واعمالهم وذلك ما نفيض
فيه بلعننا هذه توصلاً الى ادراك ما هنالك من المطالب الخطيرة التي يقوم
بها نظام كل حكومة وشعب فنقول

لا خلاف في ان الحكم على حقيقة المرء محمول على حكمه نفسه بما يعلم
من قدر نفسه وقال الفيلسوف " ان اقصى ما يستدل به على الرجل معرفته
قدر نفسه " وقال الحكيم رحم الله عبد اعزف حده فوقت عنده فالعمال
في مثل هذا المقام ينظر اليهم غير النظرة التي يقابل بها سواهم لانهم على
خطارة مناصبهم موضوع النقد والتنقيب وعليهم مواجب ومسئوليات لا
حول عن التجرد منها او التوصل من تبعثها وكثيراً ما كشفت يد المنصب
ستار الحقيقة عنهم فبانوا على غير ما علم من شأنهم وباهوا بالهجل فاضطرب
موقفهم في الحالين وقد كانوا في غنى عن الجديد برعاية القديم لانهم طلبوا
الزيادة فنوا بالنقص ولذلك كان من اهم ما يطلب من العمال ان يزونا

انفسهم قبل ان يهجموا على المنصب فان اتزنت اهليتهم مع المنصب اقدموا
 عليه لا يروهم تغيير وابدال ولا يستوقفهم حادث وانقلاب ولا يناع
 فؤادهم من حرقات الطواريء ولا يرتاع فكرهم من ضربات الطوارق
 والا ابتعدوا عنه ابتعادهم عن الافة ورضوا بما قسم لهم من شغلهم الحيز
 الوجودي الذي يصالح لمقامهم ويصلحون له وليس ذلك بالامر الجلل لديهم
 اذا ارادوا ان يكونوا رجالاً لان الامتياز في الادبيات بضارع الامتياز في
 الماديات فالفقير لا يجبل ولا يلحقه وازع اللوم اذا لم يات بين انفاق
 وثائق في المعيشة بما ياتي به الغني ولا يحجم عن هذا الموقف الا من
 سهل يسبل السقوط لنفسه ففرح يوماً وحزن دهرًا ثم ادركه اليأس
 والقنوط فصغرت نفسه وساقته مدفوعاً بتيارها الى الانتحار على تنوع
 الوسائل وهكذا يجب على الفقير ادبياً بالنظر الى غنى غيره ان لا يأنف
 ولا يستنكف من تجاوز المقام الذي يعد له ولا يصلح للوقوف في بهرته الا
 اذا داخله الغرور وهو شبكة المروغنة وكثيراً ما وجدنا من غير الموسرين
 مالا ولكنهم موسرون ادباً وفضائل سامية متعلقة بموضوع الموازنة والاحكام
 يتفقون على قدر حالتهم ولا يهمهم لوم زيد وتنكيت عمرو وحفظوا لهم في
 الحال والاستقبال مقاماً يستلزم احترامهم ويقضي بتوقيرهم واجلالهم وعسى
 ان نصادف من غير الموسرين ادبياً ما يشاكل اولئك ولا سيما لدى منصات
 المناصب واستلام مصالح عباد الله
 واما الرعية فانها من يوم تشرفت بسلطة مولايها الحميد المعظم ادركت

مالها وعليها ونضت عنها برقع الخوف والوجل ووقفت موقف الامين
 الصادق تضبط يمينها حقوقها وتدفع يسارها ما عليها وتعترف بلسانها وقلبيها
 بما لسيدها من الفضل والجميل وقد نزع المنزع المستقيم في سبيل نجاحها
 ونقدمها تدفع عنها نواصب التعدي بدرق القانون وترفع صوتها بالشكوى
 الى المرجع الاعلى لازالة ما يقع من حيف وظلم فتري هنالك اذناً مصغية
 تشفع باوامر مسددة لايحاب فخص وتقيب توصلاً الى الحقيقة حتى يأخذ
 القانون مجراه فيعتدل المعوج ويعاقب المسيء - تلك حالة الرعية بما اباح لها
 جلالة سلطانها المعظم وهي على فوزها بهذه المطالب الشريفة وتمتعها بفوائد
 الشرائع والقوانين العادلة موضوع لجسامة اللوم وعظمة الذنب والخطا لدى
 القصور والقصير بالنسبة الى حالتها من حيث هي وبالنظر الى حالتها تلقاء
 العمال القائمين بتدبير شؤونها

على ان الوصول الى هذه النقطة يستلزم تنبه العمال وسهرهم فهم يعلمون
 كل العام مقاصد الجنتاب السلطاني ويدركون ان الغاية الوحيدة المتجهة
 اليها نواياه الشريفة محصورة في راحة الرعية ودفع المظالم عنها فاذا قصروا
 عن تلبية هذا النداء لاغراض في النفس او لجهل متسلط ادركم العقاب من
 المرجع الاعلى والاحتمار من الجانب الآخر فان عين الاول ساهرة متيقظة
 ترأب ما هنالك من الحركات وشعور الثاني حي يدرك ما تسلط من خوف
 ورهبة اوجبها استبداد وحيف. واذا قابلنا بين ما كان عليه الثاني في ما
 سلف من هذه الحقائق وبين ما وصل اليه في الحال من امرها ادر كنا مبلغ

الفرق فهو قد كان بمثابة صخرة صماء تعود على فقد الاحساس يقبل نوازل
العمال وهو صامت ساكن لا يتحرك وكان يرى الطاعة العمياء خيرا وسائل
راحته وبلاستقراء فقدت منه مزية التمييز بين الجيد والردي والحسن
والقبيح واستوت لديه الظلمات والنور والهدى والضلال . اما الان فقد
تنبه شعوره الى ادراك كل امر فتراها متمللاً لاقل . حادث لم يقع من مفره
الطبيعي كما تراه مرتاحاً الى قبول ما اتى عن حقه ومعجزه

وعندنا ان ذلك مما يجب عليه لا مما ينبغي ان يتعظم للحصول عليه فقد
كانت الايام حائلة دون مراده وله بعض العذر في جانب قصوره ولكن اي
عذره وقد اتاحت له نعم عظيمة سلطانه ان يتمتع بهذه الامتيازات السامية
التي يلقى من وراء رعايتها جزيل المنافع ووفرة الفوائد فان العامل ليدخله
الطمع ويمارجه الولوع الى اجابة داعي الطبع من الارتياح الى عاطفة
الاستبداد فيميت ويتناول الي تناول ما ليس من حقوقه وبلاستقراء
نتمكن منه هذه الخلقة فلا يلبث ان يعودها ويزيد في الرغبة لتتوفر عنده
احكامها ونواهيها حتى تتعاضد عليه فيما اذا شاء اقتلاعها ويكون له ولغيره
من وراء ذلك مضار ومشاق واتعاب تذهب بهزايا العامل وتغنيه بالذلة
والخسف وتسومه النقص والتحول ثم تعود بوخامة العواقب على المرعي
ويدفع هو ثمن مضربه من درهمه . ولكن اذا علم العامل ان الرعية بقظة
ساهرة نشيطة تطالب بحقوقها وتقوم بما عليها وتستكشف ما يقع عن عكس
ما يامر به القانون ولا يهولها ذهو المنصب عن رفع الشكوى الى المرجع

الاعلى استكان وسكن وغادر اطماع الطبع ولزم جانب العدل وارجع الميل
المعوج بشكيمة التحذر والاحتراس فلم ينقل القدم الى ما يعقب الندم ولم
يتخط فناء القانون وكان له وراء ذلك حفظ المركز وهيبة العامة وحرمة
الخاصة وكان للرعية عائدة المنفعة ونعمت العاقبة للطرفين

وانا يسرنا نحن الشرقيين ان نرى حالتنا الحاضرة على ما نتمنى من
شأنها فالمصري والسوري والاناضولي بل العثماني دون استثناء قد ادرك
الان هذه المواجب وتنبه لرعايتها واجهد النفس في سبيل القيام باحكامها
مستنداً في ذلك على عدالة جلالة سلطانه وعلى ما افاضه عليه مورد العلم
من سلسيل المعرفة والاداب فلم يقف تلك الوقفة الهائلة التي كان يضطرب
لها خوفاً من عامل ظالم مستبد بل رأى المشاهد بالعين الصحيحة واطلق
اللسان بالشكوى او بالشكر اتباعاً للعمل حتى اسكن العامل وقضى عليه بان
يتمثل بقول الحكيم "اعندل والافاعتزل" وذلك هو الشان الاخير من
هذا القليل فالعالم العاقل الذي يحب ان يذخر الفضل له ولا سرته من
بعده لاحول له وهو في منصة العمل عن اتباع واحد من اثنين اي الاعتدال
اذا كان معوجاً والا فلا اعتزال بل لاحول لرب المنصب الحاذق المخضك عن
رعاية واحد من امرين اما انفاذ ما يراه لازماً واجباً مناسباً صالح وطنه واما
مغادرة المنصب ولا سيما في مثل هذه الايام التي انتقل فيها طور الرعية من
ادنى الى اعلى فامست وهي تزن الاشخاص واعمالهم بميزان الحكمة والنقد
فتقضي عليهم القضاء الصارم وتدنون لهم في تاريخ الزمن سطوراً نقرأ بالامعان

وتحفظ بالاذهان

ولقد اتينا بلحنتنا هذه مقدمة للحجة تالية نذكر فيها ما بهم القراء الخوض فيه من المباحث العائدة بالفائدة فقد واصلتنا نعم الجنتاب السلطاني بما قضى على الرعية بان تهب من رقدتها وتتمسك بوثق عروة تابعتها كما قضى على العمال بان تقوم بانفاذ مقاصده الشريفة وبأن يتلو كل منهم امره السامي القائل " ارفع علم الحق يتبعك اهله "

﴿ اياك والراي الفطير ﴾

(في ٢٤ جنايو سنة ١٨٩١)

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول . ما ندم من استشار ولا شقي من استخار . وسئل بعض الحكماء اي الامور اشد تأييداً للعقل واياها اشد اضراراً به . فقال اشدها تأييداً له ثثة اشياء اولها مشاورة العلماء وثانيها تجربة الامور وثالثها حسن التثبت . واشدها اضراراً به ثثة اشياء ايضاً الاستبداد والتهاون والعجلة . وكان عبدالله بن وهب الراسي يقول . اياكم والراي الفطير . واوصى ابن هبيرة ولده فقال . لا تكن اول مشير واياك والراي الفطير ولا تشرف على مستبد فان الناس موافقته لو لم والاستماع منه خيانة . وكان المهلب يقول . ان من البلية ان يكون الراي بيد من يملكه دون من يبصره .

وقد اجمع الحكماء على ان الحكمة ابنة التجربة . وقال سحبان بن وائل .

العقل بالتجارب لان عقل الغريزة سلم الى عقل التجربة . ولذلك قال علي بن ابي طالب رضوان الله عليه . راي الشيخ خير من جلد الغلام والاشياء لا تبين الا باضدادها وقال المنجي

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله
وبضدها تبين الاشياء
والحقيقة لا تدرك الا بالتمحيص فهي كالذهب ناره المناقضة وكوره
البحث وبوقته البرهان وقال ابن الوردي . وبحسن السبك قد ينفي الدغل .
بل هي كالطيب لا تطيب انفاسه الا بالاحراق على حد قول الشاعر
تعدوني كالعنبر الورد انما تطيب لكم انفاسه حين يمرق
ونال الاخر

والطيب لا تعرف انفاسه الا اذا احرق بالنار
ذلك ما جري عليه العلماء في ابحاثهم والسياسيون في مناهجهم
والاداريون في احكامهم لانهم وجدوه المرقاة السليمة الى المراج الاسمي
والمنهج المستقيم الى المحجة البيضاء المثلي فطالما تساجل العلماء ولم يأنفوا من تلقي
المعارضات والاعتراضات بل تقبلوها بالوجه الباش وقابلوا اربابها بالثناء
المستطاب ثم جالوا وجادلوا وجابوا واجابوا وفتقوا ورتقوا ونقضوا وبرموا
حتى حصص لهم الحق فاتبعوه . وطالما استطل السياسيون والاداريون في
مضار صحف الاخبار يثبتون ما عن لهم ايراده بايعاز واسارة ثم يقفون
بالرصاد مستبشرين وجوه الكلام في موضوعهم ومنتهجين احكام الطبع في
توجيهات احكامهم ومقابلين ثباين الاراء وتضاربا . مقابلة تحدوها الحنكة

ويحتاجها التدقيق ويصونها التروي حتى اذا نصبوا الميزان ووضعوا في كلتا الكفتين الجيد والردي عدلوا الى الراجحة منها ادولهم عن المرجوحة فبينوا من وراء البحث والتنقيب والمساجلة موطن الصواب وموقع الحق ووجهة المناسبة ونقطة الافادة فصرفوا اليها الخواطر وابرموا الحكم فيها وهم من الظفر على سفينة الامل في ميناء الامن وعلى صهوة الرجاء في ساحل الثقة

ولقد جال مدونو صحيف الاخبار في هذا الميدان جولة الابطال الاجواد قياماً بامر الخدمة العامة الشريفة التي وقفوا النفس لها وعليها وظفروا من الراي العام برضاء فقد حوا زناد الفكرة في متابعة الابحاث يتوسعون في المواضيع ويتبحرون في اسكاتها ويتدبرون صوابها من خطائنها وحقيقتها من مجازها فلا يثني عزمهم عن المكافأة ولا يغمض جفونهم عن المطالعة والسر جرياً وراء غاية شريفة قضت بها الدمة وهي الخدمة الوطنية حتى يوءدوا حقاً لا يعفون من قضائه ولا فضل لهم وقد وفوا لانهم قضوا واجباً ولكن لا براء لهم اذا نكصوا واجمعوا عن الوفاء

ولا يعزب عن احد ان الهيئة الاجتماعية قد قدرت شان الصحف قدرها فاصاغت سمماً واذهنت مشورة واستوثقت بما تطالع فاضافت بذلك الي واجب الكتاب مواجب. ولم تقف هذه الفائدة عند حد الهيئة المحكومة بل تجاوزته الى الهيئة الحاكمة ولا سيما المتمدنة منها فانها تبينت من الصحف الصادقة خدمة سامية لها كخدمتها الهيئة المحكومة فاجلتها تشريعاً وحرمة

واحتلتها محلاً سنياً

واننا وقد راينا من حكومتنا ما رائه منا لم نر بداً من ملازمة ما
ساغ ورده وطاب رفته في سبيل الاحياء بالخطا التي سلكتها وامننا العثار
فيها وهي القيام بخدمة المصلحة العامة اجابة لداعي الشرف ومطالب الضمير
واوامر الراي العام ولدينا من وافر الشواهد ما يغني عن الاسهاب فلانتوخي
في ما ندونه ارضاء زيد او مملالة بكر او التزلف الى عمرو بل نقدم على
المواضيع التي تستدعيها الوطنية اقدام الجندي الامين ونحوم حولها تحويم
الطير على القريسة حتى لا يفوتنا شيء من شواردها واوابدها وغناها وسمينها
فتتخير بعد الروية خير فوائدها ونرفعه الى ذوي الشأن ليروا فيه رايم
فان رغبوا اليه لصوابه شكرنا وقلنا مع الخواطي سهم صائب وان رغبوا
عنه لخطاه اعذرنا وقلنا ما قالت العرب ومن لك باخيك كله. وهذا كذا
الحكم في ما اذا بدالنا امر من جانب الهيئة الحاكمة او الحكومة

على اننا في الوجهين لا نرى في من قال ومن عمل بل في المقال او
العمل لان الخدمة العامة تنظر الى النتائج فكل عمل تساق منه الفوائد لها
وتنفي المضار به عنها مجده ورحبت به ورطبت لسانها بالثناء على من ائاه
ولو غريباً والعكس بالعكس. وذلك هو الشأن المرعي لدى كرامة ارباب
الكرامة وهذا هو الواجب المقضي ازاء شهامة ألي الشهامة فلا يسوء
الكاتب الاطراء على عمل مفيد ولو ان عامله ليس من نصرائه ولا يسوء
العامل التنديد بعمله غير المفيد ولو ان الكاتب ليس من خدمة ارائه واسري

امباله واستثاره

واذا امكننا في الحقائق وقفنا لدى قضاء عادل موداء ان الاغترار مبدا الانحطاط وعاته جمل قدر النفس وميزانه الوهم بالرضى الذاتي فلا اقل من ان يدفع هذا الوهم بربيب يشاهد ومشاهد يراقب فان ذلك يسوق بالاستقراء الى الابتعاد عن الاغترار وبالتالي عن الانحطاط وكثيراً ما خدم العلماء والاحرار الملوك والامراء والوزراء في رعاية التنبيه والايقاظ خدمة عادت عليهم وعلى الرعية بالخير والبركة ولولا خوف الملل لاتيينا على ذلك بالف شاهد ولكننا نكتفي بالقليل فيه دليل على الكثير فمن ذلك ما قاله الاحنف بن قيس وقد شاوره معاوية في استخلافه يزيد فسكت عنه . فقال له . مالك لا تقول يا احنف . فقال ان مدقناك اسخطناك وان كذبناك اسخطنا الله فسخط امير المؤمنين اهون علينا من سخط الله . ومن ذلك ما كتبه ابو الدرداء لمعاوية بشأن امر واقع قال . اما بعد فانه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس . ومن ذلك ما القاه الوليد على الزهري قال . يحدثونا ان الله اذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب السيئات قال ذلك باطل يا امير المؤمنين انبي خليفة اكرم على الله ام خليفة غير نبي . قال فان الله يقول لتبني داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم المساب فهذا وعيد يا امير المؤمنين

لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي . واثال ذلك كثيرة وقد نشأ عنها كبح
جراح الاهواء ودفع نوازل الشهوات والاطماع فاحفظ العامل على مقامه
وامن المرعي مصادرة الراعي

فالعاقل اذا يهفوا الى المزيد من الحكمة والوقوف على الحقائق ولو
التقط ذلك بذار الملاحظة عليه ليبرهن للعالم انه ذو حكمة فقد قال الحكماء
لا يطلب الرجل حكمة الا بحكمة عنده . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم
الحكمة ضالة المؤمن ياخذها من سمعها ولا يبالي من اي وعاء خرجت وقال
عليه الصلاة والسلام . لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها
اهلها فتظلموهم وقالوا اذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها . وقال
زياد . ايها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا من ان تتنفعوا باحسن ما تسمعون
منا . قال الشاعر

اعمل بعلي وان قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضررك نقصيري
ذلك ولا مرا ما حدا بنا الى السبر في المنهاج الواضح فلم ندخل بتدوين
المواضيع الداخلية المفيدة وتسطير بعض الملاحظات نثبها عن نية صادقة
لغاية صالحة هي خدمة المصلحة العامة ويسرنا ان رايانا ونرى غصن آمالنا
مورقاً مثمراً فان ما سألناه والتمسناه في اللحاحات والرسائل قد حققته همة
حكومتنا وموعدا لمحبة ثنية نوضح فيها للقراء مجمل ما تحقق من مثل النظر
في الغاء بعض العوائد وتعديل القرارات ومسألة البدلية العسكرية والنظر في
التوالف والتاخرات وغيرها

وقد وضع من مراقبة ماجريات الاحوال في مطالب السياسة والادارة
ان عظام الرجال لا يرون الصواب الا من وراء التحري ولا يرتاحون الى
ادراك الحقيقة الا من اقتفاء اثار المساجلة والمحاورة وهذا هو شأن عظام
رجالنا فقد علموا ان السهم يراش قبل الرمي وان الكائن تلاق قبل الرماية
وان الامور تؤخذ بقوابلها وان المحاجة قبل المناجزة والتقدم قبل النزول
وجاء في امثال العرب : يا عاقد اذكر حلاً . وقال المنصور لولده المهدي .
لا تبهر امرأ حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تربه حسناته وسيئاته
ولا بد من التأني في الراي والتثبت فيه . وكان عامر بن الظرب حكيم
العرب يقول : دعوا الراي يغيب حتى يختمر واياكم والراي القطير

﴿ سمو عباس الثاني خديو مصر المعظم ﴾

(في ١٦ يناير سنة ١٨٩٢ .)

اذا سيدنا خلا قام سيدٌ قوول لما قال الكرامُ فعولُ
ليبك يا مصر اجابة من رحيم وثه مما تفعل الاقدار . وباللهجب من
اجتماع الازداد ذلك تدبير العزيز الحكيم وثه الامر من قبل ومن بعد
حسبك يا مصر فضل العناية فلو لم تتدارك من لطفها تيار ما انتابك من
صروف الزمن بفقد فقيدك العزيز لاستسلمت الى غوائل القنوط ورواجم
الياس وسئت مصيراً فابت تلك العناية الا ان تشدد يمينك عند شلل يسراك
وان تعد للجراح خير المراهم والداء انجع الدواء وللصبر افضل الاجر

فامسيت وقد جمعت الاضداد على اثر ما حدث من هول مصاب اسال
 قلب الجلود واذاب انسان المآ في اذ لم تنظري جبلاً هوى حتى نظرت اشم استقام
 ولم ترى غصناً ذوى حتى وجدت آخر نضر ولم تبيني نجماً وقع حتى
 رايت كوكباً طلع

لله اي حياه انبعثت لنا يوم الخميس وبعد اي حمام
 لم ييسر الاقوام شمساً قبلها غربت فلم تعقبهم بظلام
 فكنت اذن بين اذن تسمع وفم يترنم وعين تدمع وثغر يتبسم
 اما العيون فكانت وهي دامعة اما الثغور فكانت وهي تبسم
 فزعت الى التسليم في ما مضى لامر من قضى وترجت على من
 قضى كما نرعت الى السرور بمن اقبل الى حماك ليتولى صونك وحماك
 فشكرت فضل مولاك والله الشكر في السراء والضراء انه الجواد الرحيم
 رايت بالامس يامصر اكفهرار جوك ودامس ظلامك فاخذت الى
 مضارب الاحزان والاتراح فانظري اليوم الى صفاء سمائك وساطع نورك
 فشدي الرحال الى سرادق المسرات والافراح . وان لك بالعزير المصون
 اميرك عباس بقاء لفقيدك المغفور له فلم يفقد لك عضد ولا سند وان هذا
 الشبل من ذاك الاسد

فالיום طلع في فلحك اميرك العزيز بدرأ منيراً يحييك فيحييك
 فاستقبله بفؤاد المسرة واحتفي به احفاء الارض بوسمي المطر
 اليوم قدم اليك اميرك من بين المحابر والدفاتر وفريق العلم والفضل

والمعرفة والنبل ليكون له من تلك الذخائر الثمينة ما يتيح له الاتفاق على ربوعك في سبيل تدبير شؤونك وتنظيم امورك واصلاح اعمالك واقتفاء سنن الفقيد في كل مكرمة ومحمدة وكل مشروع وعمل يعود عليك بالخير العميم والفضل الوسيم سعياً وراء فضيلة الشرف وكرم الاخلاق والقيام بمواجب التجلة والحرمة ومطالب كبراء الناس وامرائها فالعمل الخطير للرجل الخطير

اليوم قدم اليك اميرك الذي اعد لك فقيدك طيباً لدائك وبلسماً لجراحك وريعاً لفصول ايامك وكهفاً لآبائك وملاذاً لخائفك وملجأً لطريدك وحصناً لمجرك ومعقلاً لعزك

اليوم قدم اليك اميرك في مظهر الشيوخ علماً وحكمة وهو في مظهر الشباب عمراً وسناً فلك فيه حلم الشيوخ وحكمتهم ورزانتهم كما لك فيه اقدام الشباب وهمتهم وعزيمتهم

فما كمال الفتى بالتيب في شعره لكن كمال الفتى بالشيب في الخلق
اليوم قدم اليك اميرك يتراوح بين امرين جليلين وشائنين خطيرين هما ذكر لحادث جلال واستعداد لجليل عمل ولكن لا تلتقيان فيه ازاءهما الا الكفو والاهل فهو في الاول صبور يعلم ان امام الطبيعة موقف الادراك وفي الثاني كفيل يدرك ما وراء اقباله من مطالع الفوائد وطوالع المنافع فتقدمي اليه والرجاء معقود على لواء ولائه وثقي به والامل قرين الظفر في ظل لوائه

وحياك الله وبياك يا عزيزاً اعزك الله باخلاق طاهرة ومزايا فاخرة
حتى اعدك عظيماً للقاء كل عظيم فلا ياخذك هول الحادث فمثلك من يلقى
سهام طارئات الايام وطارقات الليالي بدرق العزيمة فالخطب ثقیل لكن على
غير صبرك والحادث جلل لكن علي غير قدرك فالعين ثقیل عند الجزوع
والصخر خفيف عند الصبور ولا مرد لما قضى الله فالتسليم للحي الباقي اجدى
وافضل والرضى بالمقدور انفع واكمل ولا سيما وان التعزية قائمة بسلامتك
وهي مكفولة برعاية صبرك فغنم عن نفسك اجر الصابر وعن الآل
والرعية اجر الشاكر ونسال الله ان يسرك في ما يسوء ولا يسوءك في
ما يسر

اليك ايها الخديوي المعظم رعاية بيت كريم اساسه التقوى وعضده
الفضل ودعائه المجد والاشرف فهو قد سلمك مقاليدته واقفاله وكلاً اليك
حفظه وصونه ولديك من ربه طهره وعفاهه عبارة سخيته باردة عن ذكرى
لمن مضى وسلوى بمن حضر وسيكون ما نشأ معك وفيك من مبادي
الاشرف الوجودي الطاهر دافعاً الى التلطف بسوال كفكفة الدمع فيجري
عن حنان ولسان حالها يقول وكيف لا ابكي من ترك لي ابناً مثلك ولكن
يجيبها لسان الحق بان كفكفي الدمع فالفقيد بسمو العباس حي ولا يبكي
على حي

اليك ايها الامير العزيز آلا يتوسم فيك خير المستقبل ومستقبل
الخير ويفاخر بك امرأ الناس واعاظمهم وتأييد مجد الالباء والجدود بنشاط

الشباب وحكمة الشيوخ وفضل العلم وقويم الاستعداد
اليك ايها الحديوي الكريم صوت ذاك الانتماء اشريف المقدس الى
موطن الخلافة العظمى والاستئناس بالتعطفات الشاهانية السنية فقد ربيت
على هذه المباني السامية وشبت معك عاطفة التعلق والاستمساك بعروة
التابعة الوثقى وبذلك من ذاك المقام الاسمى ما انطبق على جليل تلك
المباني فلا تبرح ، تظهر تعطفات جلالة الخليفة وركناً لا يتزعزع من امنع
اركان الدولة العلية الابدية القرار

اليك ايها الامير العظيم بلاداً انشأت في مهدها وترعرعت في سريها
وأشرب فؤادك حبها وطاب لديك منبتها وراق لعينيك مفرسها فتغرس
فيك التجابة والنبل من يوم نبطت عنك التمام وتوسمت فيك الخير والفضل
من يوم اقدمت الى مساجلة العظماء في سبيل اغنام العظام فجنحت الى عشق
صفائك وادركت ما للوطن من المعاني المودعة في خزانة مقاصدك ولاغرو
فالشيء الى معدنه يتقلقل والى عنصره يحن وانك لتحيي ما سنه فقيدها من
القوانين واخبطه من الخطط فلا تحي اعلام من خلفته ولا تدرس اثار
من افتتحت مسالكه ، فالزيرة الوطنية تنتظر متونها شروح اعمالك لتعزز
بها استمساك ابنائها وتبرهن لهم القول الصادع " ان حب الوطن من الايمان "،
ومن لهم بمن يتولى هذا الشأن وقد علمته طبعاً واكتساباً وتحذنه تراثاً
واجتهاداً ، فاجعل لهما من بيض ايديك نبلاً يخترق سهولها وحزونها وكشبانها
ووهادها صافي المودة عذب المشرب ليس بالشحيح فيظني ولا بالطاغبي

فيردي فيكون لنيلها الطبيعي من نيلك الادبي ما يكفل نيل نوالها ويدفع عن
مناكبها اثقال احمالها

اليك ايها الخديوي المعظم رعية انت بك وعظمت اليك وادخرك
الى صروف الزمن وعقدت ولاءها على لوائك وغرست غرس املها في
حديقة اعمالك وبنيت صرح رجائها على أس الثقة فيك واقالت مطايا
اوطارها في مجاميع فضلك . فهي ترجو اليوم ان يسبق غرس الامل شيء
الثمران لا يزعرع بنيران رجائها كره الحوادث وان ترعى مطايا اوطارها
ربيع الظفر والفوز

لك منها ذاك العامل في الخدمة ولا مرء انه سيكون من عزمك بين
راج لاماته وخائف لاساءته فلا يهرع الى بساط التدليس والرياء ليقوم
بقائدة خاصة ويعيث بخدمة عامة لان امضاء امرك لا يحوم الا على هذا القول
"اعندل والا فاعتزل"

لك منها ايها المولى الاجل ذاك المحترف المعاني الصناعة ينظر الى رواج
السوق الاجنبية فيها فينتقبض ويده عن التناول قاصرة او مقصرة فامسى
وهو ينتظر تمهيد العقبات بذرائع الحكمة ووسائل الارشاد تعزيزاً لاحد
الموارد الثلاثة الداعية الى العمران والاكتساب وحسبه من عين
البصيرة لحة ليشيد الحمد ويواصل الدعاء

لك منها ايها السيد السند ذاك المزارع الموءلف سوادها الاعظم
والقائم بعمله وجناه شأن الحكومة فهو لا يقعه عن العمل تعب ولا يدفعه

عن مثابة الحرث ملل ولا يحول دون قصده حائل من فواعل الطبيعة
فقد تعود ان يحتمل حر الزمن وبرده ووافدات الاتعاب امل ان يجني ثمار
غرسه وينضوي الى كنهه مع ذوبه بالكفاف فهو يقف لديك موقف الماتمس
الراجي لترمقه بالطرف الصادق وتحنو عليه حنو المرضع على الفطيم
وتجعل قبل العين النظر في تخفيف اثقاله واحماله كي لا يدركه الكلال
ولا يتولاه الهزال

بل اليك ايها الحديوي المعظم شعباً اميناً مقيماً على ودك . ناشر آلاء
مدحك وحمدك . شديد الثقة فيك . مرتاحاً الى جليل مساعيك . يسالك على
قدرك . كما يرجو ان لا تسأله الا على قدره وشتان بين امره وامرك . فهو في
ذلك يمثل ذاك الاعرابي وقد انشد لاحد الامراء متمثلاً

اعباس بين الحمد والاجر حاجتي فايهما تأتي فانت عماد
فقال له سل حاكك . قال مئة الف درهم قل اسرفت فاحفظنا
منها . قال حططتك الفاً . قال الامير ما اعجب ما سالت وما حططت فقال لا
يعجب الامير فقد سألته على قدره وحططته على قدري

فلك ايها الامير المعظم هذا الشعب المبارك يفخر بان يرى نظراءك
يتنازعون الفضل فاذا انتهوا اليك اقروا ويتنافسون المنازل فاذا بلغوك
وقفوا دونك واسان حالهم يردد قول البحري

لا تنظرن الى العباس عن صغري في السن وانظر الى المجد الذي شادا
ان التجوم نجم الجو اصفرها في العين اكثرها في الجو اصمدا

فزادك الله وزادنا بك وفيك . وسدد قدمك الى الصواب وكل بالنجح
مساعيك . ونشر لواء تجددك فوق الجوزاء . وادام النعمة خادمة ذروة مكارمك
الثناء . ولا تفتأ عين العناية لك راعية وسحب الاقبال امامك ندبة هامة .
حتى يدوم علاؤنا بشفاعة معاليك . ويثابر القلب واللسان على حمد نعمة الله
فيك اللهم امين

﴿ مستقبلنا ﴾

(في ١٠ فبراير سنة ١٨٩٢)

يترصدنا ابن الغرب ويرى قنا ابن الشرق ونحن بينها زواجر بين العجب
والادلال فلا نهيب التردد فنخلد الى الخمول ولا نخذر الرمي فنترجع الى
الحجل لان وثوقنا لدينا يقضي عنا الوهم من خوف الاول ويدي منا التثبيت
بارضاء الثاني ففي الكنانة سهام وفي السويداء رجال . وقد بسق غرس الرجاء
في حديقة فضل اميرنا ولا يلبث ابن عيسى وريفاً ثمراً اداني القطوف
فيمدحنا الغربي ويغبطنا الشرقي وكل آت قريب فلا هلة تكتمل بالتدريج
ولسنا نتكلف مع القاريء مؤهنة الااضة في العلل والبراهين لنكفل
الوثوق والارتياح الى ما اوردنا بل يغنينا القليل من ذلك عن الكثير وشاهد
الحس اقوى من شاهد التصور فلم نطو من عهد سمو اميرنا المعظم في
ارتقاء الاربكة الحديدية الجليلة الا ايام الشهر حتى بد لنا من المشاهد
الداخلية والخارجية ما يقودنا الى موطن الذهول ومعجبة الاستغراب

وبدفعنا الى الحزم باستئصال - نور الريبة والشك من سلامة مستقبلنا بل
يدعونا حكم الطبع الى المثول بين يدي اميرنا ونحن على ترتيبنا آيات
الدعاء بلسان الاخلاص نرتل آيات الاستبشار بلسان الالتماس

ايها الامير لم استبشرت الرعية بحسن مستقبلها وسلامة مصيرها
فبشرت لواء الافراح يخفق في هضابها ووهادها وفاخرت الامصار بما كان
وسيكون لها - لاخلاف في ان موضوع استبشارها مبني على ثقها الوطيدة
من وجه الاعتقاد بانك لجرهما الآسي ولعريها الكاسي ولضعفها المواسي
ولا غرابة في ما به وثقت واعتقدت اذ لا يصح لذلك الا لئلا يلبسه ضعف
وشدة لا يخامرها عنف وكفاءة تأخذ باطراف السياسة وتحيط بمخافيرها
وهي موسودة الى نيرة وقادة وهمة بعيدة تجلوها ارادة صادقة وحزم صانع
وثبات قويم - وقد قيضت العناية ان تكون انت الجامع لهذه الخلال الشريفة
والصفات الجليلة فلك الفضل لالتئام هذه الصفات ولزرعية المدح لادراكها
هذا الشأن ولك عليها حق الاخلاص ولها عليك حق الادلال

ولكن ما هو الشأن الذي تروم الرعية الوصول اليه - تعلم ان مسائلها
تنحصر في وجهتين خارجية وداخلية وهي مشوبة بمشاكل ومعضلات يراها
الجزوع الضعيف معاقل وحصوناً تعاصى على كرات المدافع ويراهما الصبور
القوي ضيائاً لا يلبث ان تبدده عاصفة الارادة والحزم - فالرعية تروم في
الاولى مسألة مبنية على حدود موقدة بالمعاهدات وفي الثانية استقلال ادارياً
وتخفيف اثقال

اما الاولى فتقابلها المعاهدات والمواثيق المربوطة بين تجارية وسياسية فلا وجه للدول مع المحافظة على المعاهدات لان تريد بنا شرّاً لان ارباب الدين من رعاياها امينون ياخذون اقساط ديونهم في اوقاتها فلا يضيع عليهم درهم ولا يتاخر دينار ولهم من وكلائهم في الصندوق ضمانه ثانية . واما الاعمال السياسية فغير معرضة لاخلال او مهددة بعث ولكلاء السياسيين شهادة ذلك . واذا نقرر هذا لم يكن لنا الا ما قام ويقوم به اميرنا من المحافظة على تبادل الحقوق فما دمنا نقوم بوفاء ما علينا فن الواجب ان لا نترك شيئاً مما لنا وذلك ما لا يتقاضى عنه سمو الامير بعد ان علمنا شرف اخلاقه وسمو مداركه ووقوفه وهو تحت ظل سماء الحرية على احوال الاجانب وسياستهم واحكامهم وعلائقهم

اما مسائلنا الداخلية فشؤونها نجه الى ثلاثة مطالب اولها التابعة العثمانية وثانيها الاحتلال الاجنبي وثالثها الادارة العامة فاما التابعة فلا خلاف في وجوب تأييدها واحترامها وتوثيقها والمحافظة عليها بالنفس والنفيس فهي معقلنا وحصننا وسياجنا دينياً وسياسياً وليس لنا للدلالة على رعاية حرمتها افضل مما لما لنا من امرها منذ تولى الاريكة سمو اميرنا فان ما اتاه جلاله الخليفة سلطاننا الاعظم من شواهد التعطف والالتفات وما قام به جناب الامير من قدر هذه التعطفات قدرها سرى غمة المصريين والعثمانيين وجلالهم كوكبوس المسرات والافراح فارتشفوا صفاءها فرائاً سائناً شرابه ورتلوا آية الشفاء والبقاء

اجل ان ما تبودل الى الان من بشائر المخبرات بين مركز الخلافة العظمى ومقر الاربيكة الحديوية السنية قد ابد للمصريين ولجميع العثمانيين سمو حكمة جلالة الخليفة وصدق اخلاص جناب الامير فالفرمان وشيك الحضور وزيارة الاستانة مقررة الانفاذ وسرور المصريين بالغ التام

واما الاحلال فالعسكري منه مسند الى سياسة جلالة السلطان على رغبة في سياسة سمو الامير ولو انه طاهر الذيل من بدء نشاته ولكن الاحلال الاداري متعلق باارة الجناب الفخيم فهو ولي امر البلاد وهو ابن مجدها وعالم بالمواجب وجميع الموظفين من وطنيين واجانب لا يخرجون عن كونهم موظفين مصريين على قوانين مسنونة وقواعد مقررة والجناب الامير النظارة العليا عليهم فهو المسئول امام نفسه والوطن بشؤونهم فله اذاً ان يرى فيهم رايه المصيب ونظره الصادق باعطاء كل ذي حق حقه وايقاف كل عند حده المعين حتى لا يتوانى الواحد ولا يستقيد الاخر

ولسنا نرى على افتراضنا سلامة نوايا المخلين الا تمهيد السبل لتحقيق الاماني وهي تقليد المصريين الوظائف الخطيرة ليكونوا بها عمالاً فعلاً لا بمثابة آلات تدار بحركة خارجة فلا يلبثون ان يفقدوا حقوق الارادة في الادارة وبالاستقراء يرتاحون الى التحول والسقوط مع المحافظة على نقد الراتب وبش المصير

واما الادارة العامة فهي الموكل امرها الى حزم سمو الامير بتوجيه اهتمامه الى وجهيها بين شؤون العمال وشؤون الرعية فهو يعام حفظه الله ما

من الخطارة في الاعمال على العمال بالقوانين مسنونة والاوامر مقرر والقواعد
محركة واللوائح مثبتة فصلاحيها موقوف على انفاذها وصلاحي الانفاذ موقوف
على صلاح المنفذ وصلاحي المنفذ موقوف على الحكمة في تخيره وانتقائه. ومن
لنا من يقوم بذلك افضل من حكمة سمو اميرنا ومعرفته بمقادير الرجال وفضل
العلم والحرية

واما الرعية فتسودها محصورة في امرين علم وسعة فالاول يهد لها
سبل التقدم الادبي فيرتفع شأنها وتسقيم اعمالها وما الباب لذلك الا تكثير
المدارس لتناول خير الفنون والادب واعداد النابغين منها وفيها للمناصب التي
تصلح لهم ويصلحون لها. واما السعة فتنشأ أولاً عن تخفيف الضرائب واثقال
الاثارة وتوسيع نطاق الموارد الثلاثة اي الزراعة والتجارة والصناعة ولا شك
ان كل ذلك ميسور تلقاء الثبات والعناية وسنأتي على بيانه بالاسباب في
لمحات متتابعة توصلنا الى المرام فالحقيقة بنت البحث وكل من سار على الدرب
وصل

ذلك ايها الامير موضوع استبشار القطر بسلامة مستقبله فقد تبين
ان الدرائع الناقلة به من لجة الاضطراب الى ساحل السكون والامن ميسورة
لديه قرية المنال سليمة من شوائب المثل وغوائل الاخلاف
بل كيف لا يكون للمصريين ذلك وانت المصري العثماني ديناً وسياسةً
ووطناً وتابعة انت من اعز اركان السلطنة واحصن حصونها ومعاقلها. بل
انت الذي ربيت في مهد الحرية والشرف والمجد وارتضعت افانق العلوم

والفنون مع اتراب كرموا عنصر أوطابوا محمداً . بل انت الذي تنقلت كالبدري
 سماء عروش السلاطين والملوك فكنت موضوع اجلالهم والتفاتهم . بل انت
 الشيخ حليماً والفتى سناً فلك من جوهر العقل بريق الكهرباء ومن نصارة
 الشباب بريق السيوف . بل انت الذي اشربت محبته قلوب رعيته فاخلصوا
 لك في السر والنجوى وعلقوا امالهم بعروة فضلك الوثقى . وهم ينظرون
 بمزيد المسرة تلك التعطفات السلطانية وذاك الاخلاص الحديوي ويفخرون
 باساطيل تردوا خرى تصدر بين مقابلة ومودعة تقدم لك عن دولها وملوكها
 بلسان امرائها كتب التهاني والتبريك وتهاديك نياشين الفخر لان الشيء
 يتناول الى مجانسه ويألف الى اليقه على نحو ما حكاه لسان تاريخنا تذكراً
 لنيشان اللجيون دونور الاول المهدى من دولة فرنسا الفخيمة ونصه

اهدت فرنسا وسام اللاجيون دُر
 لفصن مجدي بدوح الفخر مياس
 خديو مصر الذي هيا الزمان له
 مستقبلاً يوجب الادهاش للناس
 به الوسام ازدهي فليزدهي ابداً
 مذارخوه بفخر صدر عباس

١٣٠٩

فتولها بما حباك الله من الحكمة والله يتولاك بصانيه

﴿ من جرى في عناء امه ﴾

﴿ عثرت رجله باجله ﴾

(في ٢٨ مارس سنة ١٨٩٢)

جاء في امثالهم . اذا سلمت من الاسد فلا تطمع في صيده . وقال
الشاعر

الم تر ان المرء تدوى يمينه فيقطعها عمداً ليسلم سائر
من ناموس الطبيعة ان الشيء يتولد فينمو فيتم اطوار وجوده حتى
ينقضي وهو سر مودع في الطبيعة يجري في هبولاها مجرى الدم في المفاصل
فليس هنالك سكون ولا خمول بل حركة استيعابية دائمة على تفاوت
في الآجال بين الطول والقصر من فرع واصل ووضع وحمل
واذا اجلنا لحاظ التنقيب والتنقيب في هذه الحقائق تراجعتنا الى الوثوق
بسلامة مجراها واطراد مبداءها فالقناها لمناستها الطبع ونحن على اكيد الاعتقاد
ووطين التصديق بان ما انعكس منها وعنها ان هو في كاس الحياة الا ما ج
اجاج يجه الغم

كل ما خالف الطبيعة لم يبل لنوق وانما مجه الغم
بل ليس للنفس فيه الا انفة وانكار ولو تبينت منه النفع ورحم الله
القائل

وكل ما عن منهج الطبع التوى تنكره النفس ولو نفعا جني

اذن على رسلك يا عاذلاً غير عاذر وقد اجمع كل عاقل عادل على ان
مسالتنا المصرية قد اخرجتها احكام السياسة الغائبة والاغراض النفسية
والاطماع الاشعية من حظيرة تلك القاعدة ودائرة ذاك التاموس فقد اولدتها
الايام لتكون ابنة عام لثم فيه اطوار حياتها على مبداء الطبع فاذا بها قد تلبست
اطوار غيرها مضيئة الى عمرها اعماراً بل اثنتا بالعجيب الغريب من دوران
حركتها ذلك اننا لم نرها متجاوزة اطوارها الاولى الى الثانية حتى رايناها
رجعت الى حيث بدأت فكأنني بها لزممت طور الحضانة فالعام الواحد والعشرة
اعوام لديها سواء

اذن من تراه يلوم السلطنة السنية على ما انتهت وتأتيه في هذه المسألة
على علم منه بخطارة مصر لديها ديناً وسياسة فالبلاد اسلامية تعترف في
السرو النجوى بخلافة رب الخلافة جلالة السلطان الغازي عبد الحميد خان
فهو عندها امير المؤمنين وخليفة رب العالمين وهي لديه قلب مملكته وطريق
بيت الله الحرام والاثر الشريف من الافتتاح الجليل الذي اتاه ساكن الجنان
السلطان سليم في حين لم تكن من يوم افتتاحها عمرو بن العاص الا حكومة
اسلامية بين موطن الخلافة او تابعة لخلافة. ثم هي لدى جلالاته القسم الخطير
المتم جسم المملكة سياسياً يقوم باسمه بتديره وترتيب احكامه وكيله الشرعي
سمو الخديوي على ارتباط قوم وائتلاف امين يويد بهما الحفظ والصيانة فما
مصر اذا الا الاثر الماثور للسلطنة بل اللجنة النضرة فيها وما سياجها الا السلطنة
السنية وما جلالة السلطان الا المالك الامر والمالك ان يشرف في ما حكه

كما يشاء

واننا نقصد ان نأتي في عجالتنا هذه بالثروح الضافية عن ذلك فقد
اودعنا في اللحاحات السابقة ما يكفينا مؤهولة الافاضة فضلاً عما في الموضوع
من الجلاء المغني عن البيان ولكننا نقصد الاملاء الى ما شاب الماخرات
الحديثة من وافدات الملل على اثر الانقلاب الاخير حتى حدا ذلك الى
تضارب الظنون وتباين الاراء

قالوا اننا لا نريد بمصر سوءاً وقد انحصرت غايتنا في توطيد امنها
داخلاً وخارجاً وايصالها الى معجزة الاصلاح المرغوب بين سعة في المالية
وراحة في الشؤون الادارية ومتى نلنا ذلك تركنا البلاد وشأنها لرب شأنها.
فلنا قد وثقنا بالغاية وصبرنا ثم راينا بموجب اقراركم ان الغاية قد حصلت
فاكرموا بانجاز الوعد ولكم علينا جميل يعرف ويحفظ قالوا ان الغاية لم تدرك
كلها فالارتحال لم يثن وامرنا لنا

تلك هي نقطة مسالتنا المركزية ولكنها ليست بالطارئة او الحديثة بل
هي القديمة من عامين وثلاثة وخمسة وسبعة وفي ذلك عود طور الحضنة
يتصل بها شرط ليس من اجل لجوابه وتشوبه على توذن الحكمة للسلطنة
السنية بالسكوت عنها لان النتيجة مترتبة على مقدماتها وكيف نتحدى جانب
الوثوق وهي ترى الممانعة في منع حق لها كالمسائل الجارية في شأن العقبة
وماحققتها وقد حالت انكساراً بينها وبين مصر فيها فاذا اعترض عليها قالت
ان مصر لا تريد ذلك واذا اعترض على مصر برئت من هذه التبعة لقاء نفوذ

المختلين فالمسألة على حد قوله

إذا ضاع شيء بين بنت وامها فاحداهما يباح لا شك آخذه
 وای عدل يتيح لامرء ان يحب او يعطي ما ليس له كما جرى في
 مصوع والسودان ثم يمنع عن ذي الحق نيل حقه كالجارى في امر
 العقبة بعد العلم بان السلطنة السنية لم تعبت قط في الامتيازات الممنوحة
 للقطر فاذا قيل ان انكثرا انما تروم ذلك خدمة لمصر قلنا ان خدمة مصر
 تقوم بالمحافظة على الرضى السلطاني الشريف وهو لا يريد لها الا الخير ولا
 يتمنى الاسلاما وحفظ امتيازاتها وصونها من الاطماع الخارجية وثايد
 تابعيتها لمقام الخلافة السامي. واذا قيل ان ذلك انما ترومه انكثرا رعاية
 لمصلحتها قلنا اذن قد انتفت الغاية التي اعربت عنها وكان للباب العالي حق
 الرضى للمقدمات مع انتباز ما يسوق الى الاخلال والعبث. ومها يكن
 من الامرين فليس ثم وجه للارتباب في مقاصد السلطنة السنية كما ان
 ليس ثم من وجه لفقده لدى مقاصد انكثرا واذا تبين ذلك حال الحق دون
 اللوم الموجه من ذوي المآرب والاغراض الى اجراءات الباب العالي في
 هذا الشأن وغيره ولم يبق لانكثرا سبيل تعترض عليه به من كونه لا يستمسك
 بعروة الثقة بها والاعتماد على سلامة نياتها

ولسنا وقد بدا لنا من هذه الشؤون الخطيرة ما كشف القناع عن
 محيا الحقائق تتوقع لسلامة العاقبة الاحزم سمو خديونا فهو بما اودع الله
 فيه من الروح الشريف يجلوه الذكاء والنباهة يقوى على حل المشاكل

ويزيل العقبات المعترضة دون الوصول الى المحجة فالقطر قد وكل امره الى تديره على مبدا وثوقه بما شب فيه من التعلق بجوهر التابعة والارتياح الى رضى جلالة الخليفة مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان المعظم فضلاً عن طهارة ذيله من غوائل الايام الماضية وثبات جاشه في ما يبرمه من الامور لتوقيعها على حكم الحق والعدل ومن اتبع هذين كان الظافرون مراء ولم يكن من حجة للنواقض في شأنه تمثلاً بما جرى مع عبدالله بن الزبير وذلك ان عمر رضي الله عنه لم بعصبة فيها عبدالله بن الزبير ففراقها من الطريق الا ابن الزبير فقال له عمر . كيف لم تفر مع اصحابك . قال لم اجترم فاخافك ولم يكن بالطريق من ضيق فوسع لك . وذلك سيكون لسان حال سمو الامير لمن يحول دون ما يقصد في هذا المنهاج الواضح ايده الله معززاً بالتابعة الشريفة ليظل مظهر التعطفات الشاهانية وحصناً حصيناً من معاقل السلطنة الستية بحوله وطوله

﴿ ما علمتم في ما علمتم فنعظكم في ما جهلتم ﴾

(في ٢ افريل سنة ١٨٩٢)

استقدم معاوية الاحنف بن قيس وشاوره في استخلافه يزيد فسكت عنه . فقال له معاوية مالك لا نقول . اجاب ان صدقك اسخطناك وان كذبك اسخطنا الله فسخط امير المؤمنين اهلنا من سخط الله . فقال له صدقت

وارسل ابو جعفر الى سفيان الثوري فلما مثل بين يديه قال عظمي ابا
عبدالله . قال ما عملت في ما علمت فاعظك في ما جهلت . فلم يجد له
المنصور جواباً

نشر الكتاب ذوائب البجائهم في اطراف مسالمتنا المصرية حتى احاطوا
بمخافيرها ووضعوا كل كلمهم على وتينها فاذا تنسموا لها خبراً يعلق بها
تسمنوا غارب احكامه واذا لاح لهم بارق من سحب سياستها انتجعوا مهبط
غيثه وهم على طرفي نقيض في حلها وابرارها حتى اذا اختلط حابلهم بنابلهم
في حلبة القضاء تراجعوا الى الاقتراق في التوجيه وسالوا السعة في المجال
توصلاً الى الوقوف على ما يجهلون وانبرى من بينهم من قبح اقلامهم نقس
الغرض النافث السم فاطلقوا اليه اسير القدح والتنديد وصوبوا سهم الطعن
واللوم على من ناصبهم في المدافعة عن الحق ولم يتمثلوا في ما اتوه الا بما وقع
لابن هبيرة ذلك انه استقدم اليه الحسن وساله . ما ترى في كتب تاتينا
من عند يزيد بن عبد الملك فان انفلتت وانفقت منخط الله وان لم انفذها
خشيت على دمي . فقال له الحسن . خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله
فان الله يمنك من يزيد ولكن يزيد لا يمنك من الله

ماذا قلنا وما سنقول - لم تتجاوز في ما قيل المعجزة المثل بل لم تكن
الا المصيخين سمماً لاجابة داعي الذمة والشرف والمليين لدعوة الحق لا
تأخذنا فيه لومة اللاتين ولا تكلف القراء الاسبر ما يتلون بمسبار الحكمة
والثأني وسنتلو لم ما تلونا فان الحقيقة من البسائط التي لا نتجزا - قلنا ان

الامن قد توطد في الداخل والخارج وان الحالة قد تحسنت باقرار المختلين
انفسهم وقد رتبت القواعد العامة للمسير بموجبها في المستقبل فهل ثم ما يحول
دون الجلاء وانجاز الوعود . قالوا ان ذلك لنا امره ولم نتم حتى الساعة
مهمتنا ...

واذا رجعنا الى سابق تاريخ المسألة وقائنا ظهر البطن وجدنا ان نفمة
الطنبور لم تتغير وانسانا من وراء ذلك تباينا في الافكار وتضاربا في الاراء
ولكن لم تتبين خلافا في المقصد والغاية وحدا بنا البحث الى استغراب وقائع
المشكلة فقد قضوا بانهم لا يلامون ولا يسالون بما يعملون ولكن غيرهم يسال
بما يعمل حتى بدا لنا في هذا الحين ما نسوق اليك بيانه

لم تظهر حوادث الانقلاب الاخير ولم تعمل السلطنة السنية بما تقضى
عليها الحكمة والحق باجرائه حتى قامت قيامة ارباب الفرض واتجهت
خواطرهم الى التنديد بسياسة والوم على سلوكها في حين نسوا او تناسوا
ما تقولوه عليها يوم استسلمت الى السكوت اعنضاداً بثقة الاوعاد فكانت
لقاء اغراضهم غرضاً لسهام اطاعهم وتنديدهم فهي اذا استكانت وسكنت
اعلنوا على رؤوس الملائكة الامرو صاحبة البيت راضية بحلولنا قابلة بما
ناتيه وبرهان ذلك سكوتها والسكوت رضى فخطوا وتمطوا ذات اليمين وذات
الشمال ونصرفوا تصرف المالك المستبد . واذا جهرت وجاهرت بالمطالبة
بحقوقها تمللوا وتلهوا ورموها بسوء التدبير واقاموا العقبات في منهاجها
القاء في اليم مكتوفاً وقال له اياك اياك ان تبطل بالماء .

فماذا ترى تلام السلطنة السنية - تلام اذا قصرت عن المطالبة بما لها بل ان الدين والسياسة يامرأها بعدم الاغضاء عن انتهاز القرص لنيل ما لها من الحقوق عملاً بقوله عليه السلام "من فتح له باب خير فلينتهزه" فانه لا يعلم متى يفتح دونه"

بل كيف تلام وهي قد صبرت وانست الى انجاز الوعود ثم كانت ذلك سخابة صيف وزيارة ضيف . يقولون لها اننا نشيد باسمك ونحافظ على حقوقك . ولكنهم يفعلون غير ما يقولون فادا سالت حقاً اعترضوا كما جرى في العقبة . واذا طالبت بوعدهم تحلوا كما جرى في امر الجلاء . ولسان حالهم يتاجها ان لازمي الثقة بنا والسكوت عما نعمل

ولقد جرى حكمهم هذا مع الشعب المصري ايضاً فاذا سكن واثقاً بالوعود رموه بالجهل وعدم معرفته المطالبة بحقوقه ولكن هل لهم ان يسكتوا عنه اذا رام ان يطالب باجل حقوقه واسماها وافضلها واخطرها واتمها واكملها وهو التكرم بالجلاء عن بلاده ...

لا تجهل العامة كما لا تجهل الخاصة ان جلالة مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان لا تؤذن له الديانة ولا السياسة بالاغضاء . اما الاولى فلان السواد الاعظم من المصريين وهم المسلمون يخضعون له خضوعاً دينياً بصفة كونه خليفة واما الثانية فلأن البلاد بلاده والارض ارضه ولم يفتتحها ساكن الجنان السلطان سليم بوقعة التل الكبير بل بوقائع التلال الكبار من ابدي غشمة مرده ولم يوطد بنيانها ساكن الجنان السلطان محمود الا بالابطال

العثمانية المصرية المعقود لواؤها على بسالة ساكن الجنان محمد على باشا ارومة
العائلة الشريفة

ثم لا يجهل احد ما هو مقام مصر لدى السلطنة السنية ديناً وسياسة
ايضاً فهي طريق بيت الله الحرام كما انها مفتاح جزيرة العرب ويعلم المخلون
حق العلم ان التقاليد الانكليزية قد حافظت على سلامة تلك القوة العثمانية
الدينية والسياسية لان بها حفظ السلام العام ورعاية المعاهدات الرابطة الدول
فاذا داخل الخلل تلك القوة لا سمح الله انتفت الغاية من وراء ذلك واضطرت
السلطة السنية بحكم الطبع والحق الى تدارك الامر من قبيل المحافظة على
الوجود وكان لها من ميل الشعب دافع ومهاز فقد وضع لكل ذبيحة بصر
وبصيرة ان اشعب المصري ما خلا من ختم الله على قلوبهم وقليل من هم
يخضعون لجلالة السلطان خضوعين طبيين هما الخضوع الديني والخضوع
السياسي فالري والمحاكم والسجون والشحنة والملح والجمارك وارتفاع اسعار
القرطيس وما ضارعا انما هي شي يذكروا يستحب مع الجلاء ولكنه لا
يفني فتيلاً بدونه. وهل تروق دفيناً جودة الكفن

فمن العبث اذن ان نتناول الى الاسباب في ابحاث الميزانية ووفرة
الاحياطي منها وخطارة الدخل واقتصاد الخرج لاننا نلاحظ في ذلك شائين
يكفيانا موهنة الاطناب اما الاول فعدم الاستغراب من الحاصل رعاية
لشان انكثرا الدولة العظيمة الغنية لان ما انته في مدة عشر سنين والامر
امرها كان يمكن ان تاتي دولة اقل منها جاهاً وعملاً وتمدناً فلا غرو اذا توقعنا

منها ما هو اسمي من ذلك لقاء سمو مقامها . واما الثاني فلأن المسألة السياسية خارجة عن هذه الحظيرة ولا عبرة بها ولا اعتبار لخطارتها تلقاء ما هو اجدى وافضل فالعقل من بقي نفسه بماله ودينه بنفسه وقد اتخذ الباب العالي الى الان منهاج الحكمة فيما اتاه فلا لوم عليه ولا تريب بل لم نره متبعاً في جميع ذلك الامثال الحكمة والسداد وتأييد العقل وقد سئل بعض الحكماء اي الامور اشد تأييداً للعقل واياها اشد ضرراً به . فقال اما الاولى فثلاثة . مشاورة العلماء وتجربة الامور وحسن التثيت . واما الثانية فثلاثة ايضاً . الاستبداد والتهاون والعجلة وقد وجدنا ووجد كل خبير ان حكمة جلالة مولانا السلطان الاعظم اتخذت المطالب الاولى ديدناً لها بما تجلي عليها من الفيوضات الالهية

ذلك هو سر المسألة ونقطة دائرتها ومركز افعالها ونحن على امل بمخادرة ساسة بريطانيا جانب الوعود والخروج الى جانب الانجاز فلبلاذ كشادة عمالها امينة من طاريء ومفاجي بين غادورائهم . وسمو العباس طاهر الذيل من فلتات الماضي وقوي الساعد لدفع غوائل المستقبل . والشعب المصري خاضع لاميره وطيد التابعية لسلطنته يتفانى في حب جلالة ساطنائه . والدول واقفة بالمرصاد تروم احترام المواثيق وانجاز الوعود وجلالة السلطان ساهر مراقب لا يبغي ولا يتهاون . فالرجاء ان لا نستمع من المحللين ثقوا بنا والزموا الصمت بل ان نستمع قولهم قد وعدنا ونحن الان ننجز حتى لا تتاجهم السلطنة بلسان حالها

شكونا فاذنيتم اليكم سكوننا بتكرامكم للوعدي السر والنجوى
ولما اتخذتم صهتنا حجة على رضانا بما جئتم رجعتنا الى الشكوى

﴿ المصريين والمتحصرون ﴾

(في ٤ مايو سنة ١٨٩٢)

قال ابو هريرة رضي الله عنه لما صار يوسف عليه السلام الى مصر واسترق بعد الحرية جزع جزعاً شديداً وجعل يبكي الليل والنهار على ابويه واخوته ووطنه وما ابتلي به من الرق فاحيا ليلة من الليالي يدعور به تعالى وكان من دعائه ان قال " رب اخرجني من احب البلاد اليّ وفرقت بيني وبين اخوتي وابوي ووطني فاجعل لي ذلك خيراً وفرجاً ومفرجاً من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وحبب الي البلاد التي انا فيها وحببها الي كل من يدخلها وحببني الى اهلها وحببها لي ولا تمتني حتي تجمع بيني وبين ابوي واخوتي في يسر منك ونعمة ومرور تجمع لنا به خيري الدنيا والاخرة انك سميع الدعاء " فاتي يوسف عليه السلام في نومه فقيل له ان الله تعالى قد استجاب لك دعائك واعطاك منك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك ابويك واخوتك واهل بيتك فطب نفساً واعلم ان الله تعالى لا يخلف وعده " وبدعاء يوسف عليه السلام صارت مصر محبوبة لكل من دخلها فلا يكاد يخرج منها

ولما اجاب عمرو بن العاص سوء ال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في

وصف مصر واتى في ما وصف بجماع الكلام ومنتهى البلاغة اختتم قوله بما
معناه "فبينما هي يا امير المؤمنين درة بيضاء اذا هي عبدة سوداء فاذا هي
زبرجدة خضراء فتعالى الله الفاعل لما يشاء"

ذلك ما يقال عن هذا القطار السعيد ولدينامن شواهد العيان والحس ما
يفني عن شواهد التصور والمقال واما ما يقال عن سكانه فشعب رقيق
الخواشي محبب الى الناس لطيف المعاشرة حليف المسائرة والمسامرة سهل
الاخلاق طيب الاعراق خفيف الروح بسم الثغر ندي الكف واسع النفس
قريب المأخذ بعيد عن التشيع رحب المنزل مضياف اديب يحكي لسان حاله
ما قاله سيف الدولة بن حمدان

نزلنا رجب لمن زاره نحن سواء فيه والطارق

وكل ما فيه حلال له الا الذي حرمه الخالق

هذه هي صفات مصر وابنها يعترف بحقيقتها في السر والنجوى كل
ذي بصيرة وبصر من دنا منها فامتزج باهلها ومن نأى عنها فنقل اليه عنهم
ثقات الرواية فاي قلم اذن لا يسلم عنانه لبنان كل كاتب محقق وناقل مدقق
ليطلق قيد التقرع واللوم على من تجاوز حد العدل والانصاف سفي ما
رامهم به من جهل وتشيع ووسمهم به من سمات تبعد عنهم بعد العلم من
الجهل والعدل من الظلم والصلاح من الفساد بل البسهم ثوباً لم يتشعروهم مجردهم
من خلال شريفة لم تكن الالهم ولم يكونوا الا لها
على رسامكم يامن ارشتم السهم فطاش ماذا تيننتم من حركة الخواطر

المصرية على اثر حوادث لم تقع في حسابان ولم تدر في خلد احد حتى شددتم
النكير واجنم للسان بذاة الكلام وللبراعة هراء المقال فاذا انتم والصدق
عنكم طريد والاعتراف بالجميل شريد

متى وجدتم المصري ملتحقاً ردء التشيع في حبن اجمع الجميع على انه
توغل في الابعاد عنه حتى كاد يحول بينه وبين ذويه

متى رأيتموه فظ الطبايع شرس الاخلاق وهو الموصوف بكل لسان
وشقة بكونه يسيل طبعه رقة واخلاقه لطفاً وانساً والله من لبن طبعه كلين
هوائه ومائه

متى نظرتموه بكرة النزيل ويستنكف من المشاشة للضيف في حين هو
القاتل بلسان الشاعر

الله يعلم انه ما سرني شي كطارقة الضيوف المنزل
مازلت بالترحيب حتى خلطني ضيفاً له والضيف رب المنزل
متى لقيتموه يحول بين مساكنيه وبين ما يرومون عملاً وكسباً على
كونه والله شهيد يدفع من سيياهم كل حائل ويستنكف من ان يدراً عن
سبيله حائلاً

وفد اليه انغربي والشرقي فاقاما عنده على الرحب والسعة وجدافيه
من حسن المعاملة ولين الطبايع وانس المسامرة وشدة الالتئام وحسن الامتزاج
ما انساها الاهل والوطن وانس بهما الى مسارح الخيرات وبهاجج البركات
وحداثى الاثراء وجنان الغنى وحلبات الرغد فانشداه بلسان الحال

كَأَنَّهُ شَجَرُ الْإِتْرَجِ طَابَ مَا جَمَلًا وَنَشَرَ وَأَطَابَ الْعُودَ وَالْوَرْقَ
وَفَدَا إِلَيْهِ فَرْحَ وَحَيَاءَ فِدْعَا وَعَامِلَاءَ فَصَدَقَ وَاشْتَفَلَ فَهَدَوْا فِقْرًا
فَتَأَثَّرَ وَافْتَقَرَ فَلَمْ يَضْجُرْ وَاثَرِيًا فَانْشَرَحَ وَاثَرَى فَلَمْ يَظْطَرْ وَتَعْبًا فَاعَانَ وَتَعَبَ
فَلَمْ يَسَالَ وَاسْتَرَا حَا فَتَهَلَّلَ وَاسْتَرَا حَ فَشَكَرَ فَقُلَّ لِلْآتَمِينَ عَلَى مَا شَدَّدَتْهُمُ النَّكِيرَ
وَمَنْ أَبَا حَهُ لَكُمْ مِنَ الْمُتَمَصِّرِينَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَجْنَاسِ
أَمْزَارِعُونَ أَمْتَلَكُوا مِنْ سَعَةِ الْأَرْضِ مَا يَفِيضُ عَلَيْهِمْ بِدَرِّ الْمَالِ وَهُمْ
يَخْدُمُونَ الْفَلَاحَ بِالْأَجْرَةِ وَهُوَ يَخْدُمُهُمْ بِعَرَقِ الْجَبِينِ وَيَقُومُ بِوَاجِبِ الْعَمَلِ مَعَ
الصَّدَقِ وَالْأَمَنِ

أَتَجَارُ بِتَعَامُلُونَ مَعَهُمْ وَقَدْ رَأَوْا مِنْ حَسَنِ مَعَامِلَتِهِمْ مَا عَادَ عَلَيْهِمْ بِمِزِيلِ
الْمَنْفَعَةِ وَغَزِيرِ الْفَائِدَةِ

أَمْلَكَ شَادُوا وَيَشِيدُونَ الْبُيُوتَ وَالْمَنَازِلَ بِجَاوِرِهِمْ عَلَى سَلَمٍ وَامْتِزَاجٍ
وَلَا يَزَاحِمُونَهُمْ فِي عَمَلٍ وَقَدْ قَعَدُوا عَنْ طَلَبِ الْمَسَاوَاةِ فِي فَوَائِدِ الْأَصْلَاحَاتِ
الْمَرْعِيَةِ فِي أَحْيَاءِ جَاوِرِهِمْ

أُتَحَرَّفُونَ بِسُتْحَمَدُونَ حَرَفَتَهُمْ وَلَا مَزَاحِمَ لَهُمْ وَبَابُ الْإِرْتِزَاقِ مَفْتُوحٌ
وَلَيْسَ لِلْحَسَدِ طَرِيقٌ

أَمُوظَفُونَ ثَقَلُوا الْوُظَائِفَ فَلَمْ يَبْخَسُوهُمْ حَقُّوقَهُمْ وَلَمْ يَأْنِفُوا مِنْ
مُعَاذَتِهِمْ وَالْإِخْطِلَاطِ مَعَهُمْ وَلَا جَعَلُوا لِلْحَسَدِ سَبِيلًا لِيَفْسَدَ بَيْنَهُمْ وَيَبِينُ مِصْرَاهُمْ
فَبَإِذَا يَلُومُهُمْ أَرْبَابُ الْغَايَةِ وَالْفَرَضِ وَكَيْفَ لَا يَنْجَلُونَ مِنْ إِطْلَاقِ
الْتِمْدِيدِ وَهَلْ تَنَاسَوْا قَوْلَهُ "أَفْعَلْ بِالنَّاسِ مَا تَرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكَ"

وقال الشاعر

لا تعامل ما عشت غيرك الا بالذي انت ترتضيه لنفسك
 ذلك عين الصواب فلزمه فيما تبغيه في كل ابتداء جنسك
 قضت الايام على المصري بان نقوده السياسة الى مطلب من ورائه فقد
 حريته وامانته اديباً فشر بثقل الوطأة وتنبه الى معرفة واجبه بتنبه خاطره
 فاعلن بلسانه عما يستره فواءده من انفته مما حدث فلم يرتكب فتنه ولم
 يحدث شغباً ولم يحدث هياجاً بل تدرع بالكمة وتزمل بالثبات وتدثر بالولاء
 وادرك ماله وعليه وعرف الصواب من الخطا في حين هو اشد الشعوب
 استمساكاً بالسلام والوفاق والهدو والسكون والامن . فاین الذنب منه
 يا ترى

قال ويقول ان تابعيتي للسلطنة السنية مقدسة . فهل اذنب . قل اني
 وفيت الشكر لمن خدمني فليتكرم بانجاز وعوده . فهل اخطأ . قال اني اقيم
 على السلم كما تعودت ولي من سوابق ايام . و شهود . فهل كذب .
 قال اني ونزلاني واحد لم مالي وعلي ما عليهم فاین الذنب منه يا ترى
 فقل للثمين هل من ذي ملك وتجارة وحرقة ووغيلة يجرأ على الشكوى
 من المصريين وهو قد نزل بينهم فلقى الرحب والسعة ونال منهم ما يمنعه
 من ان يسهم بسوء فن العار ان يسئني الانسان من بشر ويلقي فيها حجر افي
 حين قد آخاهم واخوه فكانوا سواء في البراء والضراء
 فعلى اي الامور اعتمدتم ايها اللاثمون فشدتم التكبر الان ساهم

غطاؤه كم وارضهم وطاؤه كم وزراعتهم كساؤه كم وماءهم رواؤه كم وتجارهم
ثراؤه كم. ام انكم تأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم. ام لانكم ترون
القذى في اعين سواكم وتنسون الجسر الذي في اعينكم.

واني ارى في عينك الجذع معرضاً وتعجب ان ابصرث في عيني القذى
والا تعلمون ان الجليل يحيا بالذكر والنعمة تدوم بالشكر وصلة الحب
بعد القطع داعية الى الضمف

ويمكن وصل الحب بعد انقطاعه واحسنه تبقى به عقدة الربط

اجل ان المتمصرين من غربيين وشرقيين قد لقي سوادهم الاعظم من
المصريين ما لقي المصريون منهم بين الفة واخاء ومودة وولاء فالاولون
ابعد الناس عن منافرة المصريين واقربهم الى الائتلاف بهم والاتحاد معهم.
والمصريون اقرب الى مساكنهم من حبل الوريد وابعد الناس عن
مهاجرتهم

فقل لمن تعود بذمة اللسان ان المصريين لا يرون عما تعودوا بديلاً
فهم لا يمنحون الا الى الالفة ولا ينمطون الا الى مسالمة الناس والمحافظة
على الاداب وحسن المعاملة وطيب المؤانسة وتمكين ربط المودة في سبيل
معاملاتهم وسلوكهم وان لهم في سبيل سياستهم خطة لا يحولون عن اتباعها
والمسير بموجبها

ذلك انهم مصريون عثمانيون يخضعون لجلالة خليفتهم وسلطانهم
ويسألون الله ان يؤيد عظمتهم ويوطد سلطنته ويحمل لواءه رفيق النصر

الياف الفتح والفخر . كما انهم يخضعون لسمو اميرهم عباس الثاني الحصن
الحصين من معاقل السلطنة السنية . والسيف الصقيل الذي خباه الزمن
لطوارق الايام والليالي فهم قد وكلوا امرهم الى حزمه . وسلهوا مقاليد احكامهم
الى شديد عنده وحديد عزه . واخضعوا له في الدر والعلن . وسالوا الله
ان يديمه تاجاً على مفرق الزمن

﴿ سياستنا ﴾

(في ٧ مايو سنة ١٨٩٢)

اخبر الثعالبي قال . استشهد محمد بن الفرات ايام وزارته علي بن
عيسى صاحبه بغير حق فلم يشهد له فلما عاد الى بيته كتب عيسى اليه
” لا تلني على نكوصي عن نصرتك شهادة زور فانه لا اتفاق على نفاق
ولا وفاء لذي مين واخلاق . واحرمين تعدى الحق في مسرتك اذا
رضي ان يتعدى الباطل في مساءتك اذا غضب “ وقد اشار ابو الطيب المتنبي
الى هذا المعنى بقوله

لقد اباحك غشاً في معاملة من كنت منه بغير الصديق تنتفع
وقال الحكيم . لا وفاء لمن لا دين له ولا دين لمن لا وفاء له وقال
الشاعر

ولا تقرب الامر الحرام فانه حلاوته تفتني ويبقى مريرها
واي حرام اثقل على المناكب لفظاً والافئدة معنى واسمج في الباصرة

شكلاً وفي البصيرة تصوراً من ارتكاب ما يستنزل الشرف من ذروة
 العز الى حضيض الذل بيد الاغراض الساقطة . ويدفن ضرة الضمير ذات
 الشعاع في ثرى الحطة بينان الغايات السافلة . ويقود الذمة من مراعي الكرامة
 والوفاء الى مسارح الالهانة والقدرة . فحكمة الانسان دينه وشرفه وذمته
 وهي تساله الحرية والوفاء والصدق وما وراها الا خير الجزاء
 ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسناً

ولا تخش من سوء اذا كنت لائقي

ولقد مر علينا روح من الدهر ونحن نلبي داعي الذمة قياماً بواجب
 الشرف ووفاء لحق الوطنية ولم يفتنا ما سنه العدل والقانون من قواعد
 الخدمة العامة التي يقتضيها شرف الجرائد ونقضي برعايتها صحف الاخبار
 فنهجنا السبيل الامين نطأ شوك قتاد الاغراض بقدم الهمة واشبات ونندراً
 طارئات الاستبداد بدرق الحرية وندفع حائلات الاكاذيب بعامل الصدق
 وقد رقنا على نسيج لواء الولاء سلطنة سنية . تابعة عثمانية . مصر للمصريين .
 راي عام ، وانظر تشاهد ذلك خافقاً في ذروة الاهرام

قلنا ونقول ان عزة السلطنة السنية برعاية سيدها ومولاها جلالة
 السلطان عبد الحميد خان الاعظم قد ضمنت للعثمانيين سلامتهم وشرفهم
 وفجرت لهم بمصا العزيمة من صفا الثبات يتابع الخبرات والبركات وفتحت
 لابنائهم ابواب المعرفة والفضل واتارت اذهانهم بنبراس الحكمة والرشاد
 فالعثمانيون على اختلاف المنصر والمذهب واحد في الوطنية . واحدي القانون

واحد في الخضوع التام لجلالة سلطانهم لا يدينون الاله ولا يسألون الاطول بقائه وثأيد سلطنته وثأيد مملكته واستيلاء السلام على رعيته - تلك هي سياستنا

قلنا ونقول ان مصر جنة سياجها التابعة العثمانية فلا تصان الا بها ولا تحفظ الا برعايتها ولا تدوم لها امتيازاتها الا بدوام ولائها وان السلطنة جسم ومصر قلبها وان سمو اميرها العباس من اعز حصونها وامنع معاقبها وان سكانها لا يعرفون بالولاية عليهم الا جلالة سلطانهم وسمو اميرهم ووكيله الشرعي - تلك هي سياستنا

قلنا ونقول ان مصر يابي العدل والقانون والسياسة والنظام ان نكون لغير ابنائها او تساس بسياسة خارجية او تدار بقوة اجنبية او تضغط ببوادر الغايات - تلك هي سياستنا

قلنا ونقول ان في الكتانة نبالاً وفي السويداء رجالاً فالراي الام قد نشأ وترعرع ودرج وشب فسقط قول من رمى المصريين بالجهل والخور وجردهم من دثار الوفاق والاتحاد وابعدهم عنهم جلائل التضايف والتكتف والوثام فالايام قد برهنت لمن دنا ونأى على وجود هذا الراي الذي غادر الشقاء والثورات والفتن والف الوفاق والسلام ولزم الدعة والصبر وتدارك احكامه وثلافي امره وعرف الحالي من العاقل والصديق من العدو - تلك هي سياستنا

وشهد الله وقد غيرت الحوادث من ايام الفتنة السابقة مجاري السياسة

المصرية اننا في استنباعنا منهجنا لم نتحول قط عن المبدأ الشريف الذي فصلنا
عمله في صدر الملحّة ولن نتحول عنه ابدًا في ما ياتي فعلاً يطاولنا المذاقون
وحثام يناصبنا المارقون المخادعون فهم في وادٍ ونحن في وادٍ وانت ربك
للمرصاد

اتخذنا الخدمة العامة شعارنا ونظرنا في سبيلها الى الاعمال لا الى المال
لان ضالتنا ننشدها لدى العمل لا لدى العامل فكنا حيث تقابل الحسنة
نمدحها ونطرح فاعلها اطيب الذاء وحيث تقابل السيئة نبذها ونلاحظ على
من اتاها دون تهيب المنصب او رعاية الغرض الساقط. ولم يغالبنا الهوى على
السداد والوفاء كما لم نثقل علينا الخدمة الخاصة على الخدمة العامة

نقول والله شهيد على تولنا والسواد الاعظم من القراء يصدق على ما
نقول اننا ظالمًا استبقنا الكثيرين من ارباب المناصب الى خدمتهم في السراء
والضراء ولكن في سبيل المصلحة العامة ولم يهملنا زئير الاستبداد وزفير الاثرة
بل اخلصنا في السر والنجوى ولكن الخدمة العامة وجهتنا والشرف الوطني
شعارنا حتى اذا راينا ما يخالف وبعا كس اتجهنا الى مبدأ التحذير فلا نذار
وانقلبنا الى التنديد لدى فوت الغاية ومن امكنه ان يخدم سواء في ضرائه
ويقوم على ولائه امكنه من باب اولى ان يترضا في مرأته ولا نفوته ببركات
نعمائه ولا سيما واننا قد عرفنا اولئك قبل غيرنا ولنا من خدمتنا لم ما يعظم
في جنب خدمتهم لنا

نح اذن اننا لا نرصد في مرصد الاصلاح الانيرات الاعمال لا نجوم

العمال ولا نبخس حق من احسن ولا واجب من اساء وسوالنا علينا رضي
او غضب فالخدمة العامة تفضل الخاصة والحق اسق ان يتبع والجرائد ليست
ابواق اطراء ولا منافع اهواء والحكيم الحاذق يحترم الملاحظة عليه ويأنف من
توجيه الاطراء اليه

فاليكم يا من انكرتم هذه السياسة واحقرتموها وعلمتم على معاكستها
واطلقتم لاقلامكم عنان التنديد ولا استكم عنان التقرير وعدا جميلاً بالاستمرار
على ما اكرهكم فالوفاء من شيم الكرام والاقراء بالجميل دين على الحر والشكر
لقاح النعمة والمعروف يبييه الذكر

بل انقوا الله يا من رايتم في بذاءة اللسان ارضاء لغاياتكم السافله واغراضكم
الخبیثة فكيف تتمدون بخيرات بلاد اكثر من تمتع ابنائها بها وانتم على امرها
ناقمون كيف تمرحون في مجامعها وانتم باحكامها هازئون كيف تنفقون عن
سعة وقد استغنيتم من خبرها وانتم لها كارهون كيف تنقدون روائبكم الفادحة
من فضل فلاحها وانتم لها محقرون كيف تبنون القصور المزخرفة وتقيمون
الجنان النضرة وانتم ابنائها ساخرون

قد اتجرتم او احقرتم او خدمتم او اغنيتم فسقياً لكم ومرحبا بكم واهلاً
بلقائكم ودعاءً بنجاحكم وطلباً لدوام هنائكم فاذا لم تنفعوا فلا تضروا واذا لم
تكونوا معنا فلا تكونوا علينا واذا لم تمدحوا فلا تذموا واذا لم تفعلوا فلا سكتوا
انقوا الله يا من شددتم النكير على سياسة الاهرام وانتم لقاء السواد
الاعظم بثابة العدد المعدول اذا اجر ناله الشواذ لا يتجاوز العاشر في المنقول

فلاهرام يأكل من خبز المصريين ويشرب من ماء المصريين وينفق من
 فضل المصريين ويعيش في ظل المصريين ويتهاذى بين ايدي المصريين
 ويخدم لغير المصريين فلا يخون المصريين ولا يدلس على المصريين ولا
 يحقر المصريين ولا يذممهم ويقبح امورهم ويرميهم بالجهل والغباوة ويحجب
 انبياء امانة مهم واسقاط نهضتهم وخسارة وطنهم وحل عقال تابعيتهم وفقد
 حريتهم وزوال استقلالهم وامتيازاتهم وابعادهم عن سلطنتهم

فانقوا الله يا من تأكلون من خبزهم وتشربون من مائهم وتعيشون في
 رحابهم فكيف تقابلونهم بالعكس ثم تسمخون وترتكبون المنكر ببذاءة اللسان
 وبيع مذمتهم بدراهمهم كبيعكم بلادهم بدنانيرهم

انقوا الله يا من شددتم التكبر على سياسة الالهرا و انتهم واحد من كل وقطرة
 من بحر فسياسة الالهرا لا تحول وهي سياسة سبعة ملايين من المصريين
 ونحو اربعين مليوناً من العثمانيين بل هي سياسة جميع المسلمين والعثمانيين
 وكل غربي وانكليزي يعرف شرف الوطنية ومبداها ومعادها

هي سياسة اعز بها الوطن جلالة السلطان الغازي الاعظم عبد الحميد
 خان الذي اذهل العالم بياهر حكمته وحفظ الوطن بذراع قوته وساعد
 عزيمته

بل هي سياسة سمو اميرنا العباس المعظم . الذي ادهش العالم بسداد
 رايه ونير ذكائه وقويم رشاده فوثق به المصريون ثقة تكفل لهم نيل المرام
 وتزبيدهم اخلاصاً لسموه فلا يفتأون يذكرون فضله على مر الايام

هي سياسة موضوعها "سلطنة سنية" تابعة عثمانية . مصر للمصريين .
 " راي عام " تلك هي سياسة الاهرام والسلام

﴿ ضالة المصري مسالته ﴾

(في ١٨ يونيو سنة ١٨٩٢)

وهي آخر ما انشأه رحمه الله

يرمي المصري العثماني نبل النظر ولكن غرضه مسالته . ويمتطي صهوة
 جياد الفكر ولكن مضماره مسالته . فهو ضالته يشدها اثناء الليل واطراف
 النهار لا يلوي عنها عنان المذاكرة ولا يسكن من امرها جاش التمني حتى
 يقضي الله امراً كان مفعولاً

فاذا نطقت فانت اول منطقي واذا سكمت فانت في اضماري
 لدينا احتلالان عسكري ومدني وعمرهما عشرة اعوام فالاول قيل بشانه
 ساعة ظهوره في الوجود ما قيل به في الساعة الاخيرة من العام العاشر فان
 الوتر لم ينقطع والنعمة لم تتغير والله اعلم متى ينقطع ومتى تتغير . واما الثاني
 فبدأ بالاحاد وتدرج الى العشرات وادرك المئات ويظهر انه سريع النمو
 يتطال من كوى الرغبة والاقدام الى مضمار الالوف

وقد قالوا ان الغاية من الاحتلال الاول توطيد الامن وقد توطد
 وشكرنا لهم سعيهم فاذا انكر عليهم منكر الحصول على هذه البغية سلقوه

بالسنة حداد وقالوا كيف يعي العالمون عن الضياء.. واذا اعترف بالوصول الى ذلك سرّاً وعلناً وسأل انجاز الوعود بناءً على ادراك الغاية قالوا ومن تراه يا من طارئات السودان ومقاصد اوربا

وقالوا ان الغاية من الاحتلال المدني تهذيب المصريين وتعليمهم وتوحيدهم على النافع والمفيد فاهم منا مدرسة اخبار واساتذة مبرزون في الادارة والسياسة فتى نبغوا في ذلك انتقلوا من صفوف التلامذة الى صفوف الاساتذة فاحملناهم محلنا وتولوا شؤن ادارتهم وترحلنا عنهم بسلام

على رسلهم ولا لوم فامثلنا في الاول الا ما جاء في احدى مقامات مجمع البحرين من ان احدهم اكترى ناقة واعلن ان لا يسلم صاحبها مامها حتى يسلمه اجرتها فامسكها ولم يسلم الاجرة ولما نقاضيا على المكثري " لقد جعلت تسليم الاجرة موعداً لتسليم الزمام فاننا لا اسلمه الاجرة والسلام " وما دامت اوربا على ما نعلم والسودان على ما نرى كان للمحتلين ان يقولوا " اننا قد جعلنا محو اوربا والسودان من عالم الوجود موعداً لانجلئنا عن مصر وهما لا تزالان فيه فلا ننجلي والسلام "

واما الثاني فقياسه العكس دون الطرد لاننا اذا اتبعنا الخطة التي رسموها كدعواهم وجب ان نرى كل ما طوبنا عاماً زيادة في عدد اسانذتنا وبالاتقراء على مراعوام معدودة يقوم اسانذتنا مقامهم ولكن نجد المسألة على عكس الوضع فاننا كلما طوبنا مراحل الاعوام شاهدنا الزيادة في عدد اسانذتهم ولم نشاهد تلهيذاً منا استحق ان يترفع الى مقام استاذ واليك من عمل الري

برهاناً يقاس غيره عليه فقد أتى بالمفتشين من الهند واطالوا أجل استخدامهم الى سبعة اعوام ليتلهذوا مهندسينا فكانت النتيجة ان مرت الاعوام السبعة واستقال بعضهم من الخدمة فاعترض عنهم من ابناء جلدتهم وزادوا في عددهم ولم يستحق احد من جميع مهندسينا ان يترفع الى منصب التفتيش السامي

ولا يحفل القراء الكرام ان المهندس من رجالنا تخرج بايدي بدء في مدارس الحكومة وتلقف فن الهندسة من رجالها فصرف فيه عشرة اعوام ثم انتقل الى مدارس هذا الفن في اوربا فاقام مثل ذلك على الاقل ثم عاد الى مصر وخدم في سلكه عشرة اعوام فاكثرت ثم تلهذوا للانكليز نحو عشرة اعوام فكفاني به صرف في ادراك فن واحد نيفاً واربعين سنة بين علم وعمل بحيث ادركه بالاضافة الى باقي سنيه طور الهرم فاذا كانت هذه حالته ولم ياهل لان يعين بوظيفة مفتش في عمل الري فلا سبيل اذا لان يصل الى درجة استاذ لا اذا ادرك عمر نوح عليه السلام وذلك متعذر فالاختلال المدني اذن دائم

وقد اعلن ضواطرة المحتلين ان الانجلاء يتم متى عمت المعارف ابناؤه القطر ووفر عدد الاساندة منهم وقد وضح لك مما ابناه عن حالة رجال خاصتنا الذين تجردوا لادراك فنون الادارة انهم مع اتفاق العمر في سبيلها لم يستحق احد منهم الى الان ان يتشرف بلقب استاذ فمتى يترفع الى هذه الرتبة رجال العامة ومتى يكون اجل هذا الاختلال . . .

ذلك كان ولا يزال موضوع سياستنا في شأن الاحتلالين ننطق به عن
لسان الحقيقة وترجم عن خاطر المصري العثماني وتراجع الى ابجائه بزيد
الوضوح والجلاء وهو ضالة المصري وغاية رغبته

على ان التدثر بشعار هذه الغائب الصادقة قد ضغط على ارباب
الاغراض والغايات والمارقين والخائنين ولم يروا لديهم الا واحداً من اثنين
اما الاقرار وهو لا يناسبهم واما الاستتار بثوب الرياء وهو يشف عما تحته.
فملصوا من حرج الموقف بتحويل الموضوع الى غير مجراه بان اخذوا يطنبون
في النعم والخيرات والبركات والفوائد والمنافع والسعادة والرخاء والراحة
التي تنعم بها القطر المصري بعة هذا الاحتلال ثم يقابلون بين فوائده بمصر
وفوائد احتلال فرنسا او غيرها من الدول في قطر اخر وهم يحسبون انهم
يصلون بذلك الى محجة غاياتهم ونقطة دائرة اغراضهم ولكن ساءوا فألاً
وحبطوا سعيهم فلا يقال للمصبح يا ليل وللقمر ياسهيل والمصري العثماني اسمي
من ان يؤخذ بمثل هذه الترهات

نراهم وقد اكثروا من تكرار الاعلان بغزارة فوائد الاحتلال
ومقابلته بسواء انهم يقصدون اعظام قدر انكثرا واستمالة المصريين الى
الرضى بالحالة وتنفيرهم من شعوب اخرى ولكن فاتهم انهم بذلك حطوا
اولاً من قدر انكثرا وثانياً من قدر المصريين وثالثاً من قدر الاسرة المحمدية
العلوية ثم خرجوا عن الموضوع فأزيج الستار عن اغراضهم وسوء غاياتهم
اما اولاً فلأن ما اتاه الانكليز بمرور عشرة اعوام في بلاد مصر

وافرة الموارد غزيرة الخيرات والامرفيا لهم ادارة وسياسة والدرهم لديهم
صبر وكثبان لا يكبر عليهم بل هو ماتي من ينحط عنهم ادياً ومادياً فاكبار
ما يجب ان ياتوا باعظم منه تحقير وقال الشاعر

ألم تر أن السيف يصغر قدره إذا قيل إن السيف امضا من العصا

واما ثانياً فلأن تكرار ذلك يسوق الى الظن بان المصريين لا يعلمون
جميل المحسن ولا يدركون ما يحدث ولكن لا يصفهم بالعقوق والجهل الا
العاق الجاهل

واما ثالثاً فلأن سكان المشرق والمغرب يشهدون ويعترفون بان
مصر لم تدخل في طور الحياة الشريفة السامية الا من عهد المغفور له محمد
علي اصل الاسرة الكريمة وبطل السلطنة السنية فهو الذي جدد شبابها بعد
الحرم وبث فيها الروح النفيس وشاد معاهدها وايد حضارتها وشرف مقامها
ورتب احكامها ونظم ادارتها ورتب شؤنها

بل اي عمل مفيد لم يقدم عليه واي مطلب نافع لم يوجد له واي اثر
حميد لم يعضده بل اي مشروع سام اتاه الانكليز وغيرهم ولم يكن هو
الشارع به ثم عارضه الاجل دون اتمامه بل اي امير من فروعهم يثاثر خطاه
ويطأوطائه وينهج منهجه بحيث ادركت مصر في نصف قرن من العظمة
والثروة والفضل ما لم تدركه اسمى الممالك الاوربية في قرن وقرون

واما الخروج عن الموضوع فلان المسألة لا يقصد فيها ترجيح دولة
علي اخرى للاحتلال بل الغاية رفع الاحتلال فلا نسال جلاء الانكليز ليجل

الفرنسيون والروسيون وسموهم محلهم بل نسال اعاده المياه الى مجاريها من
ازدهاء السلطة العثمانية المسلمة حقوقها لسمو الخديوي الوكيل الشرعي عن
جلالة السلطان في مصر فلو كان الفرنسيون او غيرهم مكان الانكليز
لقابلناهم بالمثل وكل سياسة تعضد سياستنا العثمانية المصرية نجلها ونحترمها
سواء كان عمالها فرنسيين او المانيين او صينيين او يابانيين لان الغاية
واحدة هي التخلص من الاحتلال الاجنبي كيف كانت صبغته

فيستفاد مما ذكرنا ان لم يكن للمحتلين وانصارهم الا حجة واحدة هي
اتهامهم المصريين بانهم لم يبالغوا سن البلوغ فلا مندوحة عن اقامة اوصياء
عليهم فهم الاوصياء فاذا تجرأوا على هذا القول طالبناهم بالحجة والبرهان
وانى لم ذلك وهب اننا اغضينا عن المطالبة فله مصرين من جلاله ساططانهم
وسمو اميرهم وصيان شرعيان واذا تراجعنا الى سابقة الحوادث وجدنا ان
المحتلين انفسهم اعترفوا على رؤوس الاشهاد بعظمة ما اتاه المفخور له توفيق
في العامين الاولين من حكمه من الاصلاح والفضل وان ما اتوه في مدته
من هذا القبيل كان له الفضل الاول فيه فاذا علم ذلك وكان لم حسن
الظن بنا فله اذا لم يتركوه وشانه واتقن بحسن مقاصده وفائزين بطيب
الثناء وحفظ جميلهم لذي السلطنة العلية ومصر

بل ما حجتهم الان في تاجيل الجلاء اذا كانوا يرومونه كما يقولون
ليس امامهم امير طاهر الذليل شريف الغاية سامي المدارك بعيد المهمة حليف
الادب نصير العالم قوم المبادي بل فليقولوا لنا اي امير من امراء المغرب وله

ودرج ونرع ع وشب وتعلم وتنقل وشاهد وربى على مبادي اجل وافضل
 مما ربي عليها سمو اميرنا عباس المعظم فلماذا لا ينجزون وعودهم
 اجل اننا بما نذكره لا نبخس المخلصين اشياءهم ولا ننكر مهارتهم
 ونبرزهم في السياسة بل كيف ننكر مهارتهم في حين لم تكن شكوانا الا
 بعلة تلك المهارة فانها بالاضافة الى القوة اوصلتهم الى ما نرى فاستلموا المصالح
 تبعاً مع الدعوى بان المصريين هم الذين سالوهم ذلك ولكننا نسألهم وقد وصلوا
 الى غاية سياستهم في سبيل مصالحهم ان ترفق عدالتهم بمحقوقنا فلا يروق
 للمصري الاثراء وغيره لدى فقد استقلاله المصون بتابعيته العثمانية حتى لا
 يضطر الى ترديد قولنا "كجئت البرد يقضي وهو يبتسم"
 تلك هي سياسة الاهرام سرّاً وعلناً لفظاً ومعنى اصلاً وفرعاً وتلك
 هي سياسة الراي العام العثماني المصري فليتنق الله اولئك المخزؤون الخائنون
 وليعتبروا سكوتنا فضلاً دون التحرش المستمر فقد رضي القتل فليرض القاتل
 ل فليكيف القاتل بالاغضاء عنه دون ان يسأل له دية قتيله
 بل يكفي الاهرام شرفاً انه خادم الراي المصري العثماني العام وتلك
 نعوته في فم كل عثماني ومصري لتناقضه ايديهم من اكباد مصر ومن
 اطرافها بل يقبل عليه المشتركون ويسالون بلسان البرق وسبيل البريد
 اصداره اليهم عفواً دون ضغط رجل ثخنة او اكراه رجل ادارة او تحسين
 ضواطة وانصار غايات

بل يكفيه ان ابواب الممالك المحروسة الشاهانية مفتوحة له يدخلها

بامن وسلام ورغبة وشوق وهو فيها الجريدة العثمانية الوطنية المرعية
الحرمة الصادقة للهجة

بل يكفيه شرفاً ليس فوقه شرف انه بانعام خاص لم ينله سواه ترسل
اعداده مشرفة الى السدة السلطانية باسم من تشرف بوجوده . وحيي
الفضل والكرم والجود بمجوده . جلالة مولانا السلطان الغازي عبد الحميد
خان الاعظم

ذلك ولا مرء هو خير جزاء لخدمتنا الوطنية الصادقة التي نثار عليها
ونبذل النفس والنفس في سبيلها ونشترك مع كل عثماني مصري ذي
شرف ودين رديد آيات الدعاء بحفظ جلالة مولانا السلطان الاعظم
وتأييد ملكه وطيد سلطته وحفظ سمو وكيله الشرعي خديونا عباس
المعظم وتوفيق اعماله ودوام اقباله

فداما دوام الدهر كهف لاهله وهذا رعاء للبرية شامل

Library of



Princeton University.

32101 076413804